

سُعاد محمّد الصّباح

# مبارك الصّباح

## مؤسس دولة الكويت الحديثة

سبتمبر ٢٠٠٧

---



دار  
سُعاد الصّباح

سعاد محمد الصباح

مبارك الصباح

مؤسس دولة الكويت الحديثة

الناشر: دار سعاد الصباح للنشر

الطبعة الأولى تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٧

انجز طبع هذا الكتاب في المطابع التعاونية الصحفية - بيروت

جميع الحقوق محفوظة للناشر

## الإهداء

إلى أسرتي الصغيرة..

إلى روح زوجي الشيخ عبد الله بن مبارك

إلى أولادي محمد ومبارك وأمنية والشيءاء

إلى أحفادي وحفيداتي...

وإلى أسرتي الكبيرة أهل الكويت..

صفحات تحكي عظمة قائد وشموخ شعب.



## مقدمة

### دور الشيخ مبارك في تأسيس دولة الكويت الحديثة

عبر مسيرة الأمم، توجد أيام يتوقف أمامها التاريخ والمؤرخون لأنها تمثل نقاط تحول أو علامات فارقة بين عهد وعهد، وبين زمن وزمن، وبين عصر وعصر. ومن هذه النقاط يوم ١٧ مايو/ أيار ١٨٩٦، وهو يوم تولى الشيخ مبارك بن صباح حكم الكويت (١٨٩٦-١٩١٥) وكان سابع شيوخ الكويت من أسرة الصباح، والذي تحقق في عهده وضع أسس الدولة، فلقب بمبارك الكبير ومؤسس الكويت الحديثة. فقد أرسى مبارك الكبير أسس الحكم في الإمارة، وأكد استقلال الكويت في ممارسة شؤونها الداخلية، وأبرز دورها على خريطة المنطقة إلى الدرجة التي جعلت البعض يتصور أنه تطلع إلى تنصيب نفسه أميراً على الجزيرة العربية. فعندما اعتلى الشيخ مبارك سدة الحكم، وأصبح شيخاً للكويت، بدأت مرحلة جديدة من تاريخ هذه المنطقة من العالم... مرحلة اتسمت بتنافسات دولية حادة، وتدخل عثماني مستمر، وصراعات وحروب محلية. وكان على الشيخ أن يدير دفة السفينة بما يحافظ على استقلال الكويت.

ويعبر الأستاذ عبد العزيز الرشيد، مؤرخ الكويت، عن دور الشيخ مبارك في نهضة الكويت بقوله «مبارك هو الكويت بأسرها، وهو الذي رفعها على ما سواها من أترابها وأطال صيتها في سائر الأقطار. مبارك هو الذي ترك اسمه يجوب العواصم والمدن

ويبرز في الأندية والمؤتمرات. فبه اشتهرت، وبه زهت. وكان عصرها في أيامه عصر الأمن والدعة. عصر القوة والهيبة. فقدت بموته شجاعاً لا يهاب الموت والردى... لولاه لما عُرفت، ولولاه لما كانت الدرّة في تاج الخليج العربي، ولولاه لما امتدت أسطورتها إلى أمد بعيد من الفيافي والقفار».

ووصف الشيخ مكي بن عزوز الكويت في أيام مبارك بأن «الكويت في هذا الزمان تساوي البصرة في الشهرة، فكل من خاض في السياسة يعرف أميرها مبارك الصباح، ويعرف بلده الكويت، لأن الكويت اشتهرت به». كما وصفه الطيب ستانلي ماليري الذي عمل في الكويت لسنوات عدة «لقد كان الشيخ مبارك رجلاً يسبق عصره بجيل... وكان يهتم كثيراً بفن الحرب، وكانت براعته في استعمال الخرائط تذهلني». ووصفه عمر فوزى وزير الحربية العثماني بلقب «شيخ السياسة» وكان ذلك في أبريل/ نيسان ١٩١٤. كما وصفه ديكسون الوكيل السياسي البريطاني في الكويت بأنه كان «حاكماً، وقائداً عسكرياً، وديبلوماسياً من الطراز الأول».

جمع في شخصه بين خصال المحارب وسمات السياسي. فكان جريئاً مقداماً شجاعاً، وكان في أحيان أخرى صبوراً حليماً ومفاوضاً لا يشق له غبار. وبين الحرب والسياسة، وبين القتال والديبلوماسية اعترك الحياة واعتركته، فكان من بناء الدول ومؤسسيها. ووصف الوكيل البريطاني السياسي شكسبير نظام حكمه في عام ١٩١١ بأن «...البلدة لا تزال تحت القبضة القوية للشيخ مبارك، لتعتبر بذلك الأفضل أمناً والأفضل حكماً في الخليج».

كان على مبارك أن يرسي الأساس للكيان المستقل لبلاده وسط مجموعة معقدة من التوازنات الدولية في العقد الأخير من القرن التاسع عشر، الذي شهد تعاظماً للمد الاستعماري الأوروبي، والذي تعددت فيه أشكال التنافس الأوروبي على تقسيم تركة الإمبراطورية العثمانية «رجل أوروبا المريض». وبرز التنافس الدولي في الخليج عموماً، وعلى الكويت خصوصاً، حتى أن المؤرخ بوش خصص جزءاً من كتابه عن بريطانيا والصراع الدولي في الخليج في هذه الفترة بعنوان «المسألة الكويتية». ومن خلال إدارة دفة السفينة الكويتية وسط أنواء هذا الصراع الدولي، سعى مبارك بأناة وصبر لبناء ثروة الكويت وتجارتها.

ومع أن حياة مبارك يمكن تتبعها في شكل سلسلة من المعارك والحملات

العسكرية، فقد كان هدفه الأول تحقيق الأمن والاستقرار اللازمين لنمو التجارة ولازدهار الاقتصاد. فقد أدرك مبارك أن التجارة هي عصب الحياة للمجتمع الكويتي بحكم أن الكويت هي أفضل ميناء على الساحل العربي للخليج، وأنها المدخل الطبيعي لقلب نجد. وأدرك أيضاً أن التجارة لا تزدهر من دون أمن واستقرار. لذلك، أقام الحكم القوي وامتلك الأداة العسكرية اللازمة لردع الطامعين والطامحين.

ومع استتباب الأمن، تطور الأسطول التجاري للكويت، ونمت تجارتها مع الهند وشرق آسيا. وتدخل مبارك لدعم تجار الكويت ولتوفير البيئة المناسبة لزيادة تعاملاتهم. فاتفق مع شركة البواخر البريطانية الهندية على إرسال باخرة أسبوعياً لنقل الركاب والبضائع، وكان في بعض الأحيان يمول تلك السفن تشجيعاً للتجارة بين الكويت والدول الأخرى.

ورغم كل ما عرف عن الشيخ مبارك من قوة وعناد واعتداد بالذات، فإنه احترم التجار وحرص على مصالحهم إدراكاً منه أن نمو تجارتهم هو زيادة لثروة الكويت، وإنهم يساهمون في ازدهار اقتصاد البلد. ولم يتردد الشيخ قط في دعم التجار مالياً، فكان يفتح خزائنه لهم في وقت الحاجة، ويمهلهم الوقت الكافي في رغبة منه في نمو تجارتهم وزيادة ثرواتهم. وعندما كانت أمور بعضهم تسوء ويصبح على شفا الإفلاس، أو تضيع لأحدهم ثروة لدى تجار دول أخرى، كان الشيخ يتدخل لحماية مصالح الكويتيين.

وحرص الشيخ على تنمية التجارة، وذلك لما تمثله من فرص عمل لأهل الكويت، ومن أرباح لتجارها، فقد أنشأ في مايو/ أيار ١٨٩٩ نظاماً للجمارك بمقتضاه تقاضى رسوماً تقدر بنسبة ٥٪ من ثمن البضائع المستوردة، بما في ذلك تلك الآتية من الموانئ العثمانية، ثم أخذ هذا الرسم يزداد إلى أن بلغ ١٠٪ بالنسبة إلى بعض الأصناف.

وفي مناخ الأمن والاستقرار، بدأت الكويت مسيرتها في مجال التحديث فأدخلت الخدمات الطبية، وأنشئ أول مركز طبي في الإرسالية الأميركية عام ١٩١١ وكان أول طبيب عمل في المستشفى هو د. بنت، وأول طبيبة هي د. اليانور كالفرلي التي اشتهرت في الكويت باسم خاتون حليلة. ثم أنشئت المدرسة المباركية عام ١٩١٢ التي أسندت نظارتها إلى الأستاذ عمر عاصم الأزميري، وكان من معلمها الأوائل الشيخ عبد العزيز الرشيد والشيخ يوسف القناعي. وفي عام ١٩١٣ تأسست الجمعية الخيرية التي تعتبر بمنزلة أول هيئة للنفق العام، وتمثلت أهدافها في إرسال طلاب العلم إلى الخارج،

وُفتحا مكتبة عامة، ووُزرع الماء على الفقراء، وتوافرت الخدمات الصحية مجاناً لهم. إن كل ما تقدم يبين أن مبارك استقل بإدارة أمور الكويت الداخلية، بعيداً عن أي مظهر للسيادة العثمانية، في الوقت الذي كانت فيه كل بلاد المشرق العربي تدار بواسطة ولاة يعينون - ويعزلون - بقرار من السلطان. وأنه استخدم علاقته ببريطانيا لمنع الدولة العثمانية من ممارسة أي سلطة فعلية في الكويت.

كان الشيخ مبارك شخصية مهابة احترمها ممثلو الدول الأجنبية، وسوف تكشف الصفحات التالية عن كثير من المظاهر التي تؤكد ذلك. ونتيجة لدوره، قامت الدولة العثمانية في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٠٠ بمنحه الوسام المجيدي من الدرجة الثانية، وذلك خلال زيارته للبصرة، ثم منحته عام ١٩١٢ الوسام المجيدي من الدرجة الأولى. وفي العام التالي، وافق السلطان على منح الشيخ الوسام العثماني الأول الذي يعتبر من أرفع الأوسمة التي كانت الدولة العثمانية تمنحها للشخصيات الكبيرة. وفي أعقاب زيارة اللورد كيرزون نائب الملك وحاكم الهند عام ١٩٠٣، منحت بريطانيا الشيخ لقب «سير»، وقلده كيرزون وشاح نجمة الهند. وعام ١٩١٢، منح الملك جورج الخامس الشيخ وسام «سردار أعظم دولة الهند».

وبقيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤، اعترفت بريطانيا بالكويت إمارة مستقلة تحت الحماية البريطانية. وفي العام نفسه قام الشيخ بزيارة لصديقه الشيخ خزعل في يخته الخاص «مشرف»، فأمر برفع علم ذي لون احمر مكتوب في وسطه بحروف بيضاء كلمة الكويت، واتخذ هذا العلم بعد ذلك رمزا رسميا للإمارة.

بدأت الشيخوخة تترك آثارها على الشيخ، وظهرت عليه علامات الضعف. وفي أوائل عام ١٩١٥، تدهورت صحته. وحوالي الساعة الثامنة والرابع من مساء يوم الاثنين الموافق ٢٨ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١٥ توفي الشيخ مبارك، وانتقل إلى جوار ربه عن عمر يناهز ثلاثة وسبعين عاماً، وبعد حكم استمر تسع عشرة سنة. ومشت الكويت كلها وراء نعشه، ودفن بجوار أخويه محمد وجراح في المقبرة الجديدة. وترك من أولاده الذكور سبعة هم الشيخ جابر، والشيخ سالم، والشيخ صباح، والشيخ فهد، والشيخ ناصر، والشيخ حمد، والشيخ عبد الله. وشارك شاعر الكويت حمد عبداللطيف المغلوث في الجنائز وكتب قصيدة أرخ فيها لحياة الشيخ ولدوره في نهضة الكويت. وهي منشورة في نهاية الكتاب.

وبموته، فقدت الكويت الكثير. رحل الرجل، وبقي الرمز والمثل والقُدوة، وما زالت الكويت تترسم خطى مؤسسها في كثير من معالم سياستها الداخلية والخارجية.

وهذا الكتاب هو محاولة لرسم صورة لسيرة رجل وضع الأساس لتاريخ دولة ولنهضة شعب.



## استهلال

يسعى هذا الكتاب إلى تقديم الشيخ مبارك الصباح الذي حكم الكويت خلال الفترة من ١٧ مايو/ أيار ١٨٩٦ إلى ٢٩ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١٥ في صورة مختلفة، ووفقاً لمنهج مغاير عن المؤلف في غالبية الكتابات التي تناولت هذه الفترة، والتي اتسمت بالاعتماد على المنهج التاريخي التقليدي الذي يركز على تسلسل الحوادث والوقائع في تتبعها الزمني من دون إبراز الاتجاهات العامة لها، وبالتركيز على الجوانب السياسية والعسكرية من أحداث ومعارك، وبالاهتمام بالجوانب الخارجية وبالمراسلات الدبلوماسية التي كانت تتم بين عواصم الدول الكبرى بشأن أطرافها ومخططاتها في الكويت، من دون اهتمام مماثل بالواقع الاجتماعي والاقتصادي في داخل الكويت.

ويتميز هذا الكتاب بأربعة أمور:

الأول: وجود فكرة مركزية تربط بين كل فصول الكتاب، وتطرح مفتاحاً لفهم سلوك الشيخ مبارك وتصرفاته، وهي فكرة «بناء الدولة» أو «تأسيس الدولة» التي ارتبطت، وفقاً لظروف هذه الفترة التاريخية، بتحديد الحدود السياسية لإقليم الدولة، وإقامة تحالفات إقليمية ودولية لتوسيع هذه الحدود والسيطرة عليها، وبلورة رموز الدولة، وهو السلوك نفسه الذي انتهجه الولاة والحكام المؤسسون للدول الحديثة. ارتبط بذلك تأكيداً على حرية الكويت في ممارسة شؤونها الداخلية، وإبراز دورها، ودعم مكانتها على خريطة منطقة الخليج والجزيرة العربية.

الثاني: أن الكتاب لا يقتصر على الأمور السياسية والعسكرية فحسب، وإنما يركز على عناصر التطور الاجتماعي والاقتصادي، وبدايات الانفتاح على مظاهر الحياة الحديثة في مجال نشاطات المجتمع المختلفة مثل التعليم، والخدمات البريدية والتلغرافية، والرعاية الصحية، وفرض الرسوم الجمركية، والأنشطة الاقتصادية والتجارية.

الثالث: أن الكتاب يضع هذا التطور السياسي والاجتماعي في الكويت في إطار التحولات الإقليمية والدولية التي كانت تشهدها منطقة الخليج، وتزايد أهمية الكويت الاستراتيجية في نهاية القرن التاسع عشر، وبروز الصراع الدولي بشأنها.

الرابع: أن الكتاب يعتمد على مجموعة واسعة من المصادر الأولية، والكتب والدراسات التي لم تتوافر لأي دراسة سابقة في الموضوع، ولم يتم استخدامها وتوظيفها وفقاً لإطار منهجي منظم يقوم على المقارنة بين المصادر والوثائق، وإبراز جوانب الاتفاق أو الاختلاف بينها.

لقد لاحظت في كتابات أخرى تناولت هذه الفترة التاريخية، أن تركيز الباحث كان على رصد المراسلات الدبلوماسية بين عواصم الدول الكبرى. ولا يمثل ذلك عيباً طالما كان الهدف هو إبراز الصراع الدولي على الكويت. أما هذا الكتاب، فإنه ينطلق من الكويت وما كان يحدث فيها، وكيف أدار حاكمها سياساته الداخلية والإقليمية والدولية بما يحقق استقلال بلاده.

لقد حاولت في هذا الكتاب أن أقدم صورة لدور رجل عمل في ظروف صعبة ومعقدة جداً، وحافظ على استقلال بلاده وسط صراعات وتنافسات من جانب الدول الأوروبية التي سعت لفرض نفوذها في مناطق الخليج التي كانت أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية آخذة في التزايد.

كانت بوصلة الرجل في كل تحركاته باتجاه استقلال الكويت، وزيادة ثروتها وتجارتها، وإدخال أسباب الحضارة الحديثة فيها. ووظف التنافس بين الدول الأوروبية لتحقيق هذه الأهداف.

لقد كان هدفي من تأليف هذا الكتاب، الذي استغرق سنوات، أن أقدم لأبناء الجيل الجديد في الكويت صورة لحوادث وتفاعلات وقعت في قرن من الزمان،

وكيف تفاعل أهل الكويت وقتها مع معطياتها، وللدور الذي قام به الشيخ مبارك الذي استحق بفضلله اسم «مبارك الكبير»، وقد وصف بـ«مؤسس الكويت الحديثة».

وبالله التوفيق

سبتمبر ٢٠٠٧



## قائمة المحتوى

٥	اهداء
٧	مقدمة: دور مبارك في تأسيس دولة الكويت الحديثة
١٣	استهلال
١٩	الفصل الأول: استراتيجية بناء الدولة
٢٧	أولاً: توطيد أركان الحكم
٥١	ثانياً: استغلال التنافس الدولي
٦٥	ثالثاً: بناء الجيش والحصول على السلاح
٨١	رابعاً: علم الكويت
٨٨	خامساً: حدود الكويت
٩٩	الفصل الثاني: بدايات التطور الاجتماعي والانفتاح على الخارج
١٠٣	أولاً: نظام الحكم والإدارة
١١٥	ثانياً: التعليم والحياة الأدبية
١٢٧	ثالثاً: الرعاية الصحية والمستشفى الأميركي
١٤١	رابعاً: إدخال مظاهر التكنولوجيا الحديثة
١٤٩	خامساً: الأوضاع الاجتماعية
١٦٩	الفصل الثالث: بدايات التطور الاقتصادي وتنظيم الحياة التجارية والمالية ...
١٧٥	أولاً: اهتمام الشيخ بالتجارة ودعم التجار
١٨٥	ثانياً: الأنشطة الاقتصادية لأهالي الكويت

- ثالثاً: الأسواق والنشاط التجاري ..... ١٩٥
- رابعاً: مزارع التمور في الفاو ..... ٢٠١
- الفصل الرابع: العلاقات الإقليمية وتوظيف الموارد السياسية** ..... ٢١٣
- أولاً: نمط المراوحة بين التحالف والصراع: العلاقة مع نجد ..... ٢١٧
- ثانياً: نمط التحالف: العلاقة مع شيخ المحمرة ..... ٢٣٥
- ثالثاً: نمط التنافس والصراع: العلاقة مع شيخ قطر ..... ٢٤٣
- رابعاً: الدعوة لاستقلال العرب ..... ٢٤٩
- الفصل الخامس: الصراع الدولي حول الكويت** ..... ٢٦٥
- أولاً: تكريس النفوذ البريطاني في الخليج ..... ٢٧١
- ثانياً: المناوأة الفرنسية لبريطانيا في الخليج ..... ٢٩١
- ثالثاً: السعي الألماني لموطئ قدم ..... ٢٩٥
- رابعاً: التطلع الروسي للمياه الدافئة ..... ٣٠٧
- خاتمة ..... ٣٢٥
- ملحق (١) قصيدة رثاء الشيخ مبارك للشاعر حمد عبد اللطيف المغلوث ..... ٣٣٥
- مصادر الدراسة ..... ٣٣٩
- قائمة المراجع ..... ٣٤٧

---

## الفصل الأول

# استراتيجية بناء الدولة

«كان مبارك في الواقع يمسك مصير الكويت بيده. كان نحيفاً. وكانت عيناه ثاقبتين تخترقان محدثيه، وتمكنانه من الحكم عليهم بدقة، وكان وجهه قوياً يعكس قوة الإرادة والتصميم، كان وجهه وجه قائد بالسليقة. وكان بعيد النظر يستبق رعاياه في النظر الى المستقبل ويلم بالشؤون العالمية بشكل مدهش في ذلك الوقت».

من مذكرات الطبيب ستانلي ماليري  
الذي زار الكويت عام ١٩١١



---

## الفصل الأول

# استراتيجية بناء الدولة

هناك نوعان من القادة والرؤساء: نوع يصنع الأحداث، ونوع تدهمه الأحداث. النوع الأول: يتعامل مع البيئة المحيطة به كساحة للتحدي، يسعى إلى تغييرها بما يتلاءم مع أحلامه وطموحاته، والنوع الثاني: يتعامل مع هذه البيئة كأنها «قدر محتوم» لا يملك منه فكاكاً، يستسلم له ويقبله كما هو.

كان الشيخ مبارك من النوع الأول بلا جدال. فقد تعامل مع بيئة بالغة التعقيد، تداخلت فيها عناصر الوضع الداخلي في الكويت مع الوضع الإقليمي في منطقة الخليج، مع سياسات ومخططات الدول الأوروبية الكبرى في المنطقة. ففي الداخل كان هناك - كما سنشرح في هذا الفصل - سعي يوسف الإبراهيم الدؤوب لإبعاد مبارك عن الحكم، واستعان في هذا السعي بأطراف إقليمية، مثل آل رشيد وحاكم قطر وبعض الولاة العثمانيين. وكانت الساحة الإقليمية تشهد صراعاً بين آل سعود وآل رشيد على حكم نجد وشبه الجزيرة العربية، كما شهدت محاولات إسطنبول تثبيت مركزها وتأكيد نفوذها على المشيخات العربية في الخليج.

واصطدم هذا السعي العثماني في الحقبة الأخيرة من القرن التاسع عشر بالنفوذ الإنكليزي الذي كان قد توطد سياسياً وعسكرياً في الخليج، والذي تمثل في نجاح لندن في عقد سلسلة من اتفاقات الحماية مع شيوخ الإمارات العربية. وبينما مثل الصراع الأنغلو عثماني أحد المحاور الأساسية للتفاعلات السياسية في منطقة الخليج في هذه الفترة، فقد تأثر هذا الصراع بعنصر التنافس الأوروبي في المنطقة وتساعد طموحات ألمانيا وروسيا وفرنسا.

ونتيجة لتعدد الفاعلين وتنوع المصالح، فقد دخلت هذه الأطراف في سلسلة من الصراعات والمنافسات من ناحية، والتحالفات والصدقات من ناحية أخرى. لم تكن حدود الصراع واضحة بشكل نهائي أو مستمر. بل تغيرت المواقف وتنوعت الأدوار وفقاً لتغير مصالح كل طرف من مرحلة الى أخرى.

وكان على الشيخ مبارك أن يدير دفة سفينة الحكم في الكويت وسط هذه الأنواء المضطربة والمتغيرة. وكان عليه أن يقيم الصلة مع كل طرف حسب مصالح بلاده. فمن ناحية، حافظ على صلته بالدولة العثمانية باعتبارها رمز «الخلافة الإسلامية»، واستخدم هذه الصلة لحماية مصالح الكويتيين وأملاك أسرة آل صباح في منطقة الفاو، ولحماية سفن تجار الكويت في موانئ الخليج التي كانت تسيطر عليها السلطات العثمانية، وكان على استعداد لاستمرار هذه الصلة شريطة عدم تدخل إسطنبول في سياسة الكويت وشؤونها، وعدم قبول أي مندوبين حكوميين عثمانيين على أرض الكويت. ومن ناحية ثانية، أقام صلة وثيقة بالحكومة البريطانية، باعتبارها الدولة الأكثر نفوذاً وسيطرة في الخليج، وذلك لحماية بلاده من غيلة التدخل العثماني. ومن ناحية ثالثة، استقبل مندوبي الدول الأوروبية الكبرى واستمع إلى ما يعرضونه عليه من وعود، وكان حريصاً على إبلاغ

السلطات الإنكليزية بهذه العروض لكي يعطيهم الانطباع بأنه ليس أسيراً للديبلوماسية الإنكليزية، وأن لديه بدائل يمكن استخدامها في أوقات الضرورة. لذلك وصفه المؤرخ بريتون كوبر بوش بأنه «ديبلوماسي بارع»<sup>(١)</sup>.

وُلد الشيخ مبارك، وهو الابن الثالث لأبيه الشيخ صباح، سنة ١٨٤٤. ولما بلغ سن الخامسة، احتضنه جده الشيخ جابر الذي عني بتربيته، وأحضر له معلماً من رجال الدين عكف على تعليمه مبادئ القرآن الكريم وآدابه. وفي سن الثانية عشرة من عمره تدرّب على الرمي وركوب الخيل. وخلال عامين، كان قد انتهى من تدريباته في الفروسية حتى برز بين أقرانه وخلّانه، وأصبح من أبرع الفرسان والرماة، وكان نادراً ما يخطئ هدفه. وبدأ يشارك في مجالس الحكم.

تمرس الشيخ بفنون القتال من خلال حياته في البادية، ومن خلال مشاركته في الحملات العسكرية قبل توليه الحكم. فعلى سبيل المثال، كلفه الشيخ عبد الله الصباح حاكم الكويت بقيادة القوات الكويتية لمساعدة الدولة العثمانية في حملة الأحساء التي قادها نافذ باشا عام ١٨٧١، فقاد شيخ الكويت الحملة البحرية، وطلب من أخيه مبارك قيادة القوات البرية.

وفي هذه الأثناء، التقى مبارك مع مدحت باشا المصلح العثماني الكبير. وتقديراً منه لدور الكويت، منح مدحت باشا شيخ الكويت مزارع للنخيل في منطقة شط العرب وأعفاه من دفع ضرائبها. كما قاد مبارك الحملة التي أمر بها الشيخ محمد الصباح حاكم الكويت عام ١٨٩٢ ضد ماجد الدويش أحد رؤساء قبيلة مطير عقاباً له على اعتدائه

Brian Cooper Busch: **Britain and The Persian Gulf 1894-1914** (Los Angeles: University of California Press, 1967).

على أملاك قبائل تابعة لشيخ الكويت. وقاد الشيخ مبارك في العام نفسه القوة التي أرسلها شيخ الكويت لدعم ابن صويط، شيخ قبيلة الظفير، ضد أحد زعمائها المتمردين عليه. كما قاد القوات الكويتية التي أرسلت لدعم القوات العثمانية في قطر عام ١٨٩٣.

وفي العام نفسه، قاد الشيخ مبارك الحملة التي أمر بها شيخ الكويت ضد آل سعيد الذين قاموا بالاعتداء على بعض القبائل الكويتية، وتعقبهم حتى أدركهم في منطقة الخنقة، وهزمهم واسترد الممتلكات المنهوبة. وفي عام ١٨٩٤، قاد الشيخ مبارك القوة التي أرسلها شيخ الكويت ضد قبيلة بني هاجر التي اعتدت على بعض السفن الكويتية في الخليج، واستولت على ما فيها، وأدركهم بين القطيف والأحساء وهزمهم واسترد ما كانوا قد استولوا عليه من ممتلكات. وكان حامل البيروق في أغلب هذه المعارك عبد الله بن محمد المزين، وشاركه ابنه إبراهيم الذي حمل الراية بعد وفاة والده<sup>(١)</sup>.

واستفاد مبارك الكثير من مشاركته في هذه المعارك، حيث تفرس على فنون الحرب في الصحراء، وأقام علاقات وثيقة مع رؤساء قبائل البدو، كما استطاع تعزيز مكانته الشخصية من خلال قيادته الفعلية للمحاربين الكويتيين.

ويصف معاصروه هيئته بأنه كان طويل القامة، أسمر اللون، أدعج العينين، أوهز، حسن المشية، قليل اللحم، قوي البنیان. ويصفه حافظ وهبة بأنه كان «قوي الذاكرة، صلب الإرادة»<sup>(٢)</sup>. ويضيف حسين خلف الشيخ خزعل أنه كان على جبهته أثر ضربة سيف زادت هيبته، وأنه كان

(١) عبد الله سالم عبد الله محمد المزين: تاريخ وأجداد (الكويت: دن، دت)، ص ص ٩٦-٩٨.  
 (٢) حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ٥، ١٩٦٧)، ص ٨١.

«ذكياً شديداً الإحساس، ذا هممة عالية وعزم متين، كثير التفكير قليل الحديث... قوي الحافظة فإذا رأى إنساناً مرة واحدة لا ينساه مهما تقادم الزمن ويعد به العهد»<sup>(١)</sup>. ووصفه عبد المسيح إنطاكي صاحب مجلة العمران المصرية الذي التقاه عام ١٩٠٧ بأنه «طويل القامة رقيق الجسد مفتول الساعدين أسود الشعر ذو عينين سوداوين جذابتين تنبعث منهما أنوار الذكاء والدهاء، ولحيته سوداء قصيرة خفيفة... وهو حاضر الذاكرة يحفظ كل الحوادث التي مرت عليه أو سمعها، فإذا ذكر أمامه حادث صححه في الحال على حقيقته ورواه بحذافيره»<sup>(٢)</sup>.

نشأ مبارك نشأة قبلية صحراوية غرست فيه حب الأرض وقوة العزيمة، فكان مبعوثاً من أخيه الشيخ محمد، حاكم الكويت، إلى الصحراء لتحمل مسؤولية المحافظة على النظام وسط قبائل لا تعرف إلا مناخ الحرية وترفض تدخل أي سلطة، خصوصاً أن مباركاً كان عليه أن يمارس هذا الدور مندون الدعم المالي الكافي لتحقيق مهمته.

وكانت هذه المهمة مرحلة اختبار وتدريب لمبارك تعلم فيها حياة الصحراء وأقام علاقات وثيقة من الولاء له والارتباط به مع قبائل العجمان والرشايدة. وعندما تولى الحكم، وصف نفسه بشيخ قبائل الكويت، واستطاع أن يوظف علاقاته الوثيقة بالقبائل في تكوين القوة العسكرية اللازمة للدفاع عن الكويت، وردع الخصوم، ودعم الأصدقاء.

وفي هذا السياق، تحرك مبارك في خمسة اتجاهات هي: توطيد أركان

(١) حسين خلف الشيخ خزعل: تاريخ الكويت السياسي (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٦٢) ج ٢، ص ١٢.

(٢) عبد المسيح إنطاكي: الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة (القاهرة: مطبعة العرب، ١٣٢٥هـ)، ص ٦٧٨. عبد المسيح إنطاكي شاب سوري سافر إلى مصر، وعمل فيها بالصحافة، وأصدر مجلة العمران، وقام بزيارة إلى الكويت عام ١٩٠٧. انظر في قصة حياته خالد البسام: مرفأ الذكريات. رحلات إلى الكويت القديمة (الكويت: دار القرطاس، ١٩٩٥)، ص ص ٤٩-٦١.

الحكم في وسط لجة من الصراعات والمؤامرات، وتكوين قوة عسكرية كويتية مهيبة، واستثمار التنافس الدولي بين القوى الكبرى والعثمانيين لحماية استقلال بلاده، ورفع أول علم وطني يحمل اسم «كويت»، وتحديد حدود الإمارة.

## أولاً: توطيد أركان الحكم

وصل مبارك إلى الحكم في ظروف صعبة ووسط مجموعة من الصراعات السياسية والعسكرية انتهت بمصرع أخويه محمد وجراح. وكان من شأن ذلك أن شهدت السنوات الأولى من حكمه سلسلة من الحوادث والمواجهات السياسية والعسكرية، وكان عليه أن يواجه الكثير من محاولات الهجوم على الكويت لإنهاء حكمه بالقوة.

وتداخل الصراع الداخلي في الكويت بتأثيرات إقليمية ودولية. فعلى المستوى الخارجي، كانت هناك محاولات العثمانيين التدخل في شؤون الكويت في مواجهة ازدياد النفوذ الأوروبي، وعكس هذا النفوذ التنافس بين بريطانيا وكل من فرنسا وروسيا وألمانيا. وارتبط ذلك بالصراعات الإقليمية في شبه الجزيرة العربية، وخصوصاً الصراع على حكم نجد والأحساء بين آل سعود وآل رشيد. واستخدم مبارك مختلف الأدوات الدبلوماسية والعسكرية لتوطيد أركان حكمه.

كانت نقطة البداية هي الخلافات بين مبارك وأخويه، التي استمرت بعد وفاتها بسبب مناصرة يوسف الإبراهيم لأولاد محمد وجراح. كان يوسف الإبراهيم من كبار تجار اللؤلؤ في الكويت، وعلى صلة مصاهرة مع آل صباح، وتمتع بنفوذ كبير في فترة حكم الشيخ محمد بن صباح الثاني.

وقد سعى يوسف الإبراهيم لتقويض حكم مبارك متحالفاً مع بعض المسؤولين العثمانيين، وكذلك مع آل رشيد. ومثل هذا السعي من جانب يوسف الإبراهيم السمة الرئيسية للعلاقات الكويتية العثمانية في السنوات الأولى من حكم مبارك، ولم تتوقف جهود الإبراهيم هذه الجهود إلا بوفاته في ١٢ مارس/ آذار ١٩٠٦.

حاول يوسف الإبراهيم استعداداً حمدي باشا والي البصرة على الشيخ مبارك مستخدماً لتحقيق هذا الهدف كل أساليب الإغراء الدبلوماسية. فمع العثمانيين، لوّح لهم بأن مبارك موالٍ للإنكليز، وأنه - أي يوسف الإبراهيم - سيعمل على إعادة نفوذ السلطنة العثمانية إلى الكويت. وفي اتصاله بالقنصل البريطاني في البصرة، وكذلك المقيم البريطاني في بوشهر، وعد الإنكليز بطلب الحماية البريطانية للكويت إذا تدخلت لندن لإنهاء حكم مبارك. كما استخدم سلاح المال لتحقيق هدفه. وإضافة إلى الاتصالات السياسية واستخدام المال، فقد لجأ يوسف الإبراهيم أيضاً إلى سلاح القوة ونظم أكثر من محاولة لغزو الكويت عسكرياً.

ووجدت مساعي يوسف الإبراهيم لدى العثمانيين آذاناً صاغية. فقد كان عدم قبول شيخ الكويت لحامية عسكرية أو مندوب سياسي عثماني، وحرصه على الاستقلال الداخلي للكويت يمثلان العقبة في المحافظة على نفوذ السلطان العثماني في ساحل الخليج من الناحية الجغرافية، إذ كان موقع الكويت بين مقاطعتي الأحساء والبصرة، وكتاهما كانت مقاطعة تابعة للعثمانيين. ومن ثم مثلت الكويت، بحكم موقعها، فاصلاً وانقطاعاً لامتداد السيطرة العثمانية<sup>(١)</sup>. ومن أمثلة رفض الشيخ مبارك لوجود حامية عسكرية عثمانية في الكويت ما حدث في سبتمبر

(١) جمال زكريا قاسم: الخليج العربي. دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠-١٩١٤ (القاهرة: مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٦٦)، ص ص ٣٧٤-٣٧٥.

١٨٩٩ عندما وصل أميرال بحري عثماني إلى الكويت ومعه خمسة عساكر، استضافهم الشيخ مبارك في بيته. وعندما سأله الشيخ عن أسباب قدومه إلى الكويت، أفاد بأنه مكلف من حمدي باشا والي البصرة بأن يكون قائداً بحرياً في الكويت. وكان رد الشيخ سريعاً وحاسماً بأن الكويت «لا تحتاج إلى قائد بحري وأن عليه أن يعود من حيث أتى وألا يتم تنزيل شيء من حملته وأن يسافر في الليلة نفسها»<sup>(١)</sup>.

من ناحيته، لم يقف مبارك ساكناً، وكان متابعاً لتحركات يوسف الإبراهيم ساعياً إلى إفساد مخططاته، مستخدماً الأساليب والأدوات نفسها. فأظهر موالاته للسلطة العثمانية وحرصه على استمرار الصلة بها، ولم يدخر وسعاً في تقديم الهدايا إلى المسؤولين العثمانيين محذراً إياهم من تربص الإنكليز بإمارته، ورفع العلم العثماني على قصره. وسعى إلى رجب باشا والي بغداد لإقناع الباب العالي بأن ما حدث في الكويت هو شأن داخلي وأمر عادي، وليس من شأنه التأثير على علاقات الكويت باسطنبول. وهدف مبارك من وراء ذلك تدعيم مركزه في الداخل، وتحييد الدولة العثمانية من الوقوف إلى جانب خصومه، فضلاً عن المحافظة على ممتلكاته في البصرة<sup>(٢)</sup>. وكان متأهباً لاحتمالات الغزو وأخذ عدته لمواجهة. وفي الوقت نفسه، وتحسباً لأي احتمالات مفاجئة، فقد بدأ الشيخ إجراء اتصالات سرية مع الإنكليز لمواجهة الضغوط العثمانية المتوقعة.

كان عام ١٨٩٧ عاماً حافلاً بالحوادث والمواجهات بين الشيخ مبارك

(١) عبد الله يوسف الغنيم (تحرير وتقديم): أخبار الكويت. رسائل علي بن غلوم رضا. الوكيل الإخباري لبريطانيا في الكويت (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ٢٠٠٧)، ص ص ٤٥-٤٦.

(٢) وليد حمدي الأعظمي: الكويت في الوثائق الإنكليزية ١٧٥٢-١٩٦٠ (لندن: رياض الريس للكتب والنشر، ط ١، ١٩٩١)، ص ٧٤.

ويوسف الإبراهيم المؤيد من بعض المسؤولين العثمانيين، ومع السلطات العثمانية التي سعت إلى فرض وجودها على أرض الكويت. ففي فبراير/ شباط ١٨٩٧، اتخذ والي البصرة قراراً بتعيين موظف عثماني في مركز الحجر الصحي في الكويت. وكان هذا القرار تغييراً للوضع السائد الذي اكتسبته الإمارة، ولم يكن مبارك مستعداً لقبوله. وهنا بدأ مبارك يتطلع إلى دعم خارجي، خصوصاً مع تهديدات ابن رشيد حليف العثمانيين ويوسف الإبراهيم الذي كان يتطلع لحكم الإمارة.

وكرر فعل على ذلك، طلب مبارك في الشهر نفسه مقابلة مندوب عن المقيم السياسي البريطاني في الخليج، وأعلن له عن رغبته في وضع الكويت تحت الحماية البريطانية حتى لا تقع تحت السيطرة العثمانية، لكن بريطانيا لم تبادر إلى تلبية طلبه على الفور، إذ كان لا بد لها أن تعتبر حاكم الكويت مستقلاً عن الدولة العثمانية، حتى يتسنى لها إبرام معاهدة معه، وأن تراجع عن اعترافها الصادر عام ١٨٧٨ بالسيادة العثمانية على الإمارات العربية المطلة على الساحل الشمالي للخليج<sup>(١)</sup>.

ومع شعور يوسف الإبراهيم بأن جهوده ضد مبارك لم تثمر، لجأ إلى الحل العسكري، فأعد في يونيو/ حزيران ١٨٩٧ حملة بحرية لغزو الكويت تكونت من أربع عشرة سفينة تراوح عدد أفرادها بين ١٥٠٠ و ١٨٠٠ رجل. ولكن مباركاً علم بأمرها واستعد لمواجهة بحراً، وألحق الهزيمة ببرجال يوسف الإبراهيم. ورغم طلب الشيخ من والي البصرة إلقاء القبض على مدبري الهجوم، فإن السلطات العثمانية لم تتعامل مع الأمر بجدية. ورفض والي البصرة طلب الشيخ السماح له بأن تقوم قواته بتعقب يوسف الإبراهيم في المياه العثمانية والإيرانية.

(١) جمال زكريا قاسم: مرجع سابق، ص ص ٢٦٢- ٢٦٣.

وهناك رواية تحكى عن كيف عرف مبارك بأمر هذه الحملة سجلها الشيخ عبد الله النوري في كتابه «خالدون في تاريخ الكويت»، فيذكر أن علي سليمان أبو كحيل الذي كان عائداً بسفينته إلى الكويت فوجئ في عرض البحر برجال يوسف الإبراهيم الذين قبضوا عليه واقتادوه إليه، وسأله يوسف عن أحوال الكويت، وطلب منه معلومات عن الشيخ مبارك. وعندما عاد أبو كحيل إلى الكويت، أسرع بإخبار الشيخ بأن هناك حملة بحرية في طريقها إلى الكويت. لذلك، فعندما وصلت السفن، كانت الكويت كلها على أهبة الاستعداد لملاقاتهم. وبعد انتهاء الأزمة، طلب الشيخ ابو كحيل لمقابلته وسأله: ماذا تريد يا علي مكافأة لك؟ إلا أن أبا كحيل لم يطلب شيئاً. فأعطاه مبارك سفينة اسمها «الميمون» مكافأة له على حسن صنيعه<sup>(١)</sup>.

ولم ييأس يوسف الإبراهيم، فأعاد الكرة بالتنسيق مع الشيخ جاسم بن محمد آل ثاني حاكم قطر لإعداد حملة برية وبحرية في نوفمبر/تشرين الثاني ١٨٩٧، ولكن الخطة لم تر النور. إزاء ذلك، استنجد يوسف الإبراهيم بعبد العزيز بن متعب الرشيد أمير حائل ونجد الذي اشتهر باسم أمير الجبل. وكان لابن الرشيد أسبابه في السعي إلى إضعاف الكويت التي استضافت منذ عام ١٨٩٢ الأمير عبد الرحمن بن فيصل آل سعود العدو اللدود له. وقادت الحوادث إلى مواجهات عسكرية. كان البريطانيون يتابعون هذه التحركات وحذروا الشيخ من عواقب الهجوم على آل رشيد. واتصلت حكومة الهند بوكيل الشيخ مبارك في بومباي محذرة إياه من عواقب مثل هذا الهجوم، ولكن الشيخ رفض قبول تلك النصيحة<sup>(٢)</sup>.

(١) عبد الله النوري: خالدون في تاريخ الكويت (الكويت: د.ن، ١٩٨٨)، ص ١٥.

(٢) From Viceroy Governor of India to Political Resident Kimball, February 28, 1901.

ويبدو أن السلطات العثمانية أدركت قوة الشيخ، وأن محاولات يوسف الإبراهيم قد أسفرت عن لا شيء. لذلك، صدرت إرادة سلطانية في ديسمبر/كانون الأول ١٨٩٧ بتعيين الشيخ مبارك «قائمقاماً» على الكويت، ويتخضع راتب سنوي له قدره ١٥٠ كارة (الكاراة تساوي حوالي طن ونصف الطن) من التمر تحولت إلى راتب سنوي قدره ٣٠٠ جنيه استرليني<sup>(١)</sup>.

استمرت المواجهات العسكرية بين مبارك وابن الرشيد. وكان أبرز حلقات هذه المواجهات معركة الصريف التي انهزمت فيها قوات الشيخ في مارس/ آذار ١٩٠١ - والتي سنشرحها بالتفصيل في الفصل الرابع. وكانت هزيمة قاسية فتحت الباب لإعادة الدولة العثمانية محاولتها فرض سلطتها المباشرة على الكويت. ففي الشهر التالي، تحرك قاسم باشا القائد العام للقوات العثمانية في العراق على رأس قوة عسكرية إلى البصرة، وكان من المخطط أن تنجبه بعد ذلك إلى الكويت للتخلص من الشيخ مبارك. احتجت لندن على السلوك العثماني، وكان هناك احتمال مواجهة بين البلدين. وكان للسياسة التي اتبعتها محسن باشا والي البصرة الدور الأكبر في عدم حصول مزيد من التصعيد. فقام في ١٨ مايو/ أيار ١٩٠١ بزيارة ودية إلى الكويت يرافقه فيها القائد العام للقوات العثمانية في العراق قاسم باشا - ابن أخت السلطان - وبعض أعيان البصرة وقوة مشكلة من مائة وخمسين جندياً، وصرح أن هدفه هو تهدئة العلاقات بين مبارك وابن الرشيد. ولكنه حاول عند مقابله الشيخ مبارك إقناعه بالرضوخ لأوامر الخليفة العثماني

(١) ج ج لوريمر: دليل الخليج، القسم التاريخي (الدوحة: مطابع علي بن علي) طبعة جديدة معدلة ومنقحة أعدها قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر، ج٣، ص ١٥٢٧. انظر تفاصيل العام الأول من حكم الشيخ مبارك وعلاقته مع السلطات العثمانية في سلطان محمد القاسمي: بيان الكويت. سيرة حياة الشيخ مبارك الصباح (الشارقة: دن، ٢٠٠٤)، ص ص ٢١-٧٤.

باعتبار أن الإمارة هي «سنجق» تابع للدولة، ويقبول حامياً عسكرية عثمانية على أرض الكويت، ولكن الشيخ رفض هذا الطلب<sup>(١)</sup>. وتوضح التقارير التي أرسلتها السفارة الروسية في الاستانة، عن هذه الزيارة التي استغرقت أربعة أيام، أن الشيخ استقبل محسن باشا بحفاوة عربية أصيلة، «ومع ذلك فمنذ اللحظة الأولى لوصوله أفهمه مبارك بكل وضوح بأنه يستقبله ليس باعتباره والياً للبصرة أو مبعوثاً للسلطان، وإنما كمجرد صديق قديم، قدم الكثير من المساعدات للشيخ في وقت الشدة والضيق». وفي تقرير لاحق للقنصل الروسي في البصرة آدموف، ورد أن مباركاً أخبر محسن باشا بأنه نتيجة للخطر العثماني الذي يحدق به فإنه قد دخل تحت حماية دولة أجنبية<sup>(٢)</sup>.

لكن الشيخ كان حريصاً في الوقت نفسه على عدم قطع جسور الصلة مع الدولة العثمانية. وبناءً على طلب الوالي من الشيخ السفر إلى البصرة وإعلان ولائه للسلطان، وافق مبارك على الذهاب إلى الفاو وليس البصرة، وأن يكون السفر على متن مركبه الخاص. وبالفعل، تم السفر يوم ٢٣ مايو/ أيار في مركب الشيخ يرافقه مركب آخر يقل المرافقين والحرس. وكان الشيخ قد اتصل قبل ذلك بالمقيم السياسي البريطاني في الخليج، وأخبره بعزمه على السفر إلى الفاو، وطلب منه متابعة تطورات الوضع. ومن هناك، أرسل برقية تلغرافية إلى الاستانة يجدد فيها الولاء والبيعة للسلطان العثماني<sup>(٣)</sup>.

(١) وليد حمدي الأعظمي، مرجع سابق، ص ص ٢٧-٢٨.

(٢) غيورغي بونداريفسكي (ترجمة د. ماهر سلامة): الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٤)، ص ١٩٨.

(٣) وليد حمدي الأعظمي: مرجع سابق، ص ص ٢٧-٢٨.

ويتضمن الأرشيف العثماني في اسطنبول عديداً من الوثائق التي توضح تراوح تفكير القادة العثمانيين خلال الفترة ١٨٩٩-١٩٠١ بين استخدام العنف وتوظيف الدبلوماسية لكسب تأييد الشيخ مبارك. ففي إحدى وثائق عام ١٨٩٩ ورد قرار مجلس الوزراء بشأن «إيفاد نقيب الأشراف بالبصرة إلى الكويت وفق الإرادة السامية الصادرة في ذلك لإسداء النصح لمبارك الصباح في التزام الطاعة والانقياد للدولة العلية، وتنبئيه إلى الأطماع الأجنبية في الكويت وجوارها، وما في تحقيق هذه الأطماع من مضرات عظيمة للدولة والإسلام»<sup>(١)</sup>. ثم مذكرة رئيس الكتاب في الديوان الهمايوني في العام نفسه التي جاء فيها «أنه يجب إفهام مبارك الصباح بأسلوب حكيم ولسان مناسب مؤثر أن نجاح الإنكليز في تحقيق أطماعهم التوسعية في الكويت يورث للدولة والإسلام أضراراً عظيمة... وأن عليه بحكم ارتباطه بالدولة العلية ومهمته في صيانة حقوق المسلمين التبادر إلى اتخاذ التدابير المانعة لتحقيق الأطماع الأجنبية». وأضافت الوثيقة أن مباركاً إن فعل ذلك وقدم تعهداً كتابياً بالبقاء على عهده وارتباطه بالدولة العلية فسوف ينال الرتب والتكريم والتشريف<sup>(٢)</sup>.

وعقب قيام المبعوث العثماني بمهمته، أرسل تحسين باشا والي البصرة إلى وزارة الداخلية بتاريخ ٣١ يناير/كانون الثاني ١٩٠٠ مذكرة ورد فيها أن النقيب عاد بالأمس من الكويت إلى البصرة حاملاً رسالة وعريضة ولاء من مبارك الصباح، وطلب والي البصرة تكريم مبارك الصباح برتبة ميرميرات (أمير الأمراء) وبوسام مناسب لهذه الرتبة والعودة إلى صرف المنحة السنوية المقطوعة عنه<sup>(٣)</sup>. ومع عدم حصول تقدم ملموس في

(١) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ١٤ شعبان ١٣١٧ هـ، رقم ٤-٢/٦٩.

(٢) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ٧ رمضان ١٣١٧ هـ، رقم ٤-٢/٦٩.

(٣) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ١٢ شوال ١٣١٧ هـ، رقم ٥-٢/٦٩.

العلاقات العثمانية - الكويتية، ناقش المجلس الوزاري الخاص برئاسة الصدر الأعظم رفعت باشا مسألة إيفاد نقيب أشرف البصرة مرة أخرى لإجراء اتصالات مع شيخ الكويت<sup>(١)</sup>.

وبعد هزيمة مبارك في معركة الصريف، عاود المجلس الوزاري الخاص مناقشة موضوع الوجود العثماني الرسمي في الكويت، وعرضت لجنة خاصة تقريراً بهذا الشأن على المجلس جاء فيه «أن مبارك باشا أصبح يميل إلى الإنكليز بعد تغلب ابن الرشيد عليه، وأن هناك سفينتين حربيتين للإنكليز في المياه الكويتية، وتم فتح وكالتين بحريتين لهم في الكويت ترفعان العلم الإنكليزي، وأن ذلك ناجم عن إهمال الدولة العلية إقامة الدوائر الرسمية فيها من جمارك وميناء حتى الآن». كما ورد في التقرير أن وزير الخارجية العثماني أبلغ السلطان تأييد حكومتي فرنسا وألمانيا لإقامة الدولة العثمانية دوائرها الرسمية في الكويت «لإثبات سلطتها الشرعية في هذا الجزء من ممالكها»<sup>(٢)</sup>.

وفي الوقت نفسه، أرسل محسن باشا والي البصرة إلى إسطنبول بأن الإنكليز يتحينون الفرص منذ سنين عديدة لجذب شيخ الكويت إلى طرفهم، وأشار إلى أنه «وفي أعقاب الهزيمة التي مني بها مبارك باشا أمام ابن الرشيد، أتى مشير الجيش السادس الهمايوني إلى البصرة وأشاع في الناس تشكيل قوة عسكرية تحت قيادة الميرلوا محمد فاضل باشا لإرسالها إلى الكويت، وأدلى ببيانات اشتملت على شيء من التهديد لمبارك باشا». وأضاف والي البصرة أنه قد ترددت إشاعات بأن ابن الرشيد يعد العدة لغزو الكويت، وأنه ترتب على هذه الظروف فتح المجال لبسط نفوذ الإنكليز في الكويت. وقال الوالي إنه شاهد بأمر عينه في زيارته للكويت

(١) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ٧ محرم ١٣١٨ هـ، رقم ٦٩/٢-٥.

(٢) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ١ ربيع الثاني ١٣١٩ هـ، رقم ٦٩/٢-٨.

قبل شهرين سفينة حربية إنكليزية مرابطة في مياه الكويت، وسفناً أخرى تتردد عليها بين حين وآخر، وأنه حاول إقناع مبارك بإنزال قوة عثمانية في الكويت وإنشاء الدوائر الرسمية العثمانية فيها، ولكنه لم يفلح، وأعرب عن استعداده للقيام بنفسه بحركة عسكرية لضمان «الحقوق المقدسة للسلطنة السنية في الكويت»<sup>(١)</sup>.

واستمر اهتمام محسن باشا والي البصرة بالموضوع، فأرسل برقية شفهية إلى إسطنبول ورد فيها أنه كتب إلى مبارك الصباح باشا يسأله عن سبب تردد السفن التجارية الإنكليزية على الكويت بكثرة وإقامة فنار وعوامة، وأنه تسلم من الشيخ رداً مفاده «أن ذلك من أجل تسهيل الحوائج الضرورية لسكان الكويت من أرز وغيره، وإن هذه السفن سيمنع ورودها إلى الكويت بعد قيامها بسفرة أخرى أو سفرتين، أما منح رخصة لوكالة إنكليزية تجارية بالعمل، وإقامة الفنار والعوامة ورفع العلم الإنكليزي والاختلاط بسفينة مصابة بالأمراض السارية فكلها إخبارات كاذبة لا تمت إلى الحقيقة بصلة، وأن جميع الكويت مزدانة برايات النصر العثمانية ويمكن التحقق من ذلك بإيفاد مأمور إلى الكويت». وأضاف والي البصرة أنه سيرسل السفينة «زحاف» فور الانتهاء من تجديدها لإجراء التحقيق في هذا الأمر. وكرر الوالي ما سبق عرضه بشأن «استعداده لقيادة حركة عسكرية تهدف إلى إصلاح الأمور في الكويت إما بإرضاء مبارك في الرضوخ للسلطان الهمايوني وإما بقمهره بالسطوة العسكرية»<sup>(٢)</sup>.

انعقد المجلس الوزاري الخاص برئاسة الصدر الأعظم رفعت باشا لبحث هذه المذكرة. وتم الاتفاق على «دعوة مبارك الصباح باشا إلى البصرة وتأمين حضوره بوسائل مناسبة والتباحث معه سعياً لإقناعه في

(١) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ٥ ربيع الثاني ١٣١٩ هـ، رقم ٤ ج. ١٣١٩ / ٣٦.

(٢) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ٩ ربيع الآخر ١٣١٩ هـ، رقم ٤ ج. ١٣١٩ / ٣٦.

بإنزال قوة عسكرية شاهنشاهية في الكويت وإقامة دوائر الميناء والجمارك فيها، وتكليف وزارة الداخلية إبلاغ هذا القرار لوالي البصرة بعد المصادقة عليه من السلطان»<sup>(١)</sup>.

وفي ٢٦ أغسطس/آب ١٩٠١، أرسل والي البصرة برقية شفرية إلى الباب العالي ورد فيها أن السفينة البحرية «زحاف» التي كانت قد وصلت الكويت قبل ذلك بيومين «أتاه قائد سفينة حربية إنكليزية هناك معلناً الحماية الإنكليزية على الكويت ومهدداً له بالحرب فيما إذا تصدى لإنزال عسكر أو ذخائر حربية فيها». وأضاف قائد السفينة أنه ذهب لمقابلة الشيخ مبارك الذي أنكر الحماية الإنكليزية ولكنه أعرب عن استعداده لقبولها إذا اضطر إلى ذلك<sup>(٢)</sup>. والقائد الإنكليزي الذي تشير إليه هذه الوثيقة هو الكابتن بيرسي قائد السفينة «برسيوس»، الذي حذر قائد «زحاف» من محاولة إنزال أي قوات، لأنه إذا فعل ذلك فسيطلق عليهم النار.

وحسب الوثائق البريطانية، فقد تضمن تقرير قائد السفينة البريطانية أن الضابط التركي أخبره بأن سفينته لا تحمل قوات، وأنه أتى للتفاوض مع الشيخ، وأن الكويت هي إقليم عثماني، وأن الشيخ رعية عثماني، وأن الدول الأجنبية ليس من حقها التدخل في الشؤون الكويتية.

وفي اليوم التالي، التقى قائد السفينة «زحاف» الشيخ، وهدده بأنه سيبقى في الكويت. ورد عليه الشيخ بأنه يستطيع أن يفعل ما شاء طالما أنه لا يحاول إنزال القوات. فهدده الضابط مرة أخرى بأنه سيبلغ السلطات العثمانية في الفاو بما حصل، ثم يعود بسفن وقوات أكبر. ورد عليه الشيخ بأنه يستطيع أن يفعل ما يراه مناسباً له.

(١) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ١٥ ربيع الآخر ١٣١٩ هـ، رقم ٤ ج. ١٣١٩/٣٦.

(٢) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ١٢ جماد الأولي ١٣١٩ هـ، رقم ١٩-٢/٦٩.

وانعقد المجلس الوزاري الخاص في ٢٨ أغسطس/ آب لبحث ما ادعاه قائد السفينة الإنكليزية من إعلان انكلترا حمايتها للكويت، وتم الاتفاق على إصدار تعليمات للسفارة العثمانية في لندن للاتصال بالحكومة الإنكليزية «لحملها على منع المسؤولين من الإدلاء بمثل هذا التصريح المنافي للعلاقات الطيبة بين الدولتين»<sup>(١)</sup>. ووافق السلطان على هذا الإجراء في ٣١ أغسطس/ آب.

وفي ٤ سبتمبر/ أيلول، وبسبب امتداد غياب اللورد لنسدون وزير الخارجية البريطاني عن عمله، نتيجة مرضه ووجوده في أيرلندا، التقى السفير العثماني في لندن مستشار الوزير وأعرب له عن استغراب الدولة العلية هذه التصرفات التي تتعارض مع الاتفاقات القائمة، فرد عليه المستشار بأن هناك سوء تفاهم بين قائدي السفينتين، وأنه سيعرض الأمر على وزير الخارجية فور عودته وبلغه بالرد<sup>(٢)</sup>. ورد وزير الخارجية العثماني على السفارة في لندن في اليوم التالي، مؤكداً على ضرورة «صيانة الحقوق المشروعة للدولة العلية في الكويت»، وأن عقد الحكومة الإنكليزية لأي اتفاق مع القائم مقام مبارك الصباح على حدة يعتبر غير مشروع، أما إذا أرادت عقد اتفاق خاص بحماية سفنها التجارية فيجب عقده بينها وبين الحكومة السنية»<sup>(٣)</sup>.

وعبرت انكلترا عن اعتراضها على مهمة نقيب البصرة في الكويت وقابل القائم بأعمال سفارتها في اسطنبول وزير الخارجية العثماني وهدده بأنه «إن لم يتم إصدار تعليمات إلى النقيب المذكور بالعودة سريعاً إلى البصرة وعدم التصدي في ما بعد لمثل هذا العمل، فإن الحكومة الإنكليزية ستسحب ما

(١) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ١٤ جمادى الأولى ١٣١٩ هـ، رقم ١٩-٢/٦٩.

(٢) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ٢١ جمادى الأولى ١٣١٩ هـ، رقم ٨١/٤١٩.

(٣) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ٥ سبتمبر/ أيلول ١٩٠١، رقم ٨١/٤١٩.

أعطته من تأمينات في المحافظة على النظام القائم في الكويت، وسيكون الباب العالي مسؤولاً عن نتائج ذلك»<sup>(١)</sup>. وزاد من عصبية الدبلوماسية الإنكليزية وغضبها أن مهمة النقيب أحيطت بسرية بالغة، وأنه عندما سألوا الشيخ عن مهمة النقيب، رد بإجابات متناقضة ومختلفة، وذلك بهدف إبقاء العلاقة مع العثمانيين<sup>(٢)</sup>.

وفي اليوم التالي ٦ سبتمبر/أيلول ١٩٠١، أرسلت السفارة العثمانية في لندن إلى الاستانة مذكرة وزارة الخارجية الإنكليزية التي تستنكر فيها ذهاب نقيب البصرة إلى الكويت، وتهديده مبارك الصباح. وتضمنت البرقية التقرير المرسل من قائد السفينة «بومين» الحربية الإنكليزية في الكويت، الذي ورد فيه «أن المأمورين العثمانيين إذا استمروا في خلق المشكلات فقد تضطر الحكومة الإنكليزية إلى البحث عن صورة أخرى للتسوية تكون أقل توافقاً مع منافع الدولة العلية».

وفي اليوم نفسه، أرسل وزير الخارجية العثماني إلى سفارته في لندن برقية بشأن مقابله مع السفير الإنكليزي في الاستانة، والتي أكد فيها السفير «أن حكومته لا تفكر في احتلال الكويت وفرض حمايتها عليها ما لم تقدم الدولة العلية على إرسال قوة عسكرية إليها وما دامت المحافظة على الوضع القائم فيها الآن»، وأكد له الوزير أن الدولة العلية لا تخطط لإرسال قوة عسكرية إلى الكويت في هذا الوقت، وأنها ملتزمة بالمحافظة على الوضع القائم فيها على أن تتعهد إنكلترا بعدم احتلالها وفرض حمايتها عليها<sup>(٣)</sup>.

وفي ١٣ سبتمبر/أيلول ١٩٠١، ردت السفارة العثمانية في لندن برسالة إلى

(١) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ٥ سبتمبر/أيلول ١٩٠١، رقم ٤٢٢/٦٨.

(٢) غيورغي بونداريفسكي: مرجع سابق، ص ٢٤١.

(٣) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ٦ سبتمبر/أيلول ١٩٠١، رقم ٤١٩/٨١.

اسطنبول متضمنة رد وزارة الخارجية البريطانية، في ١١ سبتمبر/أيلول ١٩٠١، الذي يشير إلى «تأييد الحكومة الإنكليزية ما أعطاه السفير الإنكليزي في اسطنبول لوزير الخارجية للدولة العلية من تأمينات في عدم إقدام إنكلترا على احتلال الكويت أو فرض حمايتها عليها بشرط المحافظة على النظام القائم فيها، وامتناع الدولة العلية من إرسال قوة عسكرية إليها»<sup>(١)</sup>. وإزاء تخوف السلطات العثمانية من تزايد النفوذ البريطاني في الكويت، صدر أمر همايوني يتضمن نفي الشيخ مبارك من الكويت نفيًا اختياريًا، وذلك بالسفر إلى إسطنبول وتعيينه عضواً في مجلس شورى الدولة، أو السفر إلى أحد أقطار الدولة العثمانية مع صرف راتب شهري له. وإذا رفض هذا الأمر، فإنه سوف يتم إخراجه من الكويت بالقوة، وسيعامل «معاملة زجرية». وأرسل والي البصرة مصطفى نوري باشا مضمون هذا الأمر إلى الشيخ.

عندما تلقى الشيخ هذه الرسالة، تعامل معها ببرود ودهاء، فكتب كتاباً إلى والي البصرة يشرح له فيه ما قدمه آل صباح من أجل دعم الدولة العثمانية، وأنه مستمر في هذا الطريق. لقد كان الشيخ يعلم بالتأكيد أن والي البصرة لا يملك من أمره شيئاً إزاء الأمر الهمايوني، ولكنه هدف من ذلك إلى كسب الوقت والمراوغة، فكتب رسالة إلى المقيم السياسي البريطاني يخبره فيه بما حصل. وواعد المقيم بالمساعدة.

وعادت «زحاف» إلى الظهور مرة أخرى أمام سواحل الكويت في ١ ديسمبر/كانون الأول ١٩٠١ تُقلُّ رجب النقيب نقيب الأشراف في البصرة، وبصحبته الميرالاي نجيب بك شقيق مصطفى نوري باشا والي البصرة ومعهما قوة من الجيش العثماني، وذلك لإجبار الشيخ

(١) الأرشيف العثماني في إسطنبول بتاريخ ١٣ سبتمبر/أيلول ١٩٠١، رقم ٦٨/٤٢٢.

مبارك على تنفيذ الأمر الهمايوني الذي أُبْلغ بمضمونه من قبل، وأن عدم تنفيذه سيدفعهم إلى إخراجه من الكويت بالقوة. في هذه الأثناء، كان الرد البريطاني سريعاً وحاسماً، فصدرت الأوامر إلى الباخرة «بومين» بأن تبحر إلى ميناء الكويت ثم لحقتها السفينة «سفنكس»، وذلك لإعلان الدعم البريطاني الواضح للشيخ إزاء التهديدات العثمانية. وأكد قائدا السفينتين الشيء نفسه للنقيب، وأنها سيقومان بقصف مدينة الكويت في حال قبول مبارك للإنذار<sup>(١)</sup>، فلم يجد النقيب لنفسه بديلاً سوى التراجع والعودة على ظهر السفينة «زحاف» إلى البصرة. واحتجت الحكومة البريطانية لدى الحكومة العثمانية معتبرة أن ما قامت به يمثل انتهاكاً صارخاً لتعهد السلطان، وأن حكومة صاحبة الجلالة مستعدة لمساندة الشيخ، وأنها لن تسمح بهجوم عثماني على الكويت.

وأرسل وزير الخارجية العثماني إلى سفارته في لندن موضحاً أن «ذهاب نقيب البصرة إلى الكويت لم يكن للتضييق على القائم مقام مبارك بأي شكل، وإنما اغتنم سفر السفينة زحاف فركبها، أما اعتبار الحكومة الإنكليزية وجود شخص من كبار موظفي الدولة العلية في البصرة في إحدى المدن المملوكة بها خرقاً للنظام القائم على الكويت فموجب للتأسف، وإذا أصرت الحكومة الإنكليزية على اعتبار ذلك خرقاً فنحن مستعدون لإحالاته إلى اريتراج لإثبات عدالة قضيتنا». وطلب الوزير عرض هذه التوضيحات شفاهة في أول لقاء مع اللورد لندون<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر تقرير الكابتن سيمونز قائد السفينة بومين إلى القيادة البحرية البريطانية في ١٤ ديسمبر ١٩٠١ في

Captain Simons, Kuwait to Rear-Admiral Bosnquet, 14 December 1901 in Records of Kuwait 1899-1961, Vol 1, Op.cit, pp. 200-202.

(٢) الأرشيف العثماني في إسطنبول بتاريخ ١١ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٠١، رقم ٨/٤٤٣.

ولم ينته الموضوع عند هذا الحد. ففي ١٥ ديسمبر/كانون الأول ١٩٠١ أرسل وزير الخارجية العثماني إلى سفارته في لندن بشأن المعلومات التي تم الحصول عليها، والتي أشارت إلى أن قائد السفينة «بومين» قام بإنزال العلم العثماني الذي ظل يرفرف في سماء الكويت منذ ثلاثمائة سنة «وألقى به على الأرض، ورفع محله العلم المصنوع للكويت خصيصاً المخطط بخطوط عمودية سوداء وبيضاء، وطلب من المأمورين العثمانيين العاملين في الكويت مغادرتها بناءً على ما ادعاه من اتفاق الحكومة السنية وإنكلترا على استقلال الكويت». وأعرب وزير الخارجية عن أسفه لهذا التصرف الغريب، واستعداد بلاده لإحالاته إلى «اربيتراج». وأكد عزم الدولة العلية على الدفاع عن حقوقها السياسية في الكويت. وطلب من سفيره توضيح ذلك لوزير الخارجية الإنكليزي<sup>(١)</sup>.

وفي ١٨ ديسمبر/كانون الأول ١٩٠١، أرسلت السفارة العثمانية إلى إسطنبول برد فعل اللورد لنسدون على ما نقل إليه من معلومات وأنه «عدها أسطورة لا يكاد يصدقها العقل، وقال إن قائد سفينة حربية إنكليزية يتصرف مثل هذا التصرف ولم يرفع تقريراً عنه، فهذا مستحيل». وأضاف أنه سيطلب إيضاحاً بشأن هذا الموضوع من وزارة البحرية، وأكد للسفير العثماني أن الحكومة الإنكليزية تهدف إلى «المحافظة على استاتيكو (يقصد الوضع القائم Status Quo) في المنطقة»<sup>(٢)</sup>.

وفي ٣٠ ديسمبر/كانون الأول، أرسل والي البصرة نوري باشا إلى الباب العالي برقية شرفية بصفة «مستعجل للغاية» ورد فيها أنه منع تصدير التمور والأرز والحبوب من البصرة إلى الكويت «بسبب انحراف مبارك الصباح عن دائرة الطاعة والصدقة»، وأنه أرسل نقيب البصرة والميرالاي

(١) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ١٥ ديسمبر/كانون أول ١٩٠١، رقم ٨/٤٣٣.

(٢) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ١٨ ديسمبر/كانون أول ١٩٠١، رقم ١٨/٤٣٢.

نجيب بك إلى الكويت للمرة الثانية على متن السفينة زحاف «لإيداء النصح لمبارك الصباح بالعودة إلى حظيرة الطاعة والانقياد للدولة العلية»<sup>(١)</sup>. ولكن الشيخ مبارك لم يستجب لذلك.

وفي اليوم التالي، أرسل الصدر الأعظم سعيد باشا إلى السلطان مذكرة بشأن طلب السفير الإنكليزي في اسطنبول رفع الحظر عن إرسال المواد الغذائية إلى الكويت، وهو الطلب الذي أيده السفير الألماني الذي أشار إلى «أن حظر إرسال المواد الغذائية إلى الكويت يضعها في مصاف البلاد الأجنبية، ولا يخلو ذلك من محذور». وأضاف الصدر الأعظم إن منع التصدير إلى الكويت جاء بقرار من والي البصرة، وإنه لم تصدر عن الباب العالي تعليمات بذلك. واستأذن الصدر الأعظم السلطان رفع الحظر. وفي ٣ يناير/كانون الثاني ١٩٠٢، «صدرت الإرادة السنية بالموافقة على ذلك»<sup>(٢)</sup>.

كما أتاحت هزيمة مبارك في موقعة الصريف الفرصة لإحياء جهود يوسف الإبراهيم الذي تعرض للقبائل الكويتية الخاضعة لحكم الشيخ وسلبها مواشيها وجماها. ثم قام في سبتمبر/أيلول عام ١٩٠٢ بتنظيم حملة بحرية لغزو الكويت، حظيت بموافقة والي البصرة مصطفى نوري باشا. ورغم أن يوسف الإبراهيم أحاط هذه العملية بقدر كبير من السرية، إلا أن أمرها انكشف للشيخ جابر المبارك، الذي كان موجوداً في الفاو، وعرف بتحركات يوسف الإبراهيم، فأرسل رسولاً إلى والده يحذره فيها مما يتم التخطيط له، كما أبرق إلى المقيم البريطاني في الخليج بالمعنى نفسه.

(١) الأرشيف العثماني في إسطنبول بتاريخ ٣٠ ديسمبر/كانون الأول ١٩٠١، رقم ٤٢٣/٢٩.  
 (٢) الأرشيف العثماني في إسطنبول بتاريخ ٣١ ديسمبر/كانون الأول ١٩٠١، رقم ٤٢٣/٢٩، وبتاريخ ٣ يناير/كانون الثاني ١٩٠٢، رقم ١٦-٢/٦٩. أنظر تحليلاً وتوثيقاً لهذه المواجهة العسكرية والديبلوماسية المهمة في سلطان بن محمد القاسمي: مرجع سابق، ص ١٧٧-٢٠٢.

وبالفعل، تحركت سفينتان كبيرتان، وكانت نقطة النزول إلى البر عند «رأس العجوزة» شرق مدينة الكويت مباشرة. وكان على متنهما ما يقرب من ١٥٠ رجلاً من المقاتلين المسلحين بالبنادق، ولكن هذه القوة فوجئت بأن أهل الكويت قد بلغهم خبرها، كما وجدت السفينة البريطانية «لابونج» وقائدها أرمسترونغ، والتي كانت على علم أيضاً بهذا التحرك، في مواجهتها. وانتهت هذه المحاولة، كسابقاتها، بالفشل. وبعد قتال عنيف، تم أسر السفينتين بكل ما تحمله من مؤن وسلاح وذخيرة وسلام لتسلك الأسوار<sup>(١)</sup>.

واعتبر أوكنور السفير البريطاني في الاستانة أن هذه العملية تثبت بوضوح التصميم البريطاني للدفاع عن الكويت، كما احتجت لندن لدى السلطات العثمانية على هذه الحادثة، وأخطرتها بأنها سوف تتخذ في المستقبل ما يضمن لها صيانة مصالحها. واعتذرت إسطنبول بأن ذلك تم من دون علمها. ولكن الدولة العثمانية لم توقف ضغوطها على الشيخ مبارك، فشجعت شيخ الزبير على مصادرة أغنامه.

استمرت علاقات الشد والجذب بين السلطات العثمانية والشيخ، ولكن من دون أن تصل أبداً إلى حد القطيعة النهائية، فمن الملاحظ أن كلا الطرفين كان حريصاً على إبقاء الصلة مع الآخر، وكانت علاقات التعاون تحتلط بعلاقات المواجهة والصراع في الفترة التاريخية نفسها. وعلى سبيل المثال، ففي نهاية عام ١٩٠٤ وأوائل عام ١٩٠٥، ورغم أن علاقات الشيخ اتجهت إلى التحسن مع إسطنبول، فإن السلطات العثمانية تقدمت في مطلع عام ١٩٠٥ بمجموعة اقتراحات شملت نشر حامية عسكرية وافتتاح مكتب بريد ومكتب للحجر الصحي في الإمارة. ورفض الشيخ

(١) هـ. ر. ب. ديكسون (ترجمة فتوح عبد المحسن الخترش): الكويت وجاراتها (الكويت: ذات السلاسل، ١٩٩٥). ص ١٠٢.

هذه الاقتراحات، لكنه وافق على مد خط تلغرافي من البصرة إلى القطيف عبر الكويت، كما وافق على نقل البريد العثماني من وإلى مدينة «الحسا» براً مروراً بأراضي الكويت.

ورافق ذلك قيام الشيخ بالتبرع لبناء ثكنات عسكرية في البصرة، كما وافق على تسليم السلطات العثمانية المجرمين الفارين من أراضيها. وتعاملت السلطات العثمانية مع ذلك بروح إيجابية. فوافقت للشيخ على تصريح لبناء مرسى بحري في الفاو في مواجهة الأراضي المملوكة له. لم يعد باقياً في هذا المجال سوى المضايقات التي أثارها يوسف الإبراهيم من آن إلى آخر، وبوفاته في ٢٥ يناير/ كانون الثاني ١٩٠٦ انتهت مرحلة استثمار النزاع الداخلي في الكويت، وتوطد حكم مبارك<sup>(١)</sup>.

لم ييأس أعداء مبارك من المسؤولين العثمانيين، فقاموا بتشجيع شيخ المنتفق سعدون منصور باشا، الذي كانت السلطات العثمانية قد اضطهدته عام ١٩٠٣ فرحل إلى الكويت وعاش لفترة تحت حماية الشيخ مبارك، على إعداد العدة للهجوم على الكويت. وانتصر على القوات الكويتية في معركة هدية في ١٠ يونيو/حزيران ١٩١٠ التي كان يقودها الشيخ جابر الصباح والأمير عبد العزيز بن سعود. وعندما وصل الخبر إلى الشيخ مبارك، علق بأنه سوف يحشد جيشاً بضعف قوة هذا الجيش، وسوف يهزم شيخ المنتفق وهو ما حصل بعد خمسة أشهر في معركة «مزبورة» والتي تم فيها رد اعتبار الكويت وشيخها عن الخسارة التي حصلت في معركة هدية، وهزم فيها شيخ المنتفق شر هزيمة<sup>(٢)</sup>.

هذه التقلبات في العلاقات بين الشيخ مبارك والدولة العثمانية كان

(١) ميمونة الخليفة الصباح: الكويت في ظل الحماية البريطانية (الكويت: د.ن، ١، ١٩٨٨)، ص ص ٢٤٠-٢٤١. وغيورغي بونداريفسكي: مرجع سابق، ص ٤٢٣.

(٢) حسين خلف الشيخ خزعل: مرجع سابق، ص ص ١٢٢-١٢٧.

لها صداها في الصحافة وقتذاك. وتعددت الكتابات الصحافية ما بين مؤيد لهذا الطرف وذاك. وعلى سبيل المثال، فقد تناول الشيخ رشيد رضا في مجلة المنار هذا الموضوع في مقالة له بعنوان «مسألة علاقة الشيخ مبارك بالدولة العلية والإنكليز»، دافع فيها عن الشيخ، مؤكداً أنه «عثماني متفانٍ في حب أمير المؤمنين، وأن تدخل الإنكليز في شؤون الكويت هو نتيجة سوء الإدارة العثمانية». ويقتبس رشيد رضا عن الشيخ مبارك قوله «وقد عرضوا عليّ أن أختار لنفسي راية أرفعها علماً لبلدي وأعلن الاستقلال تحت حمايتهم فأبيت ذلك وهذه الريبة العثمانية تراها كل يوم مرفوعة على رأسي»<sup>(١)</sup>.

وفي الاتجاه نفسه، كتب عبد المسيح إنطاكي بك صاحب مجلة العمران القاهرية العديد من المقالات في الدفاع عن الشيخ مبارك، مؤكداً ولاء الشيخ للدولة العثمانية، كان منها خطاب مفتوح على صفحات الجريدة إلى السلطان عبد الحميد مناشداً إياه عدم التفريط في المخلصين من أبناء الأمة العثمانية من أمثال الشيخ مبارك. وأنه رغم كل ما قدمه الشيخ من أجل الدولة العلية، فإنه لم يسلم من وشايات الوشاة «ومع أن مثل هذا الهذيان لا يعبأ به عاقل ولا يعتبر به إلا الجاهل وقد أنكركه كل من عرف الشيخ مبارك أو وقف على شيء من حقيقة حاله، سواء بتمسكه بالدين الإسلامي الحنيف أو بتفانيه في تأييد الخلافة العثمانية»<sup>(٢)</sup>.

وقام إنطاكي بمصاحبة الشيخ مبارك في سفره من المحمرة إلى الكويت عام ١٩٠٧. وخلال هذه الرحلة، أرسل إنطاكي ثلاثاً وعشرين رسالة عن مشاهداته نشرت في مجلة العمران، وجمعها في كتاب بعنوان «الرياض

(١) مجلة المنار، المجلد ١٦، ص ٣٩٨. في حسين خلف الشيخ خزعل: مرجع سابق، ص ص ٦٩-٧٠.

(٢) جريدة العمران، العدد ٢٥٤، السنة التاسعة في المرجع السابق، ص ص ٧٠-٧٣.

المزهرة بين الكويت والمحمرة». وفي العام التالي أصدر كتاباً آخر يؤكد فيه صدق إخلاص الشيخ للدولة العثمانية ورغبته في إحياء مجد الإسلام والمسلمين، وأن التوترات التي أصابت العلاقات بين الشيخ وبعض المسؤولين العثمانيين تعود إلى سوء تقدير هؤلاء المسؤولين وأخطائهم المتكررة في العلاقة مع القادة العرب<sup>(١)</sup>.

ورغم ازدياد العلاقات بين الشيخ مبارك وبريطانيا، وتوظيفه لتلك العلاقات لتكون بمنزلة عنصر توازن إزاء تهديدات الدولة العثمانية، فإن الدبلوماسية البريطانية كانت تدرك أن للشيخ مشروعاته وطموحاته الخاصة به، والتي لا تتوافق دوماً مع المصالح البريطانية. وفي مذكرة بتاريخ ٢١ مارس ١٩٠٢، عبر وزير الخارجية البريطاني لنسدون عن مخاوفه إزاء الشيخ، فورد فيها «أن الموقف في الكويت أصبح أكثر حرجاً، وأن الوقت قد حان لمواجهته بشكل مباشر وصریح» وأن بريطانيا ربطت نفسها بشخص الشيخ مبارك «ومن الواضح أنه رجل لا يوثق به، ولا يعلم أحد أين تبدأ ممتلكاته وأين تنتهي. كما أن التزاماتنا تجاهه هو مثل حدود أرضه، غير محددة»<sup>(٢)</sup>.

وفي أكتوبر/تشرين الأول ١٩٠٢، طلب مبارك إلى حكومة الهند أن تمدّه بمدفعين كي يضعهما في منطقة الجهرة، للرد على اعتداءات القبائل التي

(١) عبد المسيح إنطاكي بك: الآيات الصباح في تاريخ مولانا صاحب السمو أمير الكويت الشيخ مبارك باشا بن الصباح (القاهرة: مطبعة العرب، ١٣٢٦ هـ). ومن ناحية أخرى فإن بعض الصحف التي عبرت عن وجهة نظر الدولة العثمانية دافعت عن حقها في بسط نفوذها وممارسة إشرافها على الكويت. انظر على سبيل المثال جريدة اللواء المصرية أعداد ٤ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٠٢، و٢٦ أبريل/ نيسان ١٩٠٤، و١٤ يونيو/ حزيران ١٩٠٤، و٢٠ يونيو/ حزيران ١٩٠٤، و٢٥ يونيو/ حزيران ١٩٠٤، و١٠ يوليو/ تموز ١٩٠٤، وجريدة العالم الإسلامي الأسبوعية في عدد ٢٨ أبريل/ نيسان ١٩٠٥.

Memorandum by Marquess of Lansdowne, Foreign Office, 21 March 1902 in (٢) Records of Kuwait 1899-1961, Vol 1, Op.cit, , pp. 224-225.

تأتي من تلك الناحية. وأرسلت حكومة الهند الطلب إلى وزارة الخارجية في لندن مع اقتراح برفضه على أساس أن الحكومة البريطانية تعهدت بحماية الكويت، وأنه لا حاجة له إلى تلك المدافع. ووافق وزير الخارجية اللورد لندون على هذا الرأي بشرط تحديد منطقة الكويت بصفة واضحة. من ناحية أخرى، سعت الدولة العثمانية، من آن إلى آخر، لتحسين علاقاتها بالشيخ مبارك. ففي ١١ أكتوبر/تشرين الأول ١٩١٠، أرسل والي البصرة خطاباً إلى «جناب الأجل الأكرم قائممقام الكويت صاحب السعادة حضرة الشيخ مبارك آل الصباح المبارك» يخبره فيه بأن هناك مخصصات سنوية لقائمقام الكويت، وأنه يسأل عن طريقة استلامها، وهل يرغب أن تكون من موازنة منطقة الفاو أو من الخزنة الرئيسية في البصرة.

ورد عليه الشيخ مبارك في اليوم نفسه موقعاً خطابه بلقب «حاكم الكويت ورئيس قبائله» - وكان هذا هو اللقب الذي استخدمه مبارك وليس لقب «قائمقام الكويت» - برسالة يخبره فيها بأنه لم يتلق هذه المخصصات المالية منذ سنوات، وأن ذلك لم يمنعه من العمل بولاء وإخلاص مع الدولة العثمانية، وأنه لا يجد ضرورة لتحميل الموازنة بهذه التكلفة<sup>(١)</sup>. وهكذا رفض الشيخ مبارك أن يتلقى المخصصات الشهرية التي قررتها الدولة العثمانية، وذلك تأكيداً لاستقلاله في إدارة شؤون الكويت، وأن علاقته بالدولة العثمانية هي علاقة معنوية وأدبية. ومع ذلك، كان هناك من المسؤولين العثمانيين من يرغبون في إحراج الشيخ، فنشرت جريدة الدستور الصادرة في البصرة بتاريخ ١١ مايو/أيار ١٩١٢ أنه تقرر تعيين معاش شهري للشيخ مبارك الصباح قدره ٢٠

Kuwait Political Agency, Arabic Documents 1899-1949 (London Archive (١) Editions, 1994), Vol 1, pp. 129-130.

ألف قرش، وهو الأمر الذي كذبه والي البصرة في الجريدة نفسها بتاريخ ٢٢ مايو/ايار(١).

ولم تياس الدولة العثمانية، وحاولت استرضاء الشيخ. ففي عام ١٩١١، أبلغ والي البصرة الشيخ « باستعداد الحكومة العثمانية لمنحه فرماناً يضمن له حفظ مركزه، والامتناع عن التدخل في شؤون بلاده المحلية، بشرط أن يسجل أبناءه رعايا عثمانيين»، ولم يوافق الشيخ على هذا الاقتراح. وأعدت الدولة العثمانية الكرة عام ١٩١٣، وذلك عن طريق والي البصرة الذي عرض على الشيخ بأن يقوم الوالي باستشارته «في كل الأمور المتعلقة بالبصرة وبادية العرب ويساعده في السيطرة على القبائل في الصحراء». وأدرك الشيخ أن الهدف من هذا العرض هو ربطه بعجلة الدولة العثمانية، وأنه «سيدخله في مشكلات مع القبائل، فاعتذر بكبر سنه وانشغاله بشؤون رعيته وبلده»(٢).

Ibid, p. 131(١)

From Political Agent in Kuwait Shakespear to Political Resident, November (٢) .10,1913



## ثانياً: إستغلال التنافس الدولي

منذ تولي الشيخ صباح آل صباح الحكم، وهو أول حاكم للكويت من أسرة الصباح، سعى حكام الكويت إلى اتباع سياسة حذرة هدفت إلى المحافظة على استقلال بلادهم، وعدم السماح بوجود أجنبي على أراضيها. وشهدت الحقب السابقة لوصول الشيخ مبارك إلى الحكم في نهاية القرن التاسع عشر تحديات خارجية هددت الكويت. كان أبرزها محاولة شركة الهند البريطانية أن يكون لها دور أكبر في شؤون الكويت، بدعم سياسي بريطاني، وتساعد نفوذ الحركة الوهابية في شبه الجزيرة العربية، وسعى أنصارها إلى مد نفوذها ونشر أفكارها في الكويت.

تجاه ذلك، استخدم حكام الكويت الصلة بالدولة العثمانية لتحقيق التوازن في مواجهة هذه التحديات. لم تكن هناك علاقة قانونية بين الطرفين، ولم يحصل أن عينت إسطنبول حاكماً على الكويت، مثلما فعلت مع الولايات العثمانية التابعة لها في المشرق العربي ومصر، واقتصرت العلاقة على اعتراف الدولة العثمانية بشيخ الكويت، ومنحه مخصصات مالية. وظلت سلطة السلطان العثماني على الكويت اسمية ومعنوية. وإن كان ذلك لم يخل دون سعي بعض المسؤولين العثمانيين، وبالذات والي البصرة، إلى التدخل في شؤون الكويت، خصوصاً عندما يشعرون بأن شيخ الكويت يواجه مشكلة أو يتعرض لأزمة، وأنه يحتاج إلى مساعدة العثمانيين ودعمهم.

ومع بداية حكم مبارك، بدأت صفحة من محاولات حمدي باشا والي البصرة لمد النفوذ العثماني على الكويت، وان يحوله من نفوذ اسمي إلى واقع عملي. وتعارض هذا التوجه مع طموح الشيخ مبارك في المحافظة على استقلال نظام حكمه، كما تعارض مع المصالح الإنكليزية التي حرصت على إبقاء الخليج ممراً بحرياً مفتوحاً مع الهند، والحيلولة دون تغلغل أي نفوذ عثماني أو أوروبي آخر في المنطقة.

كان اسم الكويت، منذ سبعينات القرن التاسع عشر، قد بدأ في الظهور في الوثائق الدبلوماسية والاستراتيجية الإنكليزية. ففي عام ١٨٧١، أوصت لجنة برلمانية بريطانية بإنشاء خط سكة حديد يربط الاسكندرونة على البحر الأبيض المتوسط بمدينة الكويت. ومن قبل، سلط تقرير الكولونيل بيلى الضوء على الميزات الملاحية لميناء الكويت مبرزاً أهميتها التجارية والاستراتيجية لبريطانيا.

وعبر مندوب جريدة الأهرام القاهرية بتاريخ ١٦ سبتمبر/أيلول ١٩٠٤ عن تزايد الأهمية الاستراتيجية للكويت وتركيز إنكلترا عليها بقوله «الكويت مهمة جداً لأنها هي مدخل المنطقة بأسرها. فمنها يمتد الطريق الوحيد إلى داخل الجزيرة العربية. ومن الكويت أيضاً يخرج الطريق إلى العراق وبلاد ما بين النهرين. فالطريق من الكويت إلى العراق يتلاني العقبات الموجودة في شط العرب وفروعه»<sup>(١)</sup>. أضف إلى ذلك، أن الظروف الدولية المتغيرة وتصاعد التنافس الأوروبي في الخليج زادت من أهمية الكويت ومكانتها الاستراتيجية، وهو الأمر الذي سنتناوله في الفصل الخامس من هذا الكتاب.

ما نريد التركيز عليه في هذا الجزء هو كيف تلاقت مصالح كل من

(١) الأهرام، ١٦ سبتمبر/أيلول ١٩٠٤.

الشيخ مبارك وبريطانيا التي قادتها إلى توقيع اتفاق الحماية في ٢٣ يناير/ كانون الثاني ١٨٩٩. منذ البداية، راجت إشاعات عثمانية حول علاقة مبارك بالإنكليز، فردد البعض أن أول اتصالات له مع ممثلين للسلطات الإنكليزية كانت في بومباي، حيث عاش هناك لفترة قبل وصوله إلى الحكم، واتهمت إسطنبول المقيم السياسي البريطاني في بوشهر بتدبير الحوادث التي انتهت بوصول مبارك إلى السلطة. من ناحيتها، تعاملت الحكومة البريطانية مع الشيخ مبارك باعتباره حاكماً مستقلاً ومسؤولاً عن سلوك الخاضعين لحكمه. لذلك، فعندما أتهم بعض رجال الشيخ بواقعة سلب في مياه شط العرب، اعتبرت الخارجية البريطانية أن المسؤولية تقع على كاهل شيخ الكويت باعتبار أنه «حاكم مستقل لا يعترف للدولة العثمانية إلا بسلطة اسمية»<sup>(١)</sup>.

وعندما انتشرت الأخبار حول موقف مبارك تجاه الدولة العثمانية التي كان يُنظر إليها في تلك الأيام باعتبارها رمزاً للإسلام ولوحدة المسلمين، فقد ثار الجدل وأصبح موضوع الكويت محلاً للمناقشة بين مؤيد ومعارض لهذا الطرف أو ذاك. وسمّى بعض المجلات هذا الموضوع «فتنة الكويت»<sup>(٢)</sup>.

بدأ مبارك في اتصالاته بالإنكليز عام ١٨٩٦، وطلب حمايتهم لاستقلال الحكم في الكويت بعيداً عن النفوذ العثماني، وذلك عندما كانت وطأة مؤامرات يوسف الإبراهيم وتدخلاته، بتأييد من السلطات العثمانية، تكاد لا تتوقف. مع ذلك، فقد كان الشيخ مبارك حريصاً على إظهار الولاء للدولة العثمانية. لذلك، رفض الصعود الى ظهر السفينة البريطانية

(١) أحمد مصطفى أبو حاكمة: تاريخ الكويت الحديث ١٧٥٠-١٩٦٥ (الكويت: ذات السلاسل، ط١، ١٩٨٤)، ص ص ٣٢٠-٣٢١.

(٢) انظر على سبيل المثال مجلة المنار: فتنة الكويت، الجزء عشرين، (١ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٠١)، ص ٧٩٩.

«سفنكس» في ٣ يوليو/تموز ١٨٩٦، والتي كانت قد أرسلتها حكومة الهند الإنكليزية للتأكد من صحة الحوادث التي وقعت في الكويت، والتي أدت إلى وصوله إلى الحكم.

وذكر الكابتن بيكر في تقريره أن دخول السفينة إلى الكويت أوجد انزعاجاً كبيراً، وأن مباركاً لم يرد له الزيارة التي قام بها إليه. وأضاف أن الشيخ كان يرفع العلم العثماني على قصره، وأنه عندما سأله عن سبب ذلك، راوغه في الإجابة حتى انه أخذ انطباعاً بأن الكويت تحت النفوذ العثماني، وأن هذا النفوذ ازداد بعد تولي الشيخ مبارك الحكم. ومع كل مظاهر الولاء التي أبداهها الشيخ مبارك، فإن السلطات العثمانية لم تطمئن إليه، وكانت لديها شكوك حول سعيه إلى الابتعاد عن مجال نفوذها. وكان من شأن هذا السلوك العثماني أن دفع الشيخ مبارك أكثر إلى طلب الحماية البريطانية<sup>(١)</sup>.

وحسب ما ورد في الوثائق البريطانية، فقد كان أول اتصال من جانب الشيخ في ١٥ فبراير/شباط ١٨٩٧ من خلال صديقه محمد رحيم بن عبد النبي صفر، الوكيل السياسي البريطاني في البحرين، الذي أعرب له عن رغبته في لقاء أحد المسؤولين البريطانيين في بوشهر. ولما كانت السياسة البريطانية وقتذاك تتضمن عدم الاتصال مع شيوخ المناطق التي تعتبرها بريطانيا جزءاً من الدولة العثمانية، فإن الشيخ لم يتلق رداً على طلبه. وفي نهاية مارس/آذار، أرسل الشيخ مبارك إلى صديقه في البحرين مرة أخرى مذكراً إياه بأنه مازال ينتظر إجابة على طلبه الذي تقدم به.

وبعد مناقشات مطولة في أروقة الدبلوماسية البريطانية شملت المقيم

(١) د. ميمونة الخليفة الصباح: مرجع سابق، ص ٢٢٨-٢٢٩. وانظر أيضاً فتوح عبد المحسن الخطرش: تاريخ العلاقات السياسية البريطانية - الكويتية ١٨٩٠-١٩٢١ (الكويت: دار ذات السلاسل، ١٩٧٤).

السياسي في بوشهر وحكومة الهند البريطانية في الهند ووزارة الخارجية في لندن، تم الاتفاق على فتح قناة اتصال مع الشيخ مبارك. وتم إبلاغ محمد رحيم صفر بترتيب لقاء للشيخ مع جاسكن مساعد المقيم السياسي في بوشهر في المحمرة يوم ٢٩ أبريل/نيسان. وبالفعل، وصل جاسكن المحمرة في الموعد المتفق عليه، بينما لم يصل الشيخ مبارك. ونحن لا نعرف على وجه التأكيد أسباب غياب الشيخ عن الاجتماع الذي طالما انتظره، وما إذا كان السبب يرجع إلى عدم وصول الدعوة إليه في الوقت المناسب، أم أن الشيخ علم بالدعوة ولم يتمكن من تلبيتها بسبب الأوضاع السياسية في الكويت والمنطقة، وخصوصاً محاولات يوسف الإبراهيم المتكررة لغزو الكويت وإبعاد الشيخ عن السلطة.

أرسل الشيخ خطاباً مباشراً إلى المقيم السياسي ورد فيه أنه لا يستطيع السفر خارج الكويت، ولا يفضل إرسال وفد لمقابلة مساعده. واقترح على المقيم السياسي أن يرسل إليه مندوباً أو ممثلاً له لكي يتباحث معه مباشرة.

وبالفعل، قام مساعد المقيم السياسي جاسكن بزيارة للكويت على ظهر السفينة «لورنس» في ٥ سبتمبر/أيلول ١٨٩٧، وقابل الشيخ مبارك مرتين بحضور الكابتن هويت قبطان السفينة. وقدم جاسكن تقريراً مفصلاً عن زيارته إلى المقيم السياسي ميد الذي رفعه بدوره إلى حكومة الهند البريطانية في ٢٥ سبتمبر/أيلول ١٨٩٧. وسجل التقرير أن المقابلتين قد تمتا على الشاطئ، وذلك لرغبة الشيخ مبارك في عدم الصعود إلى السفينة خشية ما قد يسببه ذلك له من مشكلات مع السلطات العثمانية في الوقت الذي لم تكن فيه لندن قد حسمت أمرها بعد بشأن الحماية البريطانية على الكويت.

ووفقاً للتقرير، فإن الهدف من زيارة جاسكن كان تحذير الشيخ من

مغبة تورط سفنه ورجاله في أعمال القرصنة، وأن السلطات الإنكليزية سوف تحمله مسؤولية أي عمليات قرصنة يقوم بها رعاياه ضد السفن البريطانية، مثل حادث الاعتداء على السفينة البريطانية «هاريباسا» عام ١٨٩٥ في شط العرب. وقد أنكر شيخ الكويت قيام أي من رعاياه بمثل هذه الأفعال، وذكر أن مصدر القرصنة هو في الجانب المقابل في الخليج، وإن سفن الكويت قد تعرضت أكثر من مرة لأعمال السلب والنهب، وأبدى استعدادة للتعاون في محاربة القرصنة والقراصنة.

ثم أشار الشيخ أنه يرغب هو وشعبه في وضع الكويت تحت الحماية البريطانية، أسوة بالبحرين ومشيخات الساحل المتهدان. وأنه إذا تحقق ذلك، فإنه مستعد للتعاون مع بريطانيا في المحافظة على القانون والنظام في المناطق التي يفرض سيطرته عليها في الخليج. وشرح لجاسكن أن الأتراك لا يمكن الاعتماد عليهم، وأنه وشعبه يعتقدون أن تركيا تريد التهام الكويت، وأنه يرغب في الحماية البريطانية لمنع ذلك من الحصول<sup>(١)</sup>.

وأضاف ميد انه يشك في نوايا الشيخ ورغبته في كسب ود بريطانيا، وذلك لارتباطه بالدولة العثمانية ودعمه المالي لها. وكان معنى ذلك، أن الشيخ أراد توظيف اتصاله بالبريطانيين كورقة ضغط على السلطات العثمانية ومنع تدخلها في شؤون بلاده الداخلية. وأرسلت حكومة الهند طلب الشيخ بالحماية البريطانية إلى وزارة الخارجية في لندن، وهو ما رفضته الوزارة استمرراً لسياستها في عدم التدخل في شؤون الكويت طالما أن أمن المنطقة وسلامها لم يتعرضا لخطر أو انتهاك.

ومع ازدياد التنافس الدولي، ومنح الدولة العثمانية في ٣٠ ديسمبر/ كانون الأول ١٨٩٨ للكونت الروسي فلاديمير كابنيست امتيازاً لإنشاء

(١) From Meade to Government of India, September 25, 1897

خط سكة حديد يمتد من طرابلس على البحر المتوسط إلى الكويت، أسرع وزير الخارجية البريطاني سالزبري باتخاذ القرار بضرورة إبرام معاهدة بين الكويت وبريطانيا، وطلب من ميد التوجه إلى الكويت، وتوقيع الاتفاق مع شيخها. فوصلها في ٢١ يناير/كانون الثاني ١٨٩٩ على متن السفينة «لورنس». وكانت السفينة العثمانية «زحاف» موجودة في الميناء، ثم غادرته في اليوم التالي.

ويمكن تحديد الدوافع التي دعت الإنكليز إلى إبرام المعاهدة في أربعة أسباب: أولها، المعلومات التي وصلت بريطانيا بشأن تجميع قوات عثمانية في البصرة وتجهيزها لغزو الكويت، وإقصاء مبارك عن السلطة. وثانيها، قيام السفارة الروسية في الاستانة بممارسة التحريض ضد الإنكليز، فضلاً عن سعي روسيا للحصول على موافقة الباب العالي لإنشاء خط سكة حديد يمتد إلى الكويت، وتقدمها بطلب للسلطات العثمانية لإنشاء محطة للفحم فيها. وثالثها، سعي ألمانيا، التي تغلغت في أملاك الدولة العثمانية اقتصادياً وتجارياً، إلى إنشاء خط سكة حديد يربط بين برلين وبغداد، وكان من المفترض أن ينتهي هذا الخط في الكويت. ورابعها، تولي اللورد كيرزون منصب نائب الملك ورئيس حكومة الهند عام ١٨٩٨. فقد كان كيرزون من الدبلوماسيين البريطانيين الذين أدركوا أهمية منطقة الخليج مذ كان وكيلاً لوزارة الهند، ثم سفيراً لبلاده في طهران، فوزيراً للخارجية البريطانية عام ١٨٩٢ وسعى لفرض السيطرة البريطانية عليه.

وكان من أهم أفكار كيرزون السياسية أن سلامة الهند ترتبط ارتباطاً مباشراً بسيطرة بريطانيا على الخليج. وترتب على ذلك ضرورة الحيلولة دون قيام أي دولة أوروبية بها من شأنه الحد من النفوذ البريطاني في المنطقة. لذلك، نهج في سياساته تجاه إمارات الخليج نهجاً مختلفاً عن نهج من سبقوه، واستقر رأيه على ضرورة الدخول في مفاوضات مع

الشيخ مبارك لوضع الكويت تحت الحماية البريطانية<sup>(١)</sup>. من ناحية أخرى، كانت للشيخ مبارك أسبابه لعقد المعاهدة مع الإنكليز، منها الخلاف الذي نشأ بينه وبين الدولة العثمانية، والدور الذي لعبه يوسف الإبراهيم في إثارة عداة حمدي باشا والي البصرة ضده، والتهديد الذي مثله ابن رشيد حليف العثمانيين للكويت، والتحالف الذي نشأ بين الشيخ جاسم حاكم قطر وابن الرشيد ويوسف الإبراهيم. وإزاء هذه الأخطار، أراد مبارك أن يضمن حماية بريطانيا العسكرية والسياسية استقلال بلاده والمحافظة على حكمها في أسرة آل صباح. وربما نظر مبارك إلى هذه الحماية باعتبار أنها تعطي للكويت الأمان والاستقرار اللذين يتيحان له ممارسة سياسة إقليمية نشطة وفعالة.

وبالفعل، تم توقيع الاتفاق في ٢٣ يناير/كانون الثاني ١٨٩٩ من جانب الشيخ مبارك حاكم الكويت، والكولونيل ميد المقيم البريطاني في الخليج، ووقع كشاهدين محمد رحيم بن عبد النبي صفر الوكيل البريطاني في البحرين وجاسكن مساعد المقيم السياسي البريطاني، وحرر منه ثلاث نسخ. ورفض إخوة الشيخ مبارك التوقيع على الاتفاق. وفسر ميد ذلك بأنه كان «تمثيلية» تهدف إلى الضغط على الحكومة البريطانية من أجل حماية أملاك آل صباح في أراضي الدولة العثمانية.

ووفقاً لهذا الاتفاق، تعهد شيخ الكويت «عن نفسه وورثته وخلفائه من بعده بالألا يقبل وكيلاً أو قائماً من جانب دولة أو حكومة في الكويت أو في منطقة أخرى من حدوده بغير رخصة الدولة البهية القيصرية»، كما ألزم نفسه وورثته وخلفائه من بعده بالألا يتنازل أو يبيع أو يؤجر أو يرهن

(١) د. صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٥)، ص ص ١٩٣-١٩٥. وكذلك عبد العزيز حسين: محاضرات عن المجتمع العربي بالكويت (القاهرة: معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٥)، ص ص ٢٨-٢٩.

أو يعطي للتملك أو لأي غرض آخر أي جزء من أراضيه إلى حكومة أو رعايا دولة أخرى من دون موافقة الحكومة البريطانية. وعندما طلب المقيم السياسي البريطاني من مبارك التوقيع على هذا الاتفاق رفض، طالباً أن يكون هناك نص كتابي يتضمن موافقة بريطانيا على حمايته إذا تعرضت بلاده للخطر.

ومع أن ميد شرح للشيخ أنه لا يمكن وضع هذا الشرط ضمن بنود الاتفاق لأنه غير محول بذلك، وإن مثل هذا النص غير وارد في أي اتفاق أبرمته بريطانيا مع شيوخ الخليج، فإن الشيخ أصر على طلبه. وتمت تسوية الموضوع بعمل ملحق للاتفاق تضمن رسالة من ميد إلى الشيخ تؤكد أن الحكومة البريطانية ستبذل «خدماتها الطيبة» في حال ظهور أي خطر يهدد الإمارة. كما تمت إضافة بند إلى الاتفاق، بناء على طلب الشيخ، يجعل الالتزام البريطاني إزاء الكويت يمتد إلى أي جزء من الأراضي المملوكة للشيخ حتى لو كانت تقع تحت تصرف رعايا الدول الأخرى. وكان المقصود بذلك الإشارة إلى التزام بريطانيا بضمان بقاء مزارع النخيل في منطقة الفاو مملوكة لأسرة آل صباح. وأكد ميد للشيخ على ضرورة عدم الإعلان عن هذا الاتفاق حتى لا تتم استشارة الدول الأخرى.

ولضمان متابعة المقيم السياسي البريطاني في بوشهر لأنشطة الشيخ وتحركاته ولأحوال الكويت، تم في يونيو/ حزيران ١٨٩٩ تعيين علي بن غلوم رضا ليكون «مندوباً إخبارياً في الكويت». وكان ذلك جزءاً من ممارسات الدبلوماسية البريطانية في الخليج، فقامت بتعيين وكلاء ومندوبين إخباريين لها من جنسيات أخرى عملوا في مشيخات الخليج تحت شعار النشاط التجاري. وكانت أولى رسائل غلوم في ٤ سبتمبر/ أيلول ١٨٩٩، والتي كُتبت باللغة الفارسية، وآخرها في ١٠ مايو/ أيار ١٩٠٤، وكان ذلك قبل تعيين أول وكيل سياسي بريطاني

بصفة رسمية في الكويت بأقل من شهر<sup>(١)</sup>.

لم يكن ممكناً المحافظة على سرية هذا الاتفاق، وكما ورد في رسالة علي بن غلوم في ١٨ ديسمبر/ كانون الأول ١٨٩٩ ، «فإن أهالي الكويت يتداولون بينهم سرّاً نبأ اتفاق تم بين الشيخ مبارك والوكيل السياسي»<sup>(٢)</sup>. كما تسربت هذه الأخبار إلى الدولة العثمانية. وكرد فعل مباشر، تمت إقالة والي البصرة الضعيف أنيس باشا، وحل محله حمدي باشا الذي شغل هذا المنصب حتى بداية عام ١٨٩٧، والذي تركه بضغوط من مبارك بسبب مواقفه المعادية له. وهو ما أكده كروجولوف القنصل الروسي في بغداد في تفسيره لإقالة أنيس باشا وأن «المسألة الكويتية هي صاحبة الدور الأول في تغيير والي البصرة». وبالفعل، بدأ الوالي الجديد في الاستعداد لاتخاذ تدابير سياسية وعسكرية من أجل إخضاع الكويت. واقترح على الباب العالي أهمية زيادة عدد وحدات الأسطول العثماني الموجودة في مياه الخليج<sup>(٣)</sup>.

كما تسربت أخبار عن توقيع هذا الاتفاق إلى الإمبراطوريتين الألمانية والروسية، اللتين نظرنا إليه على انه بداية لمرحلة جديدة من النفوذ البريطاني في الخليج تستدعي تحركاً سياسياً من جانبها لدعم النفوذ العثماني في الكويت. ولعل هذا ما يفسر أنه في الوقت نفسه تم الانتهاء من المحادثات المتعلقة بمنح البنك الألماني رخصة بناء خط سكة حديد بغداد.

استمر الاتفاق غير معلن بصفة رسمية حتى عام ١٩٠٣. عندما أعلن اللورد لنسدون في مجلس العموم البريطاني أن شيخ الكويت يرتبط مع بريطانيا باتفاق حماية. وكان هذا التصريح هو أول إعلان

(١) د. عبدالله يوسف الغنيم (تحرير وتقديم): أخبار الكويت... مرجع سابق. ص ص ٥-١٠، وص ١٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٤.

(٣) غيورغي بونداريفسكي: مرجع سابق، ص ص ١٣٥-١٣٦.

رسمي بشأن الحماية الإنكليزية للكويت. واستمر هذا الاتفاق أساساً للعلاقات البريطانية - الكويتية حتى حصول الكويت على استقلالها عام ١٩٦١ (١).

ورغم ارتباط الشيخ مبارك بمعاهدة الحماية، واقتناعه بأهمية الدور البريطاني في حماية استقلال بلاده ضد التدخل العثماني، فإنه لم يشأ أن يقطع كل الجسور مع الدولة العثمانية. كان الشيخ مبارك يعرف أن للكويت مصالح كبيرة معها مثل حماية أملاك أسرة آل صباح، منها مزارع النخيل في الفاو، وضمان تأمين القوارب والسفن الكويتية في موانئ الخليج. لذلك، لم يقطع صلة المودة مع الاستانة، فقام بتجديد أحد مساجد الكويت وتوسيعه، وتقدم بطلب لإطلاق اسم السلطان العثماني عليه. وحسب وثائق الأرشيف العثماني في اسطنبول، رفع رئيس الكتاب للسلطان مذكرة بهذا الشأن بتاريخ ١٨ سبتمبر/أيلول ١٩٠٠. وبالفعل صدرت «إرادة سنية» بالموافقة على ذلك (٢).

وفي عام ١٩٠٤، عندما بنى مخلص باشا والي البصرة داراً للقوات البحرية على شط العرب، سارع الشيخ مبارك ودعمه بالمال. وتبرع لدعم بناء ثكنة عسكرية في العشار في العام نفسه، وهو ما جعل جريدة البصرة الرسمية تثنى عليه، وتبارك جهود الشيخ مبارك «التمسك بالعرش الحميدي الأنور... وأن هذه المكرمة والحمية الدليل الواضح والبرهان الساطع على ما جبلت عليه ذاته الكريمة من سجايا الصدق وشيم الإخلاص... لمولانا عبد الحميد خان الثاني». كما تبرع في العام نفسه بمبلغ خمسمائة ليرة عثمانية مساهمة منه لبناء خط سكة حديد الحجاز، إضافة إلى تبرعه بمبلغ مماثل

(١) المرجع السابق، ص ص ١٢١-١٢٥، ص ١٣٥.

(٢) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ٦ جمادى الآخرة ١٣١٨ هـ، رقم ٦-٢/٦٩.

للغرض نفسه في أغسطس/آب عام ١٩٠٦<sup>(١)</sup>.

وتوالت تبرعات الشيخ مبارك تعبيراً عن حرصه على العلاقة مع الدولة العثمانية وإظهار الولاء الرمزي لها. ف تبرع سنة ١٩١١ بخمسة آلاف ليرة عثمانية لمواجهة الآثار المترتبة على حريق الاستانة، وجاءت هذه المساهمة استجابة لدعوة حسين جلال بك والي البصرة، وأرسل الشيخ المبلغ بواسطة سعود الخالد الخضير. كما تبرع في العام نفسه بمبلغ ثلاثة آلاف ليرة عثمانية لمساعدة الدولة العثمانية في حرب طرابلس، وكتب الشيخ رسالة إلى حسن رضا باشا والي البصرة يتمنى فيها الفوز للدولة العثمانية على أعدائها، وأبدى استعداده لإرسال مقاتلين لدعمها. ورد والي البصرة عليه برسالة يشكره فيها على اقتراحه وغيرته على الدولة. وفي عام ١٩١٢ تبرع بألف ليرة عثمانية لخط سكة حديد الحجاز، وبأحد عشر ألف ليرة لدعم الدولة في حرب البلقان.

وعندما نشبت الحرب مع البلغار، تشكلت لجان في أنحاء الدولة لجمع التبرعات للجيش، وتولى السيد طالب النقيب رئاسة هذه اللجنة في مدينة البصرة. وإزاء ذلك، سارع الشيخ إلى التبرع بمبلغ احد عشر ألف ليرة عثمانية، وأرسل خطاباً إلى السيد طالب النقيب ورد فيه أنه يتوقع أن تقوم الدولة العثمانية بتقدير الخدمات التي يقوم بها، وذكر «وهو ذا يا ولدنا قد أجرينا ما هو لازم علينا نحو دولتنا المتبوعة ومنتظر من إنصافكم ما يليق بحق شرفنا لأن الخدمات المالية والبدنية المتصلة نؤمل على كل حال أن يصير تقديرها».

ويبدو أن السيد النقيب قد رفع هذا الخطاب إلى ناظر المالية العثماني عبد الرحمن باشا الذي رد على النقيب بخطاب ورد فيه «وواجب التقدير

(١) ج ج لوريمر: دليل الخليج، ج ٣، مرجع سابق، ص ١٥٦٠، وحسين خلف الشيخ خزعل: مرجع سابق، ص ص ٧٧-٧٨.

جداً و متمناً - المقصود متمنياً - أن تبلغوا أخلص شكرنا لأهالي البحرين المسلمين ولحضرة مبارك باشا الصباح الذين بوطنيتكم وتشويقكم سارعوا صادقين أمثالهم في أمر الإعانة». وكمكافأة له على هذه الخدمات، صدر الأمر السلطاني بمنح الشيخ مبارك الوسام المجيدي من الدرجة الأولى. ووصل وفد عثماني حاملاً هذا الوسام لتسليمه للشيخ برئاسة مفتي البصرة<sup>(١)</sup>. تسلم الشيخ خطاباً من والي البصرة علي رضا باشا بتاريخ ٣ فبراير/ شباط ١٩١٢ أفاده فيه «بورود الوسام المجيدي العالي من الدرجة الأولى الذي أحسن وتلطف به مولانا أمير المؤمنين وإمام المسلمين مؤنث الخلافة العظمى وملاذ السلطنة الكبرى جلالة الخليفة الأعظم على جنابكم العالي»، وأنه كان يتمنى أن يحضر بنفسه إلى الكويت لتسليمه الوسام. ولكن نظراً إلى معرفته بمرض الشيخ، فقد أرسل الوسام مع وفد يضم فضيلة الشيخ عبد الملك أفندي الشواف مفتي البصرة، وصاحب السعادة حضرة الحاج محمود باشا، وكلاً من صاحب العزة نعيم بك رئيس المحكمة الابتدائية، والحاج طه جليبي عضو مجلس إدارة الولاية. وتم تقليد الشيخ الوسام في الاحتفال الكبير الذي عقد بهذه المناسبة أمام قصر السيف<sup>(٢)</sup>.

كما اقترح والي البصرة سليمان شفيق كمال على السلطان منح الشيخ الوسام العثماني الأول، وذلك في مقابل خدماته المتواصلة للدولة العلية. وبالفعل، وافق السلطان، وأرسل وفداً برئاسة سامي بك متصرف الأحساء وعضوية عدد من كبار المسؤولين في البصرة، وتم تقليده الوسام عام ١٩١٣<sup>(٣)</sup>.

(١) عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٢٠٠. وحسين خلف الشيخ خزعل: مرجع سابق، ص ص ٨٣-٨٩.

(٢) Kuwait Political Agency, Arabic Documents, **Op.cit**, p 132.

(٣) حسين خلف الشيخ خزعل: مرجع سابق، ص ص ٩٣-٩٤.

ويتضمن الأرشيف العثماني عدداً من الوثائق التي تشير إلى رغبة الشيخ مبارك في إعطاء الانطباع للعثمانيين بالتأييد والولاء. ففي برقية شفرية من ولي البصرة بالوكالة علي رضا إلى وزارة الداخلية عام ١٩١٣، ذكر فيها «أن الشيخ مبارك باشا قائم مقام الكويت زاره اليوم للتأكيد على صداقته للدولة العلية واستعداده للتضحية بالمال والنفس في سبيل خدمتها، والوقوف صفاً واحداً بجانب مقام الخلافة الإسلامية»<sup>(١)</sup>. كما ورد في برقية شفرية أخرى من ولاية البصرة إلى وزارة الداخلية في العام نفسه، أن الشيخ مبارك قام بزيارة إلى الشيخ خزعل أمير المحمرة في محل إقامته، والتقى عنده بكل من قنصلي انكلترا في المحمرة والبصرة، ودار الحديث عن نتائج حرب البلقان، فقال القنصلان إن هذه النتائج السيئة للحرب بالنسبة الى الدولة العلية سوف تؤثر حتماً في «العنصر العربي وتحفزه على إعلان استقلاله في اليمن ونجد وغيرها بما يلقاه من دعم أجنبي له. ورد عليهما مبارك الصباح باشا بأن ملايين العرب من صحراء سوريا وحلب إلى بحر عمان ومنه إلى بلاد فارس ينتظرون إشارة طفيفة من خليفة المسلمين ليهبوا قومة رجل واحد ضد الدسائس الأجنبية ومحاولات الانفصال باذلين دماءهم وكل ما يملكون في الدفاع عن الدولة العلية»<sup>(٢)</sup>.

(١) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ١٩ محرم ١٣٣١، رقم ٦٢ / ٢٥.

(٢) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ٣ صفر ١٣٣١، رقم ٦٤ / ٢٥.

---

## ثالثاً: بناء الجيش والحصول على السلاح

أدرك مبارك أهمية امتلاك الكويت قوة عسكرية مرهوبة الجانب لفرض سيطرته على القبائل في الصحراء، ولمواجهة الأخطار والتهديدات الإقليمية التي تتعرض لها بلاده. ولتحقيق ذلك، وظّف مبارك علاقاته ببريطانيا للحصول على أكبر قدر من السلاح. ورغم وجود اتفاق حظر نقل الأسلحة المبرم بينه وبين بريطانيا عام ١٩٠٠، والقاضي بحظر استيراد الأسلحة وتصديرها، فقد تساهلت بريطانيا من الناحية العملية بشأن وصول السلاح إلى الكويت<sup>(١)</sup>. ويذكر لوريمر أنه في عام ١٨٩٩ دخلت كميات كبيرة من الأسلحة إلى الكويت من مسقط، وفرضت عليها الرسوم الجمركية.

وترتب على ذلك أن تحولت الكويت في السنوات الأولى من القرن العشرين إلى مركز لتجارة السلاح. وفرض الشيخ ضريبة خاصة على البنادق التي يُسمح لها بدخول الكويت، ومثلت مصدراً مهماً لدخله. كما كانت مظهراً لاستقلال مبارك عن الإنكليز ومكنته من القيام

---

(١) نجاة عبد القادر الجاسم: التطور السياسي والاقتصادي للكويت بين الحربين ١٩١٢-١٩٣٩ (الكويت: د ن، ١٩٩٧)، ص ٢٣.

بدور مهم في حروب القبائل في الصحراء<sup>(١)</sup>.

كان السيد جوجيه الفرنسي من الشخصيات التي لعبت دوراً بارزاً في هذا المجال. وكان شخصية تجارية وسياسية لها صلات واسعة وعلاقات مع المسؤولين الفرنسيين، فلم يكن جوجيه مجرد تاجر سلاح وإنما سعى لخدمة المصالح الفرنسية، كما سيتم شرحه في الفصل الخامس<sup>(٢)</sup>.

وكانت أول زيارة لجوجيه إلى الكويت في أبريل/نيسان ١٩٠٤، عندما وصلها متنكراً في هيئة رجل عربي أطلق على نفسه اسم عبد الله المغربي، وكان وصوله برفقة الشيخ علي ذهبة. استضاف الشيخ مبارك جوجيه في أحد منازلهم حتى مغادرته الكويت إلى مسقط بعد ثلاثة أشهر. وخلال هذه الفترة، حرص الشيخ على الاستماع إلى وجهة نظر جوجيه في توجهات الدول الكبرى وسياساتها في منطقة الخليج، وسرعان ما أدرك كل من الشيخ وجوجيه حجم ما يجمعهما من توجهات ومصالح.

ويبدو أن جوجيه قد عقد أول صفقة للسلاح مع الشيخ في هذه الزيارة. ففي نهاية الشهر نفسه، وصل الكويت ٢٠٠٠ بندقية مُحملة على عدد من السفن الآتية من مسقط. وكانت شحنات بضائعه تدخل الكويت بشكل دوري من دون مشكلات أو عقبات، ويقوم الحاج ذهبة باستلامها والتعامل معها<sup>(٣)</sup>.

B. j. Slot, *Mubarak Al –Sabah. Founder of Modern Kuwait 1896-1915* (١) (London: Arabian Publishing Ltd, 2005), p 276.

(٢) انظر في خلفية جوجيه وحياته في تونس حيث مارس المحاماة والقانون قبل ظهوره في مسقط والكويت المرجع السابق، ص ٢٧٨-٢٧٩. وتتعدد الطرق التي تتم بها كتابة اسمه باللغة العربية، وقد فضلت كتابة الاسم بالرسم الأكثر قرباً إلى طريقة نطق الاسم باللغة الفرنسية. انظر حول هذا الموضوع د. عبد الله يوسف الغنيم (تحرير وتقديم): أخبار الكويت... مرجع سابق، ص ٢٣.

(٣) د. عبد الله يوسف الغنيم (تحرير وتقديم): أخبار الكويت...، مرجع سابق، ص ٣٢-٣٥.

وفي الأسبوع الأول من أغسطس/آب ١٩٠٤، وصل ميناء الكويت ١٢ صندوقاً من الأسلحة. وفي الشهر نفسه، وصلت شحنة من ٢٩ صندوقاً وجدت طريقها إلى مخازن الشيخ، كما تم استيراد ٨٠٠ بندقية أخرى في نهاية أغسطس/آب للبيع في إيران. وفي بداية ١٩٠٥، كان استيراد السلاح يتم بمعدل ألف بندقية شهرياً كانت غالبيتها تصل على متن السفن الكويتية<sup>(١)</sup>. واستطاع مبارك من خلال ذلك أن ينشئ جيشاً قوياً كان له باع ومقدرة ومكانة. وتمكن من إلحاق الهزيمة بخصومه في غالبية المعارك العسكرية التي خاضها.

هدفت بريطانيا من وراء تساهلها في تطبيق اتفاق حظر بيع السلاح إلى توفير القدرة العسكرية لمبارك إزاء تهديدات ابن رشيد الذي اعتبرته أداة في يد العثمانيين. كما هدفت إلى مساعدة عبد العزيز آل سعود - حليف الشيخ - في دعم حكمه بعد استعادته الرياض عام ١٩٠٢، وذلك حتى يتمكن من إضعاف السيطرة العثمانية على سواحل الخليج، بالإضافة إلى عدم رغبة بريطانيا في إغضاب الشيخ مبارك. ويتضح هذا التساهل البريطاني في المذكرة التي أرسلتها حكومة الهند إلى المقيم البريطاني السياسي في الخليج بأن لا يتدخل في حركة مرور الأسلحة إلى الكويت لمدة معينة<sup>(٢)</sup>.

يؤكد ذلك التقرير العثماني عن مقابلة السفير الإنكليزي في اسطنبول لوزير الخارجية توفيق باشا، وما دار بينهما من حديث حول الحوادث الجارية بين الوهابيين وابن رشيد، واشتدادها بسبب إدخال كميات كبيرة من الأسلحة والمعدات الحربية عن طريق الكويت. وذكر وزير الخارجية العثماني للسفير «إن الدور الذي تلعبه الكويت في نقل الأسلحة إلى هذه

(١) ج ج لوريمر: دليل الخليج، ج ٦، مرجع سابق، ص ص ٣٧٣٤-٣٧٣٦.

(٢) جمال زكريا قاسم: مرجع سابق، ص ٢٨٥.

المنطقة أمر مؤسف، وأن ابن الرشيد الذي صدته الدولة العلية عن التصدي للكويت قد يعتبر هذا الدور موجهاً ضده ويؤدي إلى نتائج سيئة لا تقبل الدولة العلية أي مسؤولية فيها»<sup>(١)</sup>.

وفي خبر لمندوب جريدة الأهرام في مسقط بتاريخ ١٦ سبتمبر/أيلول ١٩٠٤، ورد أن الشيخ مبارك يقوم بتزويد كثير من المشايخ الثائرين على الدولة العثمانية بحاجاتهم من السلاح والذخائر، وأنه لولا ذلك لعجز هؤلاء عن الاستمرار في ثورتهم. وأضاف «فكل أسبوع يصل البريد الإنكليزي مرة إلى الكويت عن طريق مسقط، وفي كل بريد يرسل التجار الكويتيون مئات البنادق وكميات كبيرة من الذخائر إلى أرضهم وعملائهم، ولهم في ذلك طريقة مشهورة، وهي أن يكتبوا على صناديق الأسلحة عبارو: صناديق الحلويات أما صناديق الخرطوش فإنهم يكتبون عليها: صناديق ليمون ناشف. وكان الضباط الإنكليز والفرنسيون يمنعون أي موظف في أي جمرك أو ميناء من الوصول إلى هذه الأسلحة، أو منع مرورها ووصولها إلى الكويت»<sup>(٢)</sup>.

وبعد هزيمة قوات مبارك في موقعة هدية أمام شيخ المنتفق، سمح البريطانيون للشيخ في سبتمبر/أيلول ١٩١٠ بشراء ١٥٠٠ بندقية من مسقط. ولكن الشيخ اعتبر أن هذه الكمية غير كافية نظراً إلى ما فقده من سلاح وعتاد في حربه السابقة، وأنه يحتاج إلى المزيد<sup>(٣)</sup>.

وتعكس وثائق الوكالة البريطانية في الكويت جانباً من الاتصالات بين الشيخ والإنكليز بشأن هذا الموضوع، وإلحاح الشيخ على المطالبة بمزيد من السلاح. فعلى سبيل المثال، أرسل المقيم السياسي في بوشهر

(١) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ١ ربيع الأول ١٣٢٢ هـ، رقم ٤٧٣/٣.

(٢) جريدة الأهرام ١٦ سبتمبر/أيلول ١٩٠٤

(٣) نجاة عبد القادر الجاسم: مرجع سابق، ص ٧٢.

كوكس إلى الشيخ مبارك في ١٢ يناير/كانون الثاني ١٩١١ خطاباً أشار فيه إلى نصيحة بريطانيا بشأن مشتريات الأسلحة التي يحتاج إليها الشيخ من مسقط، بحيث يتم تخزينها هناك بمعرفة وكيل للشيخ يكون على اتصال بالوكيل البريطاني، وعلى أن يتم إرسالها إلى الكويت من وقت إلى آخر حسب حاجات الشيخ، وبالتنسيق مع بريطانيا.

وأشار المقيم السياسي إلى أن الشيخ زاد حجم الأسلحة والذخائر التي يرغب في شرائها، وذلك حسب التعليقات التي أرسلها الشيخ لعامه الحاج نجف، والتي تضمنت شراء ٥٠٠ بندقية من ذات الطلقات الخمس مع أربعمائة طلقة ذخيرة لكل منها، و ٢٠٠٠ بندقية مارتيني مع ٢٠٠ طلقة ذخيرة لكل منها، وذلك إضافة إلى مائة ألف طلقة للبنادق ذات الخمس طلقات وستائة ألف طلقة لبنادق المارتيني.

وأضاف المقيم السياسي أنه أعطى توجيهاته إلى الحاج نجف بأن يتوجه إلى مسقط لاتخاذ إجراءات شراء جزء من هذه الصفقة، أما الجزء الآخر فإنه يجد أنه من الصعب للغاية أن تتفهم الحكومة البريطانية دواعي الحصول عليه. ونصح كوكس الشيخ بالأصر على هذا الجزء حتى يزيل أي سوء فهم قد يحصل بينه وبين الحكومة البريطانية، وأنه على ثقة مبأن الشيخ لا يزال يتذكر الرأي الذي عبّر عنه في خطاب سابق له بتاريخ ٨ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١٠، والذي أشار فيه إلى أهمية تجنب الأقاويل غير المطلوبة، والتي تنتج من إصرار الشيخ على شراء هذه النوعية من الأسلحة وبالكميات المبالغ فيها.

ورد الشيخ على كوكس في ١٤ فبراير/ شباط ١٩١١ بخطاب يذكره فيها بالأسباب التي تدعوه إلى حاجته إلى هذا الحجم من الأسلحة والذخائر. فذكر أن الكويت هي المنفذ البحري لنجد، وتكون تجارتها من الصادرات التي تصلها عن طريق البر والواردات التي تأتيها عن طريق البحر. وأنه إذا

كان الطريق البحري آمناً بسبب وجود الأسطول البريطاني، فإن الطريق البري غير آمن على الإطلاق. وأن البدو يقومون بالاعتداء على التجار والمسافرين وسلبهم بضائعهم وأموالهم. ولما كان جزء كبير من المصالح التجارية الكويتية يتم من خلال البر، فإن الشيخ خصص بعض رجاله لتأمين هذا الطريق. ومع ذلك، ففي خلال السنة ونصف السنة الأخيرة حصلت بعض الاعتداءات على القوافل البرية الكويتية، وهو ما استدعى زيادة القوات وبالتالي زيادة الحاجة إلى السلاح والذخائر. وأنه نظراً إلى أهمية ذلك، فإنه وضع ثلاثة آلاف مقاتل تحت رئاسة ابنه الشيخ جابر، وألف مقاتل تحت إمرة سائر أولاده للقيام بمهمات التأمين الضرورية. كما ذكر الشيخ أنه، إلى جانب ذلك، من الضروري تسليح أهل الكويت حتى يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم.

وأورد الشيخ سبباً ثانياً لزيادة حاجاته من السلاح، وهو ازدياد عدد الطلاب الذين يستكملون تعليمهم في المدارس والذين يراوح عددهم بين ١٢٠٠ و ١٨٠٠ طالب، وأنه ملتزم بإدخالهم الخدمة العسكرية وتسليحهم. كما أشار إلى أنه قد أمر عماله بمنع شراء الأسلحة المهربة، ومنع استيرادها بشكل غير شرعي وفقاً للاتفاق الذي عقده مع بريطانيا، وأنه يعتقد أن بريطانيا حريصة على مصلحة الكويت وحماتها. ولذلك، فإنه يأمل في أن توافق السلطات البريطانية على منحه الرخصة لشراء كل طلباته من أسلحة، وأضاف أن ما تسلمه من سلاح قد تم استخدامه بالفعل في تسليح عشائره، ولكنه لا يزال يحتاج إلى المزيد.

أما بالنسبة إلى حجم الذخائر المطلوبة، فقد برر الشيخ بأنه يرجع إلى استخدام أبناء العشائر الطلقات في صيد الحيوانات، وأنه رغم قيامه بالتشديد عليهم بضرورة التوقف عن هذه العادة، وأنه أرسل مفتشاً للتحقق من ذلك، فإن أبناء العشائر لا يزالون يقومون بذلك. وأنه وزع كل ما وصله من ذخائر على الجنود والعشائر، ولم يعد لديه مخزون إلا ستة

صناديق تحتوي على ٩ آلاف طلقة. ولذلك، فإنه يطلب موافقة الحكومة البريطانية على السماح له بشحن ١٥٠ ألف طلقة كان قد اشتراها مبعوثه الأسبق في مسقط إسماعيل بن محمد رفيع، وذلك في أسرع وقت، ومن دون تأخير. وتعهد الشيخ بتوزيع هذه الذخائر على الجنود والعشائر من أهل الكويت، وان هذه الكمية سوف تكون كافية لمدة عام<sup>(١)</sup>.

وقبل أن تصله الموافقة من المقيم السياسي، رتب الشيخ لكيفية وصول هذه الذخائر. فكتب إلى ناكس القنصل البريطاني في مسقط في ١٠ مايو/ أيار ١٩١١ خطاباً يذكره فيه بأنه قد سبق للشيخ، وبرخصة من بريطانيا، شراء أسلحة من مسقط وذلك لتسليح العساكر، وأنه تم شراء مجموعة من البنادق من دون الذخيرة المناسبة لها مما جعلها معطلة ومن دون استخدام، وأنه أرسل إلى المقيم السياسي بطلب الموافقة على شراء هذه الذخائر. وأضاف انه وجه وكيله ميرزا حسين بن عبد الباقي نجف أصفهاني بمراجعة ناكس في حال الحصول على الرخصة. وذكر الشيخ للقنصل البريطاني أن هناك طريقتين لشحن هذه البنادق إلى الكويت: الأولى عن طريق المراكب، والثانية بواسطة سفن البريد البخارية. وأنه يفضل الطريقة الثانية لأن أصحاب المراكب قد يستغلون الرخصة في شحن أسلحة أخرى<sup>(٢)</sup>.

ويعاود الشيخ، بإصرار، طلب الحصول على سلاح. فكتب إلى الوكيل السياسي في الكويت شكسبير في ٢٩ سبتمبر/ أيلول ١٩١١ بأن الاتفاق الذي تم مع المقيم السياسي كوكس، وبحضور شكسبير، نص على الترخيص للشيخ بـ ٢٥٠٠٠ بندقية مع كل منها ٤٠٠ طلقة إلى جانب ٢٠٠ ألف طلقة ذخيرة سنوياً. وشرح الشيخ، مرة أخرى، في رسالته كيفية توزيع

(١) Kuwait Political Agency, Arabic Documents, Op.cit, vol 3, pp. 172-180.

(٢) Ibid, pp. 181-183.

هذه الأسلحة. فذكر أنه ستكون هناك حصة من هذه الذخيرة للشباب الذي أتم تعليمه المدرسي، لأن الإسلام أمر بتدريبهم على حمل السلاح، وأنه سوف يتم توزيع هذه الأسلحة عليهم، على أن يتم تسجيلها بأسمائهم، وبشرط استخدامها من أجل حفظ الأمن. أما الحصة الثانية فيتم توزيعها على العاملين في سفن الغوص، وذلك لحمايتها من اعتداءات القراصنة، وتبقى حصة ثالثة لتسليح قوات الشيخ الشخصية.

والتمس الشيخ موافقة الحكومة البريطانية على هذه الزيادة حتى تتسنى له حماية تجارة عشائره من اعتداءات وتجاوزات العشائر الأخرى التي تمتلك أسلحة نارية، وأنه سيترتب على هذه الزيادة أن يمنع هؤلاء عن التحرش بالقبائل التابعة له، ويتجارتهم، وأنهم إذا لم يرتدعوا فستكون قواته قادرة على التصدي لهم. ومن أجل تظمين الوكيل السياسي شكسبير، أضاف الشيخ في خطابه أنه سيحيطه علماً بكيفية توزيع هذه الأسلحة، وأن جزءاً كبيراً من الأسلحة التي تم استلامها قد وُزعت على شيوخ العشائر الذين يعرفهم الوكيل شخصياً<sup>(١)</sup>.

ويعود الشيخ في ٤ أكتوبر/تشرين الأول ١٩١١ الى تأكيد وجهة نظره، فيرسل للوكيل السياسي خطاباً يكرر فيه الحجج السابقة، وأضاف إليها أن أهالي الكويت وعشائرها قد اعتادوا من قبل شراء الأسلحة بأنفسهم، وأنهم امتنعوا عن ذلك بناء على رغبة الحكومة البريطانية وتنفيذاً للاتفاق المبرم بين الكويت وبريطانيا، وأنهم يأملون في أن تسمح لهم الدولة البريطانية بزيادة أسلحتهم. وبناءً على طلب الوكيل السياسي للشيخ بأن يبين له الأسلحة التي بحوزته، أرسل مبارك كشفاً تفصيلياً بعدد البنادق والذخيرة الموجودة مع العشائر التابعة له، والتي في حوزته، ومع أولاده<sup>(٢)</sup>.

(١) Ibid, pp. 184-186.

(٢) Ibid, pp. 188-193.

ورد شكسبير على الشيخ في اليوم نفسه بشأن ما أثاره في خطابي ٢٩ سبتمبر/ أيلول و ٤ أكتوبر/ تشرين الأول. وعكس الخطاب شكوك الحكومة الإنكليزية بشأن أهداف الشيخ من الحصول على هذه الأسلحة والذخائر. فذكر شكسبير أنه من الضروري معرفة كيفية دخول الأسلحة والذخائر إلى الكويت وخروجها منها، وأن مطالب الشيخ التي عبر عنها كتابة وشفاهة قد تم تبليغها للحكومة البريطانية، وأن طلب الشيخ زيادة الأسلحة والذخائر قد لا يفيد وقد يصبح ذلك مبعثاً للشك لدى السلطات البريطانية، وأنه، على أي حال، سيحيط حكومته بكل هذه الأمور<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن الحكومة البريطانية أخذت وقتها الكافي للتفكير واتخاذ القرار. فبعد عام من هذه المراسلات، أرسل المقيم السياسي كوكس إلى الشيخ مبارك بتاريخ ١٥ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩١٢ خطاباً ورد فيه تقدير الحكومة البريطانية للشيخ بشأن احترامه القواعد الخاصة بتجارة السلاح. وأضاف انه لن يكون بمقدور الشيخ الحصول على أي دفعة أخرى من الأسلحة في المدى القصير بسبب ضخامة حجم الصفقة الأخيرة التي وافقت عليها الحكومة البريطانية. وتمنى كوكس في خطابه أن يكون الشيخ قد استوعب ما أخبره به شكسبير بشأن شراء الأسلحة من مسقط، وضرورة الالتزام بالقواعد الخاصة لذلك، والقاضية بأن تحمل كل بندقية مشتراً رقماً وعلامة بالمخزن المودعة فيه، وأن هذه القواعد تطبق على الجميع بدون استثناء. وأشار إلى أن ذلك لا يتضمن اتهاماً لأي شخص. وتشير الوثائق البريطانية الى أن كوكس أرسل نسخة من هذا الخطاب إلى المحمرة، وأخرى إلى الكويت لعدم تأكده من مكان وجود الشيخ<sup>(٢)</sup>.

(١) Ibid, pp. 194-195.

(٢) Ibid, pp. 218-220.

ولم تنته المراسلات حول شراء السلاح عند هذا الحد، فرد الشيخ مبارك على المقيم السياسي في ٧ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١٢ مذكراً إياه بأنه خلال زيارته الأخيرة إلى الكويت، أخبره الشيخ بأنه يضع خاتمه (الذي يحمل اسمه) على جميع الأسلحة التي يوزعها على الأهالي، والذين يقومون بدورهم بوضع الخاتم الخاص بهم عليها، وذلك بغية معرفة اسم صاحب كل بندقية حتى تمكن إعادتها إليه إذا ما حصل طارئ تطلب جمعها لتوفير السلاح لحملة عسكرية. أما بالنسبة إلى الأسلحة التي توزع على العشائر، فإنه لا توضع عليها أي أختام أخرى، ويتم الاكتفاء بختم الشيخ. وأضاف مبارك أن الأهالي رفضوا استلام دفعة الأسلحة التي حملت علامة مخزن مسقط، وأنه عندما حاول اقناعهم باستلام هذه البنادق، رفضوا ذلك بقوة<sup>(١)</sup>.

ورد عليه كوكس في ١٥ نوفمبر/ تشرين الثاني مؤكداً أنه لا يزال لا يجد أي مبرر أو سبب لاعتراض رعايا الشيخ على ذلك، وأن الاستمرار في رفض استلام الأسلحة يعطي الانطباع بأن أهل الكويت ليسوا في حاجة جادة إليها. وأكد المقيم البريطاني للشيخ مرة أخرى أن وضع علامة المخزن على الأسلحة المصدرة من مسقط بموافقة الحكومة الإنكليزية هو قاعدة عامة لا يمكن عمل أي استثناء بشأنها، وأنه إذا كان رعايا الشيخ غير موافقين على وجود علامة مسقط على الأسلحة، فإنه من الأفضل لهم أن يبقوا من دون سلاح<sup>(٢)</sup>.

وجدد الشيخ طرح مطالبه مع توضيح لها في خطاب إلى كوكس في ١٢ ديسمبر/ كانون الأول ١٩١٢، فذكر أن الكويت كانت تحصل جمارك على الأسلحة التي تتوقف في مينائها. وأنه عندما طلبت بريطانيا منع ذلك، فقد تم الالتزام بهذا الطلب، وأن العمل الأساسي لأهالي الكويت

(١) Ibid, pp. 224-226.

(٢) Ibid, pp. 228-229.

هو الغوص والسفر إلى الهند لجلب السلع والبضائع، وهو ما يتطلب وجود حراسة يقظة بسبب عدم الأمن في كثير من الطرق، وأن هذا هو ما يدفع الشيخ إلى طلب مزيد من الأسلحة. وطلب الشيخ أن تكون البنادق المخصصة للقبائل ٢٦٠٠ بندقية من دون علامات، وأن ما تم استلامه بعلامات سيتم توزيعه على جنود الشيخ، وأن الكويت تحتاج إلى شراء ٦٠٠ بندقية سنوياً بسبب ازدياد عدد السكان والتوسع في تجارة اللؤلؤ. وأضاف الشيخ انه إذا كانت التعليمات تقضي بوضع العلامات الخاصة بمخزن مسقط، فإنه يقترح أن يتم الشراء مباشرة من لندن<sup>(١)</sup>.

وأعاد المقيم السياسي في رسالة له إلى الشيخ في ٣١ ديسمبر/كانون الأول ١٩١٢ عرض موقف الحكومة البريطانية الذي أوضحه في خطابه السابق بشأن استحالة أي استثناء أو تخفيف من الشروط المتفق عليها بشأن وضع علامات مخزن مسقط على الأسلحة، وأن ما يطلبه الشيخ بشأن الموافقة على إرسال بنادق من دون وضع علامات عليها هو أمر يتجاوز قدراته وصلاحياته، وأن الحكومة البريطانية تشكر تعاون الشيخ بشأن محاربة تجارة السلاح غير القانونية. وحاول كوكس تطمين الشيخ، فذكر أنه سينقل إلى الحكومة البريطانية رغبته في شراء أسلحة لا تحمل علامات عليها. وأضاف انه يعتقد أن لندن ستجد صعوبة في تنفيذ هذا الطلب، كما أنه سينقل إلى الحكومة اقتراح الشيخ بشراء السلاح مباشرة من لندن. وكرر المقيم السياسي عدم تفهمه لاعتراض عشائر الكويت على استخدام أسلحة تحمل علامات<sup>(٢)</sup>.

وواصل الشيخ، بمثابرة يحسد عليها، عرضه لمطالبه. فكتب في ٢٢ يناير/ كانون الثاني ١٩١٣ إلى المقيم السياسي مكرراً المطالب والتبريرات

(١) Ibid, pp. 231-235.

(٢) Ibid, pp. 236-238.

نفسها. وأضاف ان السلاح الذي يحمل علامة مخزن مسقط لا يزال في الجمارك لأن أهالي الكويت لا يرغبون في استخدامه. وطلب الشيخ من كوكس الموافقة على إرجاعه إلى مسقط لبيعه، أو أن يتم بيعه إلى الشيخ خزعل أمير المحمرة لأنه في حاجة إلى سلاح<sup>(١)</sup>. ورد المقيم السياسي كوكس بخطابين في ٢٩ يناير/ كانون الثاني، و ٢ فبراير/ شباط ١٩١٣ أبلغه فيهما بموقف الحكومة البريطانية بشأن هذا الموضوع، وأن الاتفاق المبرم بين الجانبين بشأن استيراد ٦٠٠٠ بندقية من مسقط ينص على أن تحمل هذه الأسلحة علامة مخزن مسقط، وأنها قد كلفته بإبلاغ الشيخ بأنها لا ترى في مطالب رعاياه واعتراضهم على «علامة مسقط» أمراً صحيحاً، وأن هذه المسألة من الأهمية بما يستوجب على الشيخ أن يفرض عليهم استلام الأسلحة إذا ما كانوا يحتاجون إليها حقاً، وأن وسم الأسلحة بهذه العلامة ليس موجهاً ضد الشيخ ورعاياه، ولكنه جزء من القواعد العامة المطبقة في مسقط، وأن رغبة الشيخ في تعديل هذا الشرط ستترتب عليه مطالب مماثلة من جانب المستوردين الآخرين<sup>(٢)</sup>.

ولا يمل الشيخ مبارك من إثارة كل الحجج التي تبرر حاجته إلى السلاح، فيكتب إلى كوكس في ١٨ مايو/ أيار ١٩١٣ مركزاً على حاجة العاملين بالغوص الى السلاح لحماية أنفسهم. ويذكر أنهم فقراء، وأن الغوص هو مصدر الدخل الوحيد لهم، وأنهم يتعرضون لأعمال القرصنة وفقدان الحياة بسبب قلة الأسلحة الموجودة بحوزتهم، والتي تمكنهم من الدفاع عن أنفسهم<sup>(٣)</sup>.

(١) Ibid, pp. 240-243.

(٢) Ibid, pp. 244-247.

(٣) من الشيخ مبارك إلى المقيم السياسي كوكس في ١٨ مايو/أيار ١٩١٣ : المرجع السابق، ص ص ٢٠-٢١. ويعتبر اللورد بيرسي كوكس من أكثر الدبلوماسيين البريطانيين الذين كانوا على معرفة وثيقة بأمور الخليج. انظر حول حياته وأنشطته

Graves, Philip, *The Life of Sir Persy Cox* (London; Hutchinson & Company Ltd, 1941).

كان الشيخ يدرك أن المسؤولين البريطانيين يشككون في نيته، ويخشون من أن حصوله على هذه الأسلحة قد يغريه بتوسيع مناطق نفوذه وحكمه. لذلك، كان يقوم بين الحين والآخر بما يخفف من هذه الشكوك. وعلى سبيل المثال، أبلغ الشيخ الوكيل السياسي شكسبير عام ١٩١٠ بمعلومات عن قيام السفينة « فتح الخير» التي ترفع علم فرنسا بتهرب السلاح والذخائر من مسقط إلى الكويت. وكتب شكسبير إلى الشيخ في ٧ مايو/ أيار ١٩١٠ أن الحكومة البريطانية تشكره وأنها ممتنة له على تزويدها بهذه المعلومات، واقترح أن يتم إيداع السلاح في بيت الشيخ محافظة عليه. ورد عليه مبارك في اليوم التالي مبلغاً إياه أن السفينة وصلت ميناء الكويت وتم إنزال السلاح الذي كان على متنها بالقوة، وحفظه في منطقة الجمرك لحين اتخاذ قرار بشأنه<sup>(١)</sup>.

ومن ناحية أخرى، فقد تطلع البريطانيون إلى مساندة الشيخ في محاربة تجارة السلاح غير القانونية. وعلى سبيل المثال، فقد أرسل شكسبير إلى الشيخ في ٢٠ فبراير/ شباط ١٩١٢ أنه وصلته رسالة من نائب المقيم السياسي في بوشهر تفيد بتوافر معلومات عن ازدياد أنشطة تجارة السلاح غير القانونية من جهة شمال خليج فارس، وأن السفن الإنكليزية سوف تزيد من رقابتها على حركة السفن في الخليج، ودعا الشيخ مبارك إلى المساعدة في محاربة تجارة السلاح غير القانونية، وأن يشدد على رعاياه بتجنب المشاركة في هذه الأنشطة. ورد عليه الشيخ في اليوم التالي مباشرة مؤكداً أنه يلتزم بكل تعهداته في هذا الشأن، وأن السفن التابعة لرعاياه لا تحمل سلاحاً من دون رخصة شراء، وأنه أبلغ وكيله في مسقط يوسف

(١) من الوكيل السياسي البريطاني شكسبير إلى الشيخ مبارك بتاريخ ٧ مايو/أيار ١٩١٠، ورد الشيخ عليه في ٨ مايو/ أيار في

الزواوي بالتأكيد على النواخذة بعدم نقل أي أسلحة «لا لطرفنا أو لغيرنا»، وأن من يخالف ذلك يعرض نفسه لعقاب شديد<sup>(١)</sup>.

لقد كان الشيخ يتحرك في اتجاهات عدة تصب كلها في زيادة قوة جيشه وما يملكه أهالي الكويت وعشائرها من بنادق وذخيرة. فكان، من ناحية، يصر على استجابة السلطات البريطانية لمطالبه بشأن كميات الأسلحة والذخائر، ولم يكن يمل من الكتابة في الموضوع نفسه وسوق الحجج نفسها أكثر من مرة. ومن ناحية ثانية، أثار مع الإنكليز مشكلة علامة «مخزن مسقط» على الأسلحة المشتراة وأهمية أن يكتفي بخاتم الشيخ مع خاتم الشخص مالك السلاح. ووصل في إصراره على ذلك إلى درجة اقتراح شراء السلاح من لندن مباشرة. ومن ناحية ثالثة، سعى الشيخ للتخفيف من تخوفات المسؤولين البريطانيين بشأن زيادة القوة العسكرية التي بمكنته، وخشيتهم من أن يؤدي ذلك إلى ازدياد طموحاته في شبه الجزيرة العربية.

لذلك، أظهر الشيخ، بين الفينة والأخرى، التزامه بالتعهدات الثلاثة التي أبرمها بها في ٢٤ مايو/ أيار ١٩٠٠، ولم يتردد في إظهار الفارق بين التزام أهالي الكويت بحظر تجارة السلاح غير الشرعية، وما يحصل في أماكن أخرى. ومن أمثلة ذلك خطابه إلى المقيم السياسي كوكس في ١٦ مايو/ أيار ١٩١٢ الذي ذكر فيه أنه بينما التزم أهالي الكويت بقواعد تجارة السلاح، فإن الأسلحة تباع بشكل غير قانوني في قطر والبوعيين، وأن من يريد من أهالي الكويت شراء السلاح بشكل غير قانوني، فإنه يستطيع جلبه من قطر. وأنهم لا يفعلون ذلك احتراماً لتعليمات الشيخ، وأن ذلك يسبب له كدراً<sup>(٢)</sup>.

(١) من شكسبير إلى الشيخ مبارك بتاريخ ٣٠ فبراير/ شباط ١٩١٣، ومن الشيخ مبارك إلى شكسبير بتاريخ ٣١ فبراير/ شباط ١٩١٣ في المرجع السابق، ص ص ٧٢٩-٧٣٠.

(٢) من الشيخ مبارك إلى الوكيل السياسي البريطاني كوكس في ١٦ مايو / أيار ١٩١٢ في المرجع السابق، ص ص ٧٣٣-٧٣٤.

## رابعاً: علم الكويت

يمثل علم الدولة رمزاً للولاء والانتماء يلتف حوله مواطنوها، وتتميز البلاد بأعلامها. ومن الناحية التاريخية، كانت للجيش راياتها وأعلامها. وفي مرحلة لاحقة ومع تقدم التجارة البحرية، رفعت السفن أعلام الدولة التي ينتمي إليها صاحب السفينة.

وعندما أصبح للكويت أسطولها التجاري البحري في القرن الثامن عشر، رفع الشيخ عبد الله الأول بن صباح، ثاني حاكم للكويت من أسرة آل صباح (١٧٤٦-١٨١٣)، أول علم خاص على السفن الكويتية، وهو العلم السليمي الأحمر، وهو العلم نفسه الذي رفعه عتوب الخليفة على سفنهم عند مغادرتهم الكويت إلى الزبارة في عام ١٧٦٢. واستمرت السفن الكويتية في رفع العلم في عهد الشيخ جابر الأول بن صباح (١٨١٣-١٨٥٩).

وعام ١٨٧١، رفع الشيخ عبد الله الثاني بن صباح، خامس حكام الكويت من أسرة آل صباح العلم العثماني الأحمر، وذلك بسبب المضايقات التي تعرضت لها السفن الكويتية من جانب السلطات العثمانية، وكذلك لرغبته في التمتع بالامتيازات الاقتصادية التي ارتبطت بذلك، مثل الإعفاء الجمركي وضمان حماية أملاك الكويتيين في الأراضي العثمانية. وكان ذلك أول علم عثماني يرفع على السفن الكويتية. واستمر هذا الوضع في فترة حكم أخيه الشيخ محمد بن صباح، وكذلك في السنوات الأولى من حكم

الشيخ مبارك الذي «وضع سارية عالية قرب البحر وأخرى صغيرة على الدار التي كان يسكنها ورفع في أعلاهما العلم العثماني»<sup>(١)</sup>.

لقد مر موضوع العلم في فترة حكم مبارك بأكثر من تطور. فعندما قام اللورد كيرزون بزيارة للكويت عام ١٩٠٣، تم رفع علم أحمر كتبت عليه عبارة «توكلنا على الله». وعام ١٩٠٥، اقترح الوكيل السياسي أن يكون للكويت علمها الخاص الذي ترفعه سفنها، واقترح أن يكون العلم راية حمراء تحمل اسم «كويت» مكتوباً مرة بالحروف اللاتينية Koweit، وأخرى بالحروف العربية. ورفض مبارك أن يحمل العلم كلمة مكتوبة بغير اللغة العربية لاعتقاده أن ذلك لا يتفق مع التقاليد الإسلامية. كما أعد الوكيل خاتماً خاصاً تُوقع به الأوراق الرسمية وشهادة جنسية خاصة تحملها السفن الكويتية، وافق عليها الشيخ<sup>(٢)</sup>. وعام ١٩١٤، قرر مبارك رفع علم خاص بالكويت، وهو علم أحمر في وسطه كلمة «كويت» وله ثلاثة أشكال: شكل مثلث للإمارة، وشكل مربع للدوائر الحكومية، وشكل مستطيل للسفن. وتشير الوثائق البريطانية إلى أن موضوع العلم كان محل مناقشة بين الشيخ والوكيل السياسي نوكس، وأنها ناقشا موضوع ضرورة أن يكون للكويت علمها الوطني الخاص بها، وأنه لم يعد وارداً استمرار رفع العلم العثماني<sup>(٣)</sup>. وكانت وجهة نظر الشيخ أنه عندما رفع هو، وشيوخ الكويت من

(١) شفاء المهدرس المطيري (تقديم وتعليق محمد بن إبراهيم الشيباني): علم الكويت. منذ النشأة حتى الاستقلال ١٧٤٦-١٩٦١ (الكويت: منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ١٩٩٦)، ص ص ٦١-٦٩. حسين خلف الشيخ خزعل، مرجع سابق، ص ٩٩. انظر أيضاً محمد السعيدان: تاريخ العلم الكويتي (الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٥)، ص ص ٣٩-٥٢.

(٢) From Political Resident Cox, Bushire, to Foreign Office, No. 337, July 1, 1905.

(٣) انظر المراسلات البريطانية بشأن علم الكويت في Records of Kuwait 1899-1961, Vol 1, Op.cit, pp. 525-540.

قبله، العلم العثماني فإن ذلك لم يكن تعبيراً عن تبعيتهم للدولة العثمانية بقدر ما اعتبروا هذا العلم رمزاً للإسلام. لذلك، كان رأي الشيخ في البداية هو الاستمرار في استخدام العلم العثماني كما هو بلونه وبالهلال والنجمة مع إضافة كلمة «الكويت»، ولم يتم الاتفاق على الشكل الجديد لعلم الكويت، واستمر استخدام العلم العثماني.

لم ييأس الإنكليز، واستمروا في المطالبة بضرورة أن يكون للكويت علمها الخاص، وذلك دلالة على استقلالها عن النفوذ العثماني. ولكن الشيخ لم يحسم الموضوع حرصاً منه على مصالح السفن الكويتية في مواني الخليج الخاضعة للدولة العثمانية، وكذلك محافظة على أملاك الكويتيين من بساتين في الفاو. لذلك، استمر في رفع العلم العثماني حتى نشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤.

وفي هذه الأثناء، تعرضت سفينة كويتية مملوكة للحاج حمد الصقر في رحلتها من البصرة إلى الكويت لاعتراض وقصف من مدافع سفينة عسكرية إنكليزية، وذلك لأنها كانت ترفع العلم العثماني. وعندما أفصحت السفينة عن هويتها وأنها مملوكة لأحد رعايا الشيخ مبارك، سمح الإنكليز لها بالاستمرار في رحلتها بعدما طلبوا من ربانها إنزال العلم العثماني وحذروه بعدم رفعه مرة أخرى خوفاً من أن تتعرض سفينته للتدمير والإغراق<sup>(١)</sup>.

وإزاء هذا الموقف، اتخذ الشيخ مبارك قراره بأن يكون علم الكويت مختلفاً عن العلم العثماني. وعام ١٩١٤ وعندما قام بزيارة الشيخ خزعل على يخته «مشرف»، أمر الشيخ بإنزال العلم العثماني ورفع محله علماً أحمر اللون مكتوباً في وسطه كلمة «كويت» بحروف بيضاء، فكان أول علم وطني استمر لفترة طويلة رمزاً للكويت<sup>(٢)</sup>.

(١) عبد الله خالد الحاتم: من هنا بدأت الكويت (الكويت: مطابع دار القبس، ط ٢، ١٩٨٠)، ص ١٦.

(٢) حسين خلف الشيخ خزعل: مرجع سابق، ص ص ٩٩-١٠٠.



## خامساً: حدود الكويت (١)

يتفق الباحثون على أن فكرة الحدود السياسية للدول هي فكرة حديثة ارتبطت بظهور الدولة الوطنية في أوروبا، وبمفاهيم الجنسية وسلطة الدولة على رعاياها في إطار حدودها الجغرافية. في هذا السياق، فإن حدود شيوخ الخليج عموماً ارتبطت بالرقعة الجغرافية التي عاشت فيها القبائل التي تدين لهم بالولاء وتبايعهم على ذلك. وترتب على ذلك أن هذه الحدود كانت تتغير، من فترة إلى أخرى، حسب قوة الحاكم وقدرته على بسط نفوذه على المناطق التي تعيش فيها تلك القبائل.

لم يكن تحديد حدود الكويت أمراً سهلاً أو يسيراً، فقد خاض الشيخ مبارك معركة طويلة مع الدولة العثمانية من أجل حماية حدود بلاده، بينما سعت السلطات العثمانية في مجال معاقبته والضغط عليه إلى تقليص مساحة أراضي الكويت. وشجعتها على ذلك رغبتها في بسط نفوذها

---

(١) تعتبر قضية حدود الكويت من المسائل التي اهتم بها المؤرخون وأساتذة القانون الدولي وخصوصاً بعد الغزو العراقي للكويت في أغسطس / آب ١٩٩٠. انظر على سبيل المثال: ميمونة خليفة الصباح: مشكلة الحدود الكويتية بين الدولتين العثمانية والبريطانية (١٨٩٩-١٩١٣)، الرسالة الثانية والثمانون من حوليات كلية الآداب - جامعة الكويت (الحوالية الثالثة عشرة - ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م). وكذلك ترسيم الحدود الكويتية العراقية. الحق التاريخي والإرادة الدولية. إعداد لجنة من المختصين (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٢).

بدعم من ألمانيا على منطقة تصلح نهاية لخط سكة حديد بغداد. اشتعلت الأزمة في العلاقات الكويتية العثمانية عام ١٩٠٢ عندما احتلت قوات عثمانية جزيرة بوبيان ومنطقتي أم قصر وسفوان ومناطق أخرى مجاورة لرأس خور الصبية التي تقع على مقربة من الركن الشمالي الشرقي لميناء الكويت، والتي تمثل المخارج الآمنة لخور عبد الله، وذلك كرمز لوجودها الفعلي وباعتبار أن هذه الأراضي من المحتمل أن تمر بها سكة حديد بغداد. وادعت الدولة العثمانية أن كل هذه المناطق لا تدخل في حدود الكويت. وكان هذا السلوك من جانب اسطنبول يعبر عن تناقض عميق في موقفها. فهي من ناحية، زعمت أن لها سيادة قانونية على كامل أراضي الكويت، وعندما عجزت - من ناحية أخرى - عن ممارسة هذه السيادة، لجأت إلى تمزيق أوصال الكويت. وكان ذلك بمنزلة اعتراف من جانبها باستقلال الكويت وحاكمها<sup>(١)</sup>.

احتج مبارك على هذا التصرف. وأكد أن هذه المناطق تدخل ضمن حدود الكويت، وأكدت بريطانيا له أن هذا الاحتلال لا ينشئ حقاً للدولة العثمانية. وتقدم أوكنور سفيرها في اسطنبول باحتجاج، مصرحاً بأن بلاده تدعم الشيخ تنفيذاً لاتفاقه معها، ولأن العثمانيين انتهكوا الوضع القائم. ولكن بريطانيا لم تفعل ما هو أكثر من الاحتجاج. وظل العثمانيون مسيطرين فعلياً على هذه المناطق.

ويتضمن الأرشيف العثماني عديداً من المراسلات بين بريطانيا والدولة العثمانية بهذا الشأن. ففي مذكرة وزير الخارجية توفيق باشا عام ١٩٠٢

(١) ج ج لوريمر: دليل الخليج، ج ٣، مرجع سابق، ص ص ١٥٤٦-١٥٤٨. انظر في هذه التطورات د. أحمد زكريا الشلق: الوضع الدولي للكويت منذ اتفاق الحماية وحتى الاتفاق البريطاني - العثماني عام ١٩١٣ في د. أحمد الرشيد (محرر): الكويت من الإمارة إلى الدولة (القاهرة: دار سعاد الصباح ومركز البحوث والدراسات السياسية بجامعة القاهرة، ١٩٩٣)، ص ص ١٤١-٢١٣.

بشأن مقابله مع أوكنور، ورد فيها أن السفير أخبره بأن إرسال جنود عثمانيين إلى أم قصر وسفوان، ومنع رجال مبارك الصباح من العمل هناك يشكلان تهديداً وإخلالاً بالوضع القائم المتفق عليه في الكويت، وطلب منه إيضاحاً لموقف الدولة العثمانية. وأن الوزير رد عليه «بأنه لا يعلم أين يقع هذان المحلان، وليست لديه أي معلومات عن سوق العسكر إليهما، ولا بد من استعلام الوضع من ولاية البصرة للبت فيه»<sup>(١)</sup>. وأضاف أن الدولة العلية تتمتع بصلاحيه مطلقه في سوق عساكرها إلى أي نقطة من أراضيها إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

وأثار أوكنور مرة أخرى الموضوع نفسه في مقابلة مع وزير الخارجية العثماني، وحذره من مغبة استمرار هذا الوضع. فرد عليه الوزير بأنه ليست لديه معلومات عن ذلك، ولكن لديه معلومات قاطعة أن أم قصر وجزيرة بوبيان ليستا تابعتين للكويت. فذكر السفير البريطاني أن هذه الأماكن تقع بالقرب من الكويت وتعد تابعة لها، وأن إرسال العساكر العثمانيين إليها يؤدي إلى عواقب وخيمة<sup>(٢)</sup>. وبعد أربعة أيام، قام السفير بلقاء الوزير مرة ثانية أوضح له فيه معارضة بريطانيا إرسال قوات عثمانية إلى المناطق الكويتية «حيث أن ذلك يؤدي إلى وقوع اصطدام مسلح بينها وبين رجال مبارك الصباح الموجودين هناك، وفي ما إذا اختل الوضع الراهن المتفق عليه فإن إنكلترا لا تكتفي بحماية الكويت بل تحتلها»<sup>(٣)</sup>.

وتعطي الوثائق البريطانية صورة لتطور الموقف البريطاني إزاء قضية حدود الكويت<sup>(٤)</sup>. فتذكر إحدى الوثائق أنه في عام ١٩٠٢، بدأت الأسئلة

(١) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ٣٠ شوال ١٣١٩ هـ، رقم ٧ / ٤٢٥.

(٢) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ١٤ ذي الحجة ١٣١٩ هـ، رقم ٥٣ / ٤٢٦.

(٣) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ١٨ ذي الحجة ١٣١٩ هـ، رقم ٨٩ / ٤٢٦.

(٤) انظر المراسلات الدبلوماسية البريطانية حول هذا الموضوع في

تتوالى حول حدود سلطة شيخ الكويت من الناحية الجغرافية، إذ لم تتم مناقشة موضوع تحديد هذه الحدود عند إبرام اتفاق المحافظة على الوضع القائم في الكويت بين الدولة العثمانية وبريطانيا عام ١٩٠١، وبقي الموضوع يلفه الغموض وعدم اليقين.

وفي فبراير/شباط من العام نفسه، سعت بريطانيا للتأكد من المعلومات الخاصة بوجود قوات عثمانية على الأراضي التابعة لشيخ الكويت. فأرسلت سفينة حربية لتفقد هذه المناطق، فأبلغت السفينة عن وجود مواقع عثمانية في أم قصر الواقعة على خور عبد الله، وفي جزيرة بوبيان شمال الكويت. وترتب على ذلك أن تقدمت بريطانيا باحتجاج الى الدولة العثمانية باعتبار أن ذلك يشكل خرقاً «للوضع القائم».

وأشارت الوثيقة إلى أنه بالنسبة الى جزيرة بوبيان، فإن أوكنور مارس ضغوطه في الاستانة لسحب القوات العثمانية منها، وهدد أنه إذا رفض الأتراك إزالة هذه المواقع، فإن البريطانيين سوف ينشئون موقعا لهم هناك نيابة عن الشيخ. ولم يُنفذ هذا الاقتراح، فلم يكن اللورد لنسدون يؤيد القيام بأي إجراء مباشر يكون من شأنه تصعيد المواجهة مع الدولة العثمانية، وأوصى بإحالة الموضوع إلى لجنة الدفاع قبل اتخاذ أي إجراءات أخرى. أما بالنسبة إلى أم قصر (الواقعة على الساحل في الجزء الشرقي من الجزيرة العربية على بعد ٥٠ ميلاً شمال الكويت)، فقد أشارت الوثيقة إلى أن الموقف غير واضح، وأن ادعاء الشيخ بملكيتها لها ضعيف، وأنه من الصعب طرح الموضوع للمناقشة.

ويبدو أن بريطانيا لم يكن لديها تصور واضح بشأن حدود الكويت. وتوضح ذلك المذكرة التي أعدها وزير الخارجية البريطاني لنسدون في مارس ١٩٠٢، التي أشار فيها إلى غموض تلك الحدود، كما أشرنا إلى ذلك سلفاً في هذا الفصل.

ففي أوائل عام ١٩٠٤، أجرت بريطانيا أول مسح شامل لحدود الكويت وسواحلها. وفي أبريل/ نيسان من هذا العام، قام الوكيل البريطاني نوكس بجولة في جنوب الكويت وصل منها إلى الحفر على الحدود بين الكويت ووسط الجزيرة العربية. كما تمت عملية مسح بحري لخليج الكويت. وفي ديسمبر/ كانون الأول من العام نفسه، قامت مجموعة من الضباط البريطانيين بعملية مسح شاملة جابوا خلالها منطقة الحدود بين البصرة والكويت، واستفادوا من المسوح التي قام بها الوكيل السياسي والبحرية البريطانية. وجاء خط الحدود الذي رسمه الإنكليز «يسير من خور الصبية ليمر جنوب أم قصر وسفوان متجهاً إلى جبل سنام، ومن هناك إلى وادي الباطن». أما بشأن الجزر، فقد تم البت بشأن غالبيتها، باستثناء جزيرتي بويان ووربة المحتلتين من جانب القوات العثمانية.

ورفض مبارك هذا التصور لحدود الكويت، باعتبار أنه يقتطع من بلاده الأراضي التي احتلتها الدولة العثمانية في أم قصر وسفوان. هذا فضلاً عن أنه لا يشير إلى حدود الكويت البحرية، التي رأى أنها تضم كل الجزر والسواحل الممتدة من جزيرة فيلكا حتى شط العرب<sup>(١)</sup>.

وفي سبيل دعم مطالبه، سعى مبارك للوقية بين العثمانيين والإنكليز. فكتب رسالة إلى الوكيل السياسي في يوليو/ تموز ١٩٠٥ أكد فيها أن جزيرة بويان تؤول إلى الكويت، وأن الموقع العثماني الذي أنشئ فيها تم بالقوة، وأنه لا يستطيع مقاومة الدولة العثمانية، ولكن إذا وافقت الحكومة البريطانية على استخدام هذا الموقع لتقييم فيه محطة للفحم لخدمة سفنها في الخليج، فإنه على استعداد لإزالة الموقع العثماني

(١) د. أحمد زكريا الشلق: مرجع سابق، ص ص ١٩١-١٩٢.

بالقوة. ومن ناحية أخرى، سعت بريطانيا لاستئجار جزيرة وربة لمنع أي قوة أخرى من بناء قاعدة أو ميناء في خور عبد الله<sup>(١)</sup>. ولم يحدث أي من ذلك. فلا هي أقامت موقعاً للفحم في جزيرة بويان، ولا هي استأجرت جزيرة وربة. وبيدو، كما ذكرنا، أنها لم ترغب في تصعيد الموقف مع الدولة العثمانية وقتذاك.

واستمر مبارك في احتجاجه على الوجود العثماني في هذه الأراضي على أساس أنها تدخل ضمن حدود الكويت. فالقصر الذي تنسب «أم القصر» إليه بناه ابن رزق في عهد الشيخ جابر الصباح، وأن أهالي الكويت عاشوا في هذه المنطقة في عهد جده الشيخ جابر، وأن القلعة الموجودة فيها، المبنية من الطين، تشهد بحقيقة ذلك. أما بويان، فقد نصب الكويتيون فيها «الخطور» لصيد الأسماك منذ زمن بعيد، ويسكنها صيادون كويتيون. أما بالنسبة إلى سفوان، فتعيش فيها عائلات كويتية منذ نحو أربعين عاماً. وبيديون بالولاء للكويت وشيخها. هذا فضلاً عن أنها محطة لقوافل تجارتها.

وأعاد البريطانيون عرض وجهة نظرهم بشأن حدود الكويت. فأشار الوكيل السياسي نوكس، الذي درس الموضوع، إلى أنه في ما يختص بالخط الساحلي من أم قصر حتى الصبية، فإن هذه المنطقة يقطنها عرب الكويت ويعترفون بسلطة الشيخ عليهم. وكذلك في ما يتعلق ببويان، رغم إقامة الحامية العثمانية فيها، فأين قبائل العوازم الكويتية سكنتها، ومارست الصيد لعقود متعاقبة بموافقة شيوخ الكويت. وإن الدولة العثمانية لم تعترض قط على قيام شيوخ الكويت بمنح القبائل هذه الحقوق. وفي ما يتعلق بجزيرة وربة، أشار الوكيل البريطاني إلى أن الشيخ يدّعي

From Sheikh Mubarak to Political Resident Cox, Bushire, F.O. 371/154, July (١) 13, 1905.

ملكيتها بسند ملكية شخصي<sup>(١)</sup>. وأياً يكن الأمر، فإن الوثائق البريطانية توضح أن بريطانيا لم تشأ أن تتخذ موقفاً واضحاً أو حاسماً، وأنه - من وجهة نظر مصالحها - تعاملت مع موضوع حدود الكويت على أنه موضوع يتضمن احتمال المساومة عليه.

وفي عام ١٩٠٧، شكلت حكومة الهند البريطانية لجنة فنية لحسم القضايا المعلقة بشأن حدود الكويت. وأقرت اللجنة اعتبار جزيرتي بويان ووربة تابعتين للكويت، أما المطالب الكويتية بشأن منطقة الساحل من جزيرة فيلكا حتى شط العرب، فقد ظلت معلقة من دون حسم حتى عام ١٩١٣<sup>(٢)</sup>.

تبلور الموقف البريطاني في المحادثات التي كانت تدور مع الدولة العثمانية بشأن حدود الكويت والقضايا الأخرى في الخليج، وذلك خلال الفترة من فبراير/ شباط ١٩١١ حتى يوليو/ تموز ١٩١٣<sup>(٣)</sup>. كانت هيئة المفاوضات العثمانية برئاسة توفيق باشا السفير العثماني في لندن وهيئة المفاوضات البريطانية برئاسة إدوارد غراي وزير الخارجية البريطاني.

وخلافاً للموقف البريطاني التقليدي الذي استند إلى تقرير ببلي الذي كتبه عام ١٨٦٦ بشأن مستقبل الكويت، والذي اقترح فيه ضرورة عدم اعتراف الحكومة البريطانية بتبعية الكويت للدولة العثمانية، لما لذلك من آثار ضارة على المصالح البريطانية، فقد وافق اللورد هاردنغ حاكم الهند في منتصف يناير/ كانون الثاني ١٩١٢ على إمكان اعتراف بريطانيا بالسيادة العثمانية على الكويت، على أن تصبح محافظة عثمانية مستقلة استقلالاً

(١) Memorandum Respecting Kuwait, F.O. 371/149, December 11, 1905.

انظر مجموعة المراسلات الدبلوماسية البريطانية بشأن أم قصر ووربة وبويان خلال الفترة ١٩٠٢-١٩١٠ في

Records of Kuwait 1899-1961, Vol 1, **Op.cit**, pp. 49-92.

(٢) د. جمال زكريا: مرجع سابق، ص ٢٨٤.

(٣) انظر بالتفصيل تطور الموقف البريطاني بشأن الكويت في المفاوضات البريطانية - العثمانية في Records of Kuwait 1899-1961, Vol 1, **Op.cit**, pp. 357 - 423.

ذاتياً، وأن يكون وضعها هو وضع مصر نفسه. فهي تابعة اسماً للدولة العثمانية بينما يتولى البريطانيون حكمها<sup>(١)</sup>.

وتبادل الجانبان البريطاني والعثماني المذكرات بشأن الوضع القانوني والسياسي للكويت، فأرسل غراي مذكراً للجانب العثماني بالموافقة التي سبق أن أعلنتها الحكومة العثمانية بخصوص التصريح البريطاني الصادر في سبتمبر/ أيلول ١٩٠١ بشأن وجوب اعتراف الدولة العثمانية بالوضع القائم، والذي يتضمن الاتفاقات المعقودة بين بريطانيا وشيخ الكويت وضرورة اعتبار جزيرتي وربة ويويان ضمن حدود الكويت. وأشارت المذكرة إلى أنه في حالة الموافقة على ذلك، فإن الحكومة البريطانية على استعداد للاعتراف بالسيادة العثمانية على الكويت.

وأجاب المفاوض العثماني توفيق باشا في ١٥ أبريل/ نيسان ١٩١٢ مطالباً بتوضيح مفهوم «الوضع القائم». وهل هذا التعبير يشير إلى وضع الكويت قبل عقد اتفاق ١٨٩٩، والذي لم تعترف الحكومة العثمانية به، أو بعده. ودلت المذكرة على تبعية الكويت للدولة العثمانية باعتراف آل صباح جميعهم بهذه التبعية وحملهم لقب قائم مقام، واشترك الشيخ عبد الله آل صباح في حملة مدحت باشا على الأحساء، ورفع العلم العثماني على الكويت. ورفضت الدولة العثمانية الاقتراح البريطاني بأن تشمل حدود الكويت جزيرتي وربة ويويان، وأن هذه الحدود التي يمارس عليها الشيخ نفوذ لا تتجاوز من ناحية الشمال كاظمة والجهرة.

ورد غراي في ١٨ يوليو/ تموز ١٩١٢ بمذكرة أقر فيها تبعية الكويت للسيادة العثمانية، مؤكدة على تمتع الكويت بالحكم الذاتي، وعلى دخول جزيرتي بويان وربة ضمن حدود الكويت، وضرورة أن تنسحب

(١) From Political Agent in Kuwait Shakespear to Political Resident in Bushire Percy Cox, May 28, 1913.

الحمايات العثمانية منها. وانتهى الأمر باتفاق الطرفين على الاعتراف بالسيادة الاسمية وليس الفعلية للدولة العثمانية على الكويت. وبالفعل، وصل الطرفان إلى اتفاق بشأن حدود الكويت، وذلك ضمن الاتفاق الذي أبرمه الطرفان في ٢٩ يوليو/ تموز ١٩١٣، ووقع عليه كل من الصدر الأعظم إبراهيم حقي باشا ووزير الخارجية البريطاني غراي. كان الهدف من هذا الاتفاق إنهاء الصراع العثماني البريطاني في المنطقة، وتقسيم مناطق النفوذ، والاتفاق حول المصالح المتبادلة بين الدولتين في منطقة الخليج.

حدد الاتفاق حدود الكويت في المادتين الخامسة والسابعة، مستبعداً منها أم قصر وسفوان. ويعتبر هذا التحديد أول خارطة رسمية للكويت<sup>(١)</sup>.

فنصت المادة الخامسة على تحديد منطقة نفوذ شيخ الكويت في نصف دائرة تتوسطها مدينة الكويت، وأن يكون حدها الشمالي خور الزبير وحدها الجنوبي القرين، على أن تتبعها جزر وربة وبوبيان ومسكان وفيلكا وعوهة وكبر وقاروه وأم المرادم والمياه الإقليمية لتلك المناطق. ومؤدى هذه المادة أن السلطة الفعلية للشيخ قد حصرت في هذا النصف من الدائرة وأشير إليه بخط أحمر على الخارطة الملحقة بالاتفاق. أما بالنسبة إلى الأراضي التي تقع خارج نطاق ما أشارت إليه هذه المادة، فيمارس الشيخ حقوقه فيها وفقاً للمادة السابعة.

وأضافت المادة السابعة: النصف الآخر من الدائرة بخط يبدأ من

(١) انظر في تطور الخرائط الكويتية، منيرة عبد القادر الجاسم: تطور الخرائط الكويتية (الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ١٩٩٣). وكذلك محمد رشيد الفيل: الجغرافيا التاريخية للكويت (الكويت: منشورات ذات السلاسل، ط ٢، ١٩٨٥)، ص ٣١١. وعبد الله يوسف الغنيم: الكويت. قراءة في الخرائط التاريخية (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٢).

الساحل عند مصب خور الزبير متجهاً إلى الشمال الغربي ماراً بجنوب أم قصر (تبعد ٣٥ ميلاً غرب مدينة البصرة) وسفوان وجبل سنام (تاركاً هذه الأماكن وآبارها إلى ولاية البصرة) وعند وصول خط الحدود إلى الباطن (واد جاف يبلغ عمقه حوالي ١٨٠ قدماً ويمتد بين الحفر وجبل سنام) باتجاه الجنوب الغربي إلى نقطة حفر الباطن التي تدخل ضمن حدود الكويت ينحرف الخط إلى الجنوب الشرقي مدخلاً ضمن حدود الكويت آبار الصفاه والقرعة والهبة وبره وأنطاع حتى يصل إلى البحر بالقرب من جبل منيفة.

وأعطت المادة السادسة من الاتفاق لشيخ الكويت السيادة على القبائل التي تسكن المناطق الواردة في المادة السابعة، وأن له حق فرض العشور وتحصيلها، وممارسة السلطات الإدارية فيها، على ألا تقوم الحكومة العثمانية بأي عمل إداري مستقل عن شيخ الكويت.

ومع إقرار بريطانيا بالسيادة العثمانية على الكويت، بدأت في التمهيد لإقناع الشيخ مبارك بذلك. فالتقى شكسبير الشيخ، وكتب تقريراً في ٢٨ مايو/ أيار ١٩١٣ ورد فيه أنه شرح للشيخ جهود بلاده لضمان استقلال الكويت وعلاقتها الخاصة مع بريطانيا، وأنها سعت بقدر الإمكان لإقرار الحدود التي طالب بها الشيخ، كما سعت للحيلولة دون التدخل العثماني في شؤون الكويت الداخلية والخارجية. وعندما سأل الشيخ عن معنى هذه الترتيبات الجديدة، أجاب شكسبير بأنها سوف تماثل علاقة مصر بالأتراك والإنكليز.

في هذا اللقاء، رفض الشيخ مبارك تماماً فكرة قبول ممثل عثماني في الكويت، لأنه - حسب قوله - سوف يتدخل في كل الأمور، وسوف تصبح داره بؤرة للتآمر في الداخل والخارج، وسوف يُضعف ذلك من سلطته على رعاياه. وطلب منه أن يُرسل إلى حكومته رفضه لهذا الأمر. وفي إشارة من

الشيخ إلى أن بريطانيا لم تحترم تعهداتها للكويت، ذكر أن اتفاق ١٨٩٩ قد أبرم لمنع ما يحدث الآن، وأن اتفاق تأجير منطقة الشويخ عام ١٩٠٧ نص صراحة على عدم إيجاد موضع قدم للعثمانيين في الكويت. وعاد الشيخ مرة أخرى إلى إثارة موضوع تعيين وكيل عثماني، وذكر أن بريطانيا ليست في حاجة إلى الموافقة على ذلك، لأن الأتراك الآن ضعاف ومهزومون. وطلب الشيخ من شكسبير الكتابة إلى حكومته رفضه الفكرة.

أعاد الشيخ الكرّة، ففي ٦ يوليو/ تموز ١٩١٣ أرسل خطاباً إلى الوكيل السياسي عبّر فيه عن مخاوفه بشأن الاتفاق، وأنه يثق بمساعدة الحكومة البريطانية له، وأثار ثلاث نقاط: الأولى، تتعلق بوراثة الحكم في أبناءه. وأشار إلى أن اتفاقاته مع الحكومة البريطانية تستخدم تعبير «أبنائي» باعتبارهم ورثته من بعده، بينما ورد في الاتفاق البريطاني العثماني كلمة «خلفاء» مما يتضمن أبناءه وغيرهم. والثانية، إن الاتفاق الكويتي - البريطاني ينص على عدم قبول أي وكيل لحكومة أجنبية، وهو ما يعني أن بريطانيا خالفت شروط الاتفاق. وثالثها تتعلق بمشاركة الحكومة العثمانية للشيخ في جباية الضرائب. وأشار الشيخ إلى أن اتفاق عام ١٩٠٧ المبرم مع الحكومة البريطانية يشير بوضوح إلى أن جباية الضرائب من حق الشيخ وحده<sup>(١)</sup>.

وجاء رد المقيم البريطاني في اليوم التالي شكلياً وقانونياً. فبالنسبة الى موضوع استقبال وكيل عن دولة أجنبية، ذكر أن الاتفاق يمنع الشيخ من ذلك إلا بشرط موافقة الحكومة البريطانية، وهي قد وافقت على ذلك. وبالنسبة الى استخدام تعبير «خلفاء» بدلاً من «أبناء» فإنه لا يوجد ما يبعث على الخشية لأن دور الحكومة العثمانية سوف يقتصر على التصديق على عملية توارث الحكم من دون تدخل منها. وبالنسبة الى موضوع

(١) From Political Agent Shakespear to Political Resident, May 28 1913.

الضرائب، فقد تجاهله المقيم البريطاني تماماً مدعياً أنه ليس تحت يديه نصوص الاتفاق<sup>(١)</sup>.

لم تأخذ بريطانيا بتحفظات الشيخ، فقد اقتضت مصالحها في الخليج الوصول إلى هذه التسوية. فاعتبر الاتفاق البريطاني - العثماني الكويت قضاءً مستقلاً تحت السيادة العثمانية، وأن يستمر شيخ الكويت في رفع العلم العثماني مع إضافة كلمة «كويت» إذا رغب في ذلك، وأن يتمتع بإدارة داخلية مستقلة في أراضيه بحيث تمتنع الحكومة العثمانية عن التدخل في الشؤون الداخلية للكويت، وعن أي عمل عسكري في أراضيتها، وينسحب ذلك على دورها عند تولي حاكم جديد، وأن تكتفي بإصدار فرمان التولية لمن يخلف الشيخ. وتأكيداً لاتفاق ١٩٠١ الخاص بالمحافظة على الوضع الراهن في الكويت، تتعهد الحكومة العثمانية بعدم المساس بذلك الوضع، كما تتعهد بريطانيا بالألا تجعل الكويت محمية بريطانية.

وأكد الاتفاق أن القبائل «النازلة» داخل حدود الكويت تعتبر تابعة للشيخ الذي يجمع منها الأعشار الضرائب كما كان في الماضي، ولا تمارس الحكومة العثمانية في هذا الإقليم أي عمل إداري مستقل. وكفل الاتفاق للشيخ حق الاستفادة من حقوق ملكية أراضيه الخاصة في ولاية البصرة، على أن تخضع هذه الأملاك للعوائد والضرائب وفقاً للقانون العثماني. في مقابل ذلك، أصبح للدولة العثمانية حق إرسال وكيل عثماني مقيم في الكويت، كما حصلت على سفوان وأم قصر اللتين خرجتا من حدود الكويت.

إن النظرة القانونية تكشف عن عدد من التناقضات الواردة في الاتفاق. فهي تشير إلى أن الكويت تمثل قضاءً عثمانياً، لكنها في الوقت نفسه مستقلة في إدارتها وتمتتع على الدولة العثمانية إرسال قوات عسكرية

(١) From Political Resident Cox to Sheikh Mubarak, July 7 1913.

إليها أو القيام بأي عمل عسكري على أراضيها. أضف إلى ذلك، أن دور الحكومة العثمانية في اختيار حاكم الكويت غير موجود أصلاً، وإنما ينحصر دورها في إصدار فرمان السلطاني لمن يرث الحكم من دون تدخل أو اختيار من جانبها.

فضلاً عما تقدم، فإن إضافة كلمة الكويت إلى العلم العثماني هي دليل عملي على تمتعها بدرجة كبيرة من الحرية في إدارة أمورها واستقلالها عن السلطة العثمانية. أكدت ذلك المعاهدات والاتفاقات التي أبرمها شيخ الكويت مع بريطانيا، وهو ما نصت عليه المادة الثالثة من الاتفاق الذي اعترفت به الدولة العثمانية في جميع تلك الاتفاقات، وأشارت تحديداً إلى الإتفاقات المبرمة في أعوام ١٨٩٩، ١٩٠٠، ١٩٠٤ و ١٩٠٧. ويشير كل ما تقدم إلى أن الاتفاق أعطى الدولة العثمانية حقوقاً شكلية واسمية، أما السلطة الفعلية والممارسة العملية لإدارة أمور الكويت فقد ظلت في يد الشيخ.

ومن وجهة النظر السياسية، فإن الاتفاق في واقع الأمر أكد الوجود السياسي المستقل للكويت ولحق حكامها في إدارة أمورها بشكل مستقل. كما أكد أن جزيرتي بوبيان ووربة تعتبران جزءاً من أراضي الإمارة. وأياً يكن الأمر، فقد تأجل التصديق على هذا الاتفاق أكثر من مرة، واتفق الطرفان - البريطاني والعثماني - على ضرورة التصديق عليه في موعد أقصاه ٣١ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩١٤. ولم يتحقق ذلك بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى التي اتخذت الدولة العثمانية فيها جانباً معادياً لبريطانيا. وترتب على ذلك بداية صفحة جديدة في العلاقات بين الكويت وكل من بريطانيا والدولة العثمانية.



---

الفصل الثاني

## بدايات التطور الاجتماعي والانفتاح على الخارج

«كان الشيخ مبارك شجاعاً مقداماً  
قوي الشكيمة ثاقب الفكر سديد  
الرأي محباً للشهرة والمجد. وفي زمانه،  
اتسعت الكويت وازدهرت. وكان  
عصره فيها عصر القوة والأمن...  
عصر الرخاء والدعة. وهو الذي  
ترك اسمه يتخلل الأندية السياسية  
والمحافل الدولية».

سيف مرزوق الشملان:  
من تاريخ الكويت



# تطور الحياة الاجتماعية

شهدت مرحلة حكم الشيخ مبارك عملية تغير اجتماعي واسعة المدى، فتبلور شكل نظام الحكم والإدارة بما حقق أمن الكويت وسلامة مواطنيها وإقرار العدل بينهم. كما شهدت إنشاء أول مدرسة نظامية فتحت الباب لتطور التعليم الحديث، وأول جمعية أهلية للنفع العام، وأول مستشفى لتوفير الرعاية الصحية للجميع. وعرفت هذه الفترة أيضاً نهوضاً للحياة الفكرية، تمثلت في حضور عدد من رجال الفكر والثقافة العرب، ودخول عدد من مظاهر التكنولوجيا الحديثة إلى الكويت.



## أولاً: نظام الحكم والإدارة

اتسم شكل الحكم في الكويت، شأنها في ذلك شأن بقية مشيخات الخليج في ذلك الوقت، باحترام التقاليد القبلية التي جاءت انعكاساً لواقع المجتمع، وببساطة أمور الإدارة والحكم. كان الشيخ مبارك هو من «تُرفع إليه الشكاوى وإليه تُرجع الأحكام وعليه المعول في ضمان العدل». وعندما كانت تعرض عليه مسألة دينية كان يحيلها إلى أحد علماء الدين، ويتم تنفيذ حكمه. وبالمنطق نفسه، كان الشيخ يحكم في الأمور التجارية البسيطة، أما إذا «استعصى عليه الحل أودعها إلى واحد أو اثنين أو ثلاثة من التجار ذوي الخبرة فما يقررونه هو القول الفصل»<sup>(١)</sup>.

مارس الشيخ مبارك هذا الدور من خلال مجلس له في وسط مدينة الكويت للفصل في الخلافات بين الناس، ثم جعل لابنه الشيخ جابر مجلساً آخر في طرف المدينة. وحرص الشيخ على ممارسة ذلك في مكان عام حتى يمكن أي شخص لديه منازعة أو خصومة أن يصل إليه.

وكان المجتمع يتكون من مجموعة القبائل التي تدين بالولاء للشيخ. وإذا كان لكل قبيلة شيخ يتولى قيادتها وتدير أمورها، فإن الحاكم أو الأمير هو شيخ مشايخ البلد. ويصف الطبيب ستانلي ماليري شيخ الكويت بأنه

(١) حسين خلف الشيخ خزعل: تاريخ الكويت السياسي، مرجع سابق، ص ٢٩٤.

«كان يرأس البلد الكهل العظيم الشيخ مبارك الصباح، صانع الكويت الحديثة، وهو رجل يتمتع ببعده الرؤية والمقدرة الكبيرة. وكانت تساعده حكومة قديرة. وكان النظام والهدوء سائدين ليلاً ونهاراً. وقد امتد نفوذ مبارك إلى الصحراء. وكان شيخ العشيرة الحقيقي»<sup>(١)</sup>.

ويضيف ماليري عن أسلوب حكمه فيقول إن الشيخ مبارك لم يكن منعزلاً عن رجل الشارع أو البدو في الصحراء. فقد كان بمقدور أي إنسان له قضية أو مشكلة أن يقابله من دون مشقة<sup>(٢)</sup>. ويذكر الرحالة الدنماركي باركلي رونكير الذي زار الكويت في نهاية يناير ١٩١٢ أن موكب الشيخ كان يسير «عبر أطول شارع في السوق المغطى بسعف النخيل التي يتسلل من خلالها بعض أشعة الشمس. في تلك الأثناء تتوقف كل الأعمال في السوق كي يتاح للناس السلام على الشيخ»<sup>(٣)</sup>.

ويصف الأجنب الذين زاروا الكويت، أو عاشوا فيها خلال عهد الشيخ، مجلسه ونمط حكمه. فيذكر ماليري انه «كان يجلس على الشرفة، البحر إلى يساره، وكبار رجال المدينة إلى يمينه. ويتقف أمامهم مجموعة من الحراس»<sup>(٤)</sup>.

(١) ستانلي ماليري: مذكرات د. س ستانلي ج ماليري ترجمها كل من د. محمد غانم الرميحي وباسم سرحان تحت عنوان الكويت قبل النفط، مرجع سابق، ص ٣٦.

(٢) المرجع السابق، ص ص ٣٧-٣٨.

(٣) باركلي رونكير، (نقله من الإنكليزية إلى العربية منصور محمد الخريجي): عبر الجزيرة العربية على ظهر جمل (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٩)، ص ٦٢. وكذلك محمد بن إبراهيم الشيباني (إعداد): الكويت كما رآها السياسي الدنماركي باركلي رونكير عام ١٣٣٠ هـ - ١٩١٢ م (الكويت: مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ١٩٠٤)، ص ١٥. انظر عرضاً تحليلياً باللغة الإنكليزية عن رحلة رونكير في

Peter Prent, *Far Arabia. Explorers of The Myth* (London: Quartet Books, 1979), pp. 180-193.

(٤) ستانلي ماليري: مرجع سابق، ص ٣٦.

ويضيف رونكير «وتجد بجانب الشيخ دائماً علبة سجائره المرصعة بالألماس، والتي تحوي سجائر بغداد الطويلة، وكذلك منظاره، الذي يشاهد فيه القوارب وهي ترفع قلعها مبحرة فوق مياه الخليج، أو ربما يبحث عن سفينة البريد»<sup>(١)</sup>.

كان الشيخ يمارس سلطاته كحاكم مستقل، فيذكر ونستون مؤلف كتاب «الكابتن شكسبير» أنه «وإن تكن الكويت اسمياً، جزءاً من الإمبراطورية العثمانية، وشيخها في نظر الإنكليز مجرد قائم مقام، أو حاكم على هذه المنطقة، إلا أن شيخ الكويت في زمن الكابتن شكسبير، وهو مبارك الصباح، يختلف كلياً عن هذه الصورة»<sup>(٢)</sup>.

وكان المجلس اليومي للشيخ يجتمع في قصر السيف الذي بناه مبارك بالحجر الصغير المحروق، وكان يعرف بـ«السراي المباركية»، والذي أقام فيه الشيخ حفل زواج ابنه الشيخ حمد، كما كانت تجرى أمامه الاحتفالات الكبرى. ويصف رونكير القصر بأنه يقع في حوالى منتصف المسافة الممتدة على الشاطئ، وأنه يتكون من مبان عدة وملحقات تم بناؤها في أوقات مختلفة. وأنه «بناء ضخم يشبه القلاع ويتوسطه فناء مربع ولا يوجد شبابيك في حيطانه العالية إنما فوهات صغيرة جعلت في أماكن متفرقة من الجدران، ويتصل البناء كله بالعالم الخارجي من خلال باب صغير يفتح على ممر صغير بين جناحي القصر العلويين وهما السكن وقسم الخدم، ويوجد فوق الممر وعلى علو خمسة أو ستة أمتار قنطرة لا منافذ لها تصل بين القسمين. أخيراً توجد شرفة تطل من خلال رواشيها الخشبية المزخرفة على الشاطئ وعلى المدينة وتصل بقية القصر بالسراي

(١) باركلي رونكير: مرجع سابق، ص ٦٣.

H.V.F. Winstone, **Captian Shakespear. A Portrait** (London: Jonathan Cape, (٢) 1976), p. 112.

وتعلو فوق شارع عريض يفصلهما»<sup>(١)</sup>.

ويضيف عبد المسيح إنطاكي في وصفه للقصر أن الشيخ مبارك أراد «أن يحافظ على عوائد قومه في بناء قصره فشاده على الطراز العربي البحت فقسمه قسمين جعل أحدهما للحرم المصون والآخر للضيوف». ووصف القصر بأنه يتكون من طابقين، يشغل الطابق الأول دوائر عدة «أولها دائرة الحرس حيث يقيم الجنود وهي عبارة عن غرف نظيفة مملوءة جدرانها بالأسلحة ثم تليها دائرة أشغال الإمارة وهي عبارة عن ثلاث غرف إحداها غرفة الباشكاتب أو كاتب الأسرار، وهو حضرة الأديب الفاضل عزتو عبد العزيز أفندي السالم... ثم هناك عدد كبير من الكتبة بين كاتب التحريات الأجنبية وكاتب الحسابات وكاتب الاحسانات وكاتب الخرج.. إلخ».

ويضيف إنطاكي أنه يلي دائرة الأشغال مجلس الشيخ جابر، ويليهها مجلس الشيخ مبارك. ووفقاً لوصفه، فإن هذه الدوائر يحيطها فناء القصر الكبير ويوجد عند طرفها اسطبل للخيول النجدية الشهيرة التي يستخدمها الشيخ مبارك وأولاده وأعوانه. أما الدور الثاني، الذي يرتفع عن الأرض نحو ثلاثين درجة، فتوجد فيه قاعة التشريفات التي تتكون من صالة واسعة مفروشة بالكنبات على الطراز الإفرنجي والمصنوعة في الهند، ومفروش على أرضها السجاجيد الفارسية الفاخرة. ومعلق في صدر القاعة صورة كبيرة للشيخ ملونة بالزيت وصور لعدد من الملوك والأباطرة. ويلي هذه القاعة عدد من القاعات الأصغر لاستقبال الضيوف<sup>(٢)</sup>.

(١) باركلي رونكيير: مرجع سابق، ص ص ٦٠-٦١.

(٢) عبد المسيح إنطاكي بك: الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة، مرجع سابق، ص ص ٦٤٤-٦٤٦. وجزير بالذكر أنه عام ١٩١٧ جدد الشيخ سالم المبنى القديم للقصر، وأضاف جزءاً آخر فيه كتب على بابهِ الشمالي «لو دامت لغيرك ما اتصلت إليك»، كما قام الشيخ عبد الله السالم بتجديد القصر عام ١٩٦١.

وفي هذا الإطار، حرص الشيخ مبارك على اختيار العناصر المناسبة للعمل لديه. وكان في ذلك قصة للشيخ مع والد شاعر الكويت المبدع فهد صالح العسكر. لقد كان صالح العسكر حاد المزاج، عصبياً، مما أدخله في مشكلات مع زوجته وأبيه أدت به إلى ترك إمامة المسجد والتدريس في المدرسة التي كان يعمل فيها، مما أدى إلى انقطاع دخله. وعندما عرف الشيخ هذه القصة من عبد الله بن حمد العبد المحسن العتيقي وكيل أملاكه، طلب منه أن يحضره إليه.

ف عندما حضر صالح «سأله مبارك: كيف أعدت إليك زوجتك التي طلقتها، وقد حرمها عليك الشيخ محمد الفارسي. فأجاب صالح العسكر على الفور: ولماذا اعتمدت الحكومة الشيخ خالد العدساني قاضياً شرعياً للكويت؟. فسكت مبارك الصباح، بعد ملاحظة صالح العسكر هذه وإجابته الفورية، وما يعنيه منها! وبعد ذلك أصدر حكمه بتعيينه موظفاً لديه في الجمارك»<sup>(١)</sup>.

ويعكس هذا الحوار أكثر من معنى. فهو يعكس، من ناحية، ذكاء صالح العسكر وسرعة بديته وشجاعته في حضور الشيخ. ويعكس، من ناحية أخرى، حرص مبارك على متابعة كل ما يصله من أخبار عن أهل الكويت، واحترامه للجرأة في القول، وللشجاعة في الرأي. وبسبب ذلك احترم صالح العسكر، وعينه في الجمارك.

وحسب النظام المعمول به وقتذاك، فقد كانت الرسوم التي يتم جمعها تُسلم في نهاية اليوم إلى الحاكم. وعندما باشر صالح العسكر عمله في الجمارك، أو كما كانت تسمى وقتها «المكوس»، ذهب في اليوم الثاني حاملاً معه حصيلتها والتقاء عبد الله العتيقي وسأله: ما معك يا صالح؟

(١) عبد الله زكريا الأنصاري: فهد العسكر. حياته وشعره (الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ط ٥، ١٩٦٧)، ص ٣٩.

فأجابه إنها أموال الرسوم التي حصلها بالأمس . فنصحه عبد الله العتيقي بأنه لو سلم هذا المبلغ إلى مبارك، فإن الشيخ سوف يتوقع منه تسليم مثل هذا المبلغ يومياً . فسأله صالح: ما العمل؟ فأجابه بأن عليه تسليم نصف المبلغ فقط والاحتفاظ بالنصف الثاني، ففعل ذلك .

وعلى الرغم من أن صالحاً لم يسلم الشيخ كل حصيلة المكوس، فقد تعجب مبارك مستكثراً هذا المبلغ الذي لم يكن يتسلم مثله ممن شغلوا هذا العمل في الجمارك من قبل . وقال: «لقد ضاعت علينا أموال كثيرة قبل أن يتسلم صالح عمله». وكافأ الشيخ صالح العسكر بأن قرر له راتباً شهرياً قدره عشرون ريالاً، وذلك في مقابل اجتهاده وإخلاصه في العمل . وكان هذا المبلغ يعتبر مبلغاً كبيراً في تلك الأيام، فقرر صالح أن يشتري المبنى الذي استأجره بمبلغ مائة ريال يدفعها على أقساط شهرية من مرتبه . ولما علم مبارك بذلك، دفع ثمن البيت من حسابه، وسجل البيت باسم صالح العسكر . وازدادت ثقة الشيخ به حتى أصبح وكيلاً عاماً على أملاكه<sup>(١)</sup> .

لم يكن هناك تدخل كبير من جانب الشيخ في شؤون القبائل التي نظم العرف القبلي شؤونها وعلاقاتها . وعادة ما كانت هذه القبائل تتصاهر بعضها مع بعض، وكان الشيخ هو أول من يحرص على ذلك بمصاهرة القبائل الكبرى في البلاد تأكيداً لعلاقة الدم بين الأسرة الحاكمة وبقية القبائل، وذلك ضماناً لتأييدها ودعمها . ومع أن حوادث التمرد والخروج عن السلطة كانت من الأمور العادية والمتكررة في تاريخ القبائل، لكن في عهد مبارك، ووفقاً للوريمر، فقد «كانت أمور القبائل في الكويت مستتبة بحيث إننا لم نسمع عنها شيئاً . وكانت المعارضة لما يريده الشيخ مبارك

(١) المرجع السابق، ص ٣٩-٤٠ .

من القبائل الواقعة تحت نفوذه معارضة لا تُذكر»<sup>(١)</sup>.

أما مناطق المدن، فتولى السلطة فيها ممثلون للشيخ يحكمون بأمره وينفذون تعليماته، وكانوا لا يتقاضون مرتبات، بل كانوا يعتمدون على ما يقدمه لهم الأهالي من هدايا في مقابل الخدمات التي كانوا يقومون بها، مثل اعتماد أوراق المبيعة، أو شهادات الميلاد أو الزواج. كما كان لهم نصيب في أرباح سفن الغوص والصيد والتجارة، كما كانوا يارسون أعمال القضاء وفض المنازعات بين أهالي البلدة، ويصدرون أحكامهم في القضايا الشرعية المتعلقة بالميراث أو النفقة وقضايا الأحوال الشخصية، وذلك بناءً على أحكام الشريعة الإسلامية. وكانوا كثيراً ما يستعينون بذوي المعرفة بالتقاليد والأعراف المتفق عليها بشأن الخلافات الخاصة بالأنشطة الاقتصادية التي كان أهالي الكويت يارسونها وقتذاك.

ارتفع شأن القضاء في عهد مبارك حيث شارك الشيخ في سلطته كل من القاضي الشرعي، والمحكمة العرفية التي تفصل في المنازعات التجارية في السوق، وهي تتكون من عدد من التجار ذوي الخبرة. وكانت الغالبية العظمى ممن مارست مهمة القضاء الشرعي تنتمي إلى أسرة العدساني.

وكان للحاكم سلطة فرض العقوبات على المخالفين، وكانت تتراوح بين الجلد والسجن، على حسب نوع الجريمة وخطورتها. وكان الشيخ مبارك حريصاً على معاقبة كل من يهدد أمن أهالي الكويت والقادمين إليها وسلامتهم. ولم يميز بين قوي وضعيف بل طبق القانون على الجميع من دون استثناء، ولم يكن يسمح لأحد من آل صباح بالتجاوز على أحد من أهالي الكويت.

(١) ج ج لوريمر: دليل الخليج، ج ٣، مرجع سابق، ص ١٥٦٧.

وفي حديث له - كما يذكر عبد المسيح إنطاكي - قال الشيخ «إن الجنايات والتعديات قلما تحدث عندنا لأننا نتبع المجرم ونُعجل في قصاصه حسب الشريعة المطهرة السمحاء، ونستعمل الصرامة الكلية في إجراء القصاص بحيث لا نقبل شفاعة شفيح. وبهذا ساد في إمارتنا، وبحمد الله، الأمان، وعاش القوي والضعيف فإذا هما أخوان صنوان.. والذي يمهد لنا أسباب الأمان بالأكثر هو بدواة الناس وحسن تدينهم، فقلة منهم من يستعمل الكذب أو يشهد بالزور أو يستعمل الخديعة والغدر»<sup>(١)</sup>. ويسجل عبد العزيز الرشيد أن الشيخ كان حريصاً على إنزال عقابه الصارم بمقتري الآثام «فكم سمعناه أدب شارباً للخمر وكم سمعناه عاقب متحرشاً بالمصونات، وكم أشاد الناس بذكره لئفيه من المدينة بعض المتلبسين بما يندى له جبين الحياء»<sup>(٢)</sup>.

وكانت هذه العقوبات تنفذ في سجن الكويت الذي كان عبارة عن دكان كبير يقع في وسط السوق ما بين مسجد السوق الكبير وقيصرية التجار في الجهة الشرقية منهما، وقد سُمي الدكان فيما بعد بدكان عبد العزيز القندي، وهو أحد التجار. وفي زمن الشيخ مبارك، نُقل السجن إلى مكان يقع بالقرب من البحر عند منحدر «بهيته» جنوب قصر السيف تماماً<sup>(٣)</sup>.

كما كان الشيخ حريصاً على مواجهة أي مشكلة تحل بأهل الكويت بنفسه. ففي شهر مارس/ آذار ١٩١٤، هاجمت جموع الجراد المدينة بأعداد هائلة، انقضت على الأقمشة والمظلات والخيام والحبال تلتهمها. كان الشيخ وقتها في الصحراء، وبمجرد علمه بذلك عاد

(١) عبد المسيح إنطاكي بك: مرجع سابق، ص ص ٦٧٤-٦٧٥.

(٢) عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٢٢٠.

(٣) عبد الله خالد الحاتم: مرجع سابق، ص ص ١٧٩-١٨٠.

إلى المدينة لكي يواجه بنفسه مكافحة هذا الخطر، وذلك من خلال قيام أهالي الكويت بقرع الطبول وعلب الصفيح حتى تم التحكم في الموقف. وساعدت الطبيعة في ذلك حيث شبت رياح عاصفة أجبرت الجراد على الرحيل (١).

ومع تطور الحياة الاجتماعية في البلاد، وافق الشيخ مبارك عام ١٩١٣ على إنشاء أول جمعية أهلية باسم «الجمعية الخيرية الإسلامية». كان صاحب فكرتها فرحان بن فهد الخالد الخضير الذي أسسها لتكون نواة للإصلاح العام. وافتتحت هذه الجمعية في مارس ١٩١٣، وحظيت عند إنشائها بتشجيع من وجهاء الكويت وأعيانها (٢).

كان الغرض من تأسيس الجمعية، وفقاً للمنشور الذي وزع للتعريف بها، «إرسال طلاب العلوم الدينية إلى الجامعات الإسلامية في البلاد العربية الراقية كمصر وبيروت ودمشق وغيرها من أمهات المدن العربية، وبذل ما يقتضي لهم من المصاريف في مدة تحصيلهم من صندوق الجمعية، وجلب محدث فاضل يعظ الناس ويرشدهم إلى الصراط المستقيم، وكذلك جلب طبيب وصيدي مسلمين حاذقين لمداواة الفقراء والمساكين وإعطائهم العلاجات اللازمة مجاناً، وتوزيع الماء الذي هو من أهم حاجات بلدتنا هذه، وتجهيز أموات المسلمين الفقراء والغرباء وتكفينهم» (٣). وتبرع الشيخ مبارك بخمسة آلاف روبية دعماً للجمعية لكي يشجع الآخرين على الاقتداء به.

وإلى جانب هذه الأهداف المعلنة من إنشاء الجمعية، يبدو أنه كان

(١) انظر وصف د. ستانلي ماليري لذلك في زبيدة علي أشكناني (إعداد وترجمة): من نافذة «الأميركاني». تقارير العاملين في مستشفى الإرسالية الأميركية عن الكويت قبل النفط (الكويت: دار قرطاس للنشر، ١٩٩٥)، ص ص ٣٣-٤٠.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٥.

(٣) عبد العزيز الرشيد: مرجع سابق، ص ٣٧٣.

هناك هدف مستتر، وهو مقاومة التبشير في الكويت وبلاد الخليج. ويربط بعض الباحثين بين إقامة هذه الجمعية والدعوة التي أطلقها الشيخ محمد رشيد رضا عام ١٩١٢، والتي حضّ فيها على تكوين جمعيات إسلامية بغية خدمة المسلمين ومواجهة المد التبشيري في منطقة الخليج الذي كان من مظاهره في الكويت قدوم الإرسالية الأميركية عام ١٩١٠ ثم افتتاح المستشفى الأميركي ١٩١٢. كما يربط آخرون بين تأسيس الجمعية وإنشاء المدرسة المباركية قبلها بأقل من عامين. وينظرون إلى هذين الحدثين باعتبارهما مؤشرين عاى توجه واحد يسعى للنهوض بالكويت، وانفتاحها على روح العصر. كما يربط البعض بين فرحان الخالد الكويتي مؤسس الجمعية والزعيم المصري مصطفى كامل، ويذكر أن الخالد كان معجباً بحماسة مصطفى كامل وتوجهه العثماني الإسلامي<sup>(١)</sup>.

ونتيجة الدعم الذي حظيت به الجمعية من أهل الكويت، تم إعداد مقر لها في عمارة عبد الوهاب القناعي، في الحي القبلي من فريج سعود على ساحل البحر، وكان سكرتير الجمعية مشاري عبد العزيز الكليب الذي تولى كتابة الخطابات للأعضاء بشأن مواعيد الاجتماعات وأنشطة الجمعية.

كان مبنى الجمعية مكوناً من دورين خُصص الدور العلوي لنشاط المستوصف الطبي، والدور السفلي للوعظ والإرشاد والمكتبة. وقامت الجمعية بتأثيث المكان وتجهيزه، واستقدمت طبيباً تركياً من البصرة هو الدكتور أسعد أفندي. واستمر عمل المستوصف حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ عندما طلب الشيخ من الطبيب مغادرة الكويت لأسباب سياسية. كما دعت الجمعية الشيخ محمد الشنقيطي من الزبير

(١) خليل محمد عودة أبو ملال: علماء الكويت دعاء الإصلاح (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨٧)، ص ص ٩٢-٩٤، وعبد العزيز الرشيد: مرجع سابق، ص ص ٣٧٢-٣٧٤.

ليقوم بمهمة الوعظ والتعليم، واستمر في عمله حتى غادر الكويت، أيضاً لأسباب سياسية كما سيتم شرحه لاحقاً<sup>(١)</sup>. وبمغادرة الرجلين، توقفت أنشطة الجمعية.

أما مؤسسها النابه فرحان بن فهد الخالد الخضير، فقد توفي مبكراً، وهو على ظهر سفينة آتية من الهند إلى الكويت، فدفن في مدينة بندر عباس الإيرانية عام ١٩١٤.

---

(١) مبارك الخاطر: المؤسسات الثقافية الأولى في الكويت (الكويت: دار قرطاس للنشر، ١٩٩٧)، ص ص ٣٣-٥٦. وكذلك محمد عودة أبو ملال: مرجع سابق، ص ص ٤٤-٤٥.



## ثانياً: التعليم والحياة الأدبية

ساد الكويت حتى نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين نظامٌ تقليدي للتعليم يماثل ما عرفته غالبية البلاد العربية والإسلامية وقتذاك. وتمثل ذلك النظام في عدد من الكتابيب الصغيرة التي يتلقى فيها الطفل مبادئ الكتابة والقراءة والحساب بطريقة محدودة جداً. وكان «الملا» لا يتردد في إيقاع العقاب البدني على الأطفال إذا أهملوا في دراستهم، وكانت الأدوات التي استخدمها لتأديب الطفل تشمل العصا والفلقة والحبل أو السلسلة، فضلاً عن التخويف النفسي، كالشتم والتهديد والوعيد بالحبس في غرفة مظلمة.

وتوافق ذلك مع الروح العامة التي سادت المجتمع وقتذاك. ويكفينا دلالة على ذلك ما يقوله ولي أمر الطفل للملا عندما يسلمه ابنه: «شوف يا ملا ترى لك اللحم ولنا العظام»، أي افعل ما تشاء حتى تربي الطفل. والويل للطفل إن تأخر في حفظ دروسه في الوقت المحدد، أو أخطأ في قراءة درسه. والويل كل الويل له أيضاً إذا لم يحضر «الخميسية» في وقتها. والخميسية هي أن يدفع الطفل «آنة» للملا كل يوم خميس، وإلا الضرب ثم الطرد. ويتقاضى الملا أجراً شهرياً لم يكن عادة يتجاوز الروبية، أي ٧٥ فلساً. وحسب التقاليد، فقد كان للملا حق في لحم الأضحية، والفطرة.

وعندما ينهي الطفل دراسته يقال له «خاتم» وعليه أن يدفع الختامة، وهي مبلغ من المال متعارف عليه. فإذا كان الطفل من أسرة غنية، فقد كان يقوم بدفع المبلغ المطلوب. أما إذا كان الخاتم فقيراً فيستعير له أهله سيفاً مذهباً وعباءة وعقالاً مقصين يرتديهما، ثم يسير في الأحياء ومعه فريق من زملائه الأطفال ووالدته أو إحدى قريباته، ويدخلون البيوت الغنية ويقرأ أحدهم الختمة، وهو كتيب صغير مُعد لهذا الغرض، على أن يبدأ القراءة بجملة «الحمد لله الذي هدانا» فيرد عليه بقية الأطفال بكلمة «آمين»... إلى آخره. ويظلون يدخلون البيوت بيتاً بيتاً، إلى أن يجتمع لديهم المبلغ المطلوب للملا. وكان ذلك يمثل آخر مرحلة من مراحل التعليم.

وفي أواخر عام ١٩١١، توافر عاملان أوجدا المناخ المناسب لإنشاء أول مدرسة نظامية حديثة في الكويت. أولهما، ازدياد النشاط التجاري في البلاد، وتطلع كبار التجار لإنشاء مدرسة تقوم بإعداد كتبة وموظفين يتقنون الكتابة والحساب. وثانيهما، انتشار أفكار عدد من المفكرين الإصلاحيين الذين انتقدوا تحلف العالم الإسلامي، ودعوا إلى الأخذ بأسباب التقدم ونبد الخرافات. وبالفعل، تم إنشاء المدرسة سميت بالمدرسة المباركية نسبة إلى الشيخ مبارك.

ظهرت فكرة إنشاء المدرسة في أبريل/ نيسان ١٩١٠، وذلك خلال حفل أقيم في ديوان يوسف بن عيسى القناعي بمناسبة المولد النبوي الشريف، عندما ألقى ياسين الطبطبائي كلمة أشار فيها إلى أهمية الاقتداء بسيرة الرسول الكريم، وأن ذلك ينبغي أن يكون من خلال التعليم وفتح المدارس لإنقاذ الأمة من الجهل. وأثارت الفكرة حماسة القناعي الذي كتب مقالة أوضح فيه فوائد العلم والتعليم، ودعا إلى إقامة مدرسة حديثة في الكويت<sup>(١)</sup>.

(١) نجاة عبد القادر الجاسم: الشيخ يوسف بن عيسى القناعي. دوره في الحياة الاجتماعية والسياسية في الكويت (الكويت: شركة كاظمة، د.ت)، ص ص ٣٣-٣٤.

ساهم في إنشاء هذه المدرسة غالبية تجار الكويت، فاجتمع لها في وقت قصير ما يزيد عن ثمانين ألف روبية. وكان لكل من قاسم بن محمد آل إبراهيم - (توفي في بومباي عام ١٩٥٧) - وابن أخته عبد الرحمن بن عبد العزيز آل إبراهيم - (توفي في البصرة عام ١٩٦٠) - النصيب الأوفر من هذه التبرعات، فتبرع الأول بمبلغ ثلاثين ألف روبية، وتبرع عبد الرحمن بن عبد العزيز بمبلغ عشرين ألف روبية. كما تبرعت عائلة الخالد ببيت كبير يكون مقراً للمدرسة، ثم فرض التجار على أنفسهم ضريبة بنسبة ١٪ من أرباحهم لضمان استمرار المدرسة أطلق عليها «ضريبة المعارف». وكان ذلك كله بدعم وتشجيع من الشيخ مبارك الذي عين ابنه الشيخ ناصر رئيساً للجنة المشرفة على إنشاء المدرسة<sup>(١)</sup>.

بدأ بناء المدرسة عام ١٩١١ تحت إشراف الشيخ يوسف بن عيسى القناعي. ويروي الشيخ محمد رشيد رضا مؤسس مجلة المنار في عددها الصادر في ١٩ مارس/ آذار ١٩١٢ تحت عنوان «مدرسة علمية في الكويت»<sup>(٢)</sup>. أن صديقه الشيخ قاسم بن محمد آل إبراهيم كتب إليه من بومباي بأن لجنة المدرسة قد كلفتها أن يطلب منه وضع البرنامج التعليمي للمدرسة، وأن يختار لها مجموعة من المدرسين الأكفاء. وأنه رد عليه يسأله عن موعد افتتاح المدرسة، وعدد الطلبة المتوقع، ودرجة ثقافتهم، وغير ذلك من الأمور التي يتوقف عليها تنفيذ هذا الطلب. ويذكر الشيخ رضا أنه كتب هذا المقال قبل أن يجيئه الجواب من الكويت.

(١) يوسف الشهاب: رجال في تاريخ الكويت. الجزء الأول (الكويت: د. ن، ط ٢، ١٩٩٣)، ص ٤٢٢.

(٢) «مدرسة علمية في الكويت» في المنار، المجلد ١٥، جزء ٢ (مارس/آذار ١٩١٢)، ص ص ٣٢٧-٣٢٨.

فتحت المدرسة أبوابها أول يوم من محرم عام ١٣٣٠هـ الموافق ٢٢ ديسمبر/كانون الأول ١٩١١. وتم تعيين مجلس مالي لها تكوّن من حمد الخالد الخضير، وشملاق بن علي بن سيف، وأحمد محمد صالح الحميضي. واختص المجلس بالإشراف على ميزانية المدرسة، والعمل على تنمية مواردها. وكان أول مدير علمي للمدرسة الشيخ يوسف بن عيسى القناعي الذي استمر في عمله حتى عام ١٩١٤، وخلفه الشيخ يوسف بن حمود، وتولى إدارة المدرسة السيد عمر عاصم الأزميري. أما هيئة التدريس فقد شملت الشيخ يوسف بن حمود، والشيخ عبد العزيز الرشيد، والشيخ عبد العزيز بن حمد المبارك الأحسائي، والشيخ حافظ وهبة المصري<sup>(١)</sup>، والشيخ محمد خراشي الأزهري المصري وآخرين<sup>(٢)</sup>.

وتم تقسيم التلاميذ فيها إلى فصول. وأضيفت مواد جديدة، إضافة إلى القراءة والكتابة، فكان المنهج يشمل العلوم الدينية التي تتضمن القرآن الكريم والتفسير والفقه والفرائض، واللغة العربية التي تتضمن الإنشاء والمحفوظات والقواعد والإملاء والرسوم والخط، والتاريخ الإسلامي، وخصوصاً السيرة النبوية وتاريخ الخلافة الرشيدة، ومبادئ الجغرافيا والهندسة والحساب<sup>(٣)</sup>. واستمرت المدرسة المباركية في عملها حتى عام ١٩٥٦<sup>(٤)</sup>.

(١) الشيخ حافظ وهبة مصري الأصل سكن الكويت، وعاش فيها لفترة ثم انتقل إلى نجد، وصار سفيراً للمملكة العربية السعودية في لندن. انظر في قصة حياته خالد البسام: رجال في جزائر اللؤلؤ (المنامة: المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٩١)، ص ٣٣-٤٤.  
 (٢) عبد الله خالد الحاتم: من هنا بدأت الكويت، مرجع سابق، ص ٧٧-٧٩، وكذلك عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٣٦٧-٣٦٩.  
 (٣) نجاة عبد القادر الجاسم: الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، مرجع سابق، ص ٢٤.  
 (٤) عبد الله آل نوري: قصة التعليم في الكويت في نصف قرن (الكويت: د.ن، د.ت)، ص ٤٥. وللمؤلف نفسه: خالدون في تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٥، ٤٩، ٩٥.

وفي بداية عام ١٩١٢، افتتحت الإرسالية الأميركية مدرسة صغيرة لتعليم اللغة الإنكليزية وبعض العلوم الحديثة. وفي حديث صحافي للقس ادوين كالفري لمجلة الإرسالية في عدد كانون الأول ١٩١٢ ذكر أن المدرسة بدأت بتسعة أو عشرة تلاميذ مسلمين وثلاثة يهود. ولكن آباء معظم هؤلاء التلاميذ توقفوا عن إرسال أبنائهم إلى المدرسة بعد فترة، مما أدى بها إلى التوقف عن عملها. وأرجع كالفري ذلك إلى خشية هذه الأسر من تأثر أبنائهم بأفكار المبشرين، فضلاً عن افتتاح المدرسة المباركية التي جذبت الطلاب إليها<sup>(١)</sup>.

كان افتتاح المدرسة المباركية جزءاً من بدء نشاط التنوير الفكري والدعوة إلى الإصلاح. ولعب بعض هؤلاء المعلمين دوراً بارزاً في الحياة الثقافية والفكرية في الكويت مثل الشيخ عبد العزيز الرشيد<sup>(٢)</sup>، والشيخ يوسف القناعي اللذين ربطت بينهما الدعوة إلى الإصلاح، والرغبة في مجارة روح العصر، وتنقية الدين من الانحرافات والشوائب. وتدل على ذلك الرسائل الثرية والشعرية التي كتبت في هذا الوقت. فعلى سبيل المثال، أرسل عبد العزيز الرشيد إلى إبراهيم بن محمد الخليفة (١٨٥٠-١٩٣٣)، والذي لقب بشيخ الأدباء في البحرين، يطلب منه بعض المعلومات التاريخية التي يحتاج إليها لكتابة مؤلف عن تاريخ الكويت، واستمر دور الرشيد التنويري، فأصدر عام ١٩٢٨ أول مجلة في منطقة الخليج، وهي مجلة «الكويت»، وأرسل وقتها رسالة إلى صديقه إبراهيم

(١) انظر نص الحديث الصحافي في خالد البسام (إعداد وترجمة): صدمة الاحتكاك. حكايات الإرسالية الأميركية في الخليج والجزيرة العربية ١٨٩٢-١٩٢٥ (بيروت: دار الساقى، ١٩٩٨)، ص ١٥٩-١٦١.

(٢) انظر بشأن حياته وسيرته د. يعقوب يوسف الحجبي: الشيخ عبد العزيز الرشيد. سيرة حياته (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٣).

الخليفة يجبره بذلك، ويخصه على المشاركة في تحرير المجلة والكتابة فيها<sup>(١)</sup>. كما نشأت صلة حوار وتواصل بين الشيخ الرشيد وأديب البحرين عبد الله الزايد (١٨٩٤-١٩٤٥)<sup>(٢)</sup>.

وشهد عهد مبارك زيارة عدد من المفكرين المعروفين بتبنيهم لدعوة الإصلاح مثل الشيخ محمد بن أمين الشنقيطي مؤسس مدرسة النجاة في الزبير، والشيخ عبد العزيز الثعالبي من تونس الذي كان من المتحمسين لأفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وكان يدعو إلى نبذ الخرافات، وتجديد الفكر الديني، والاستفادة من تقدم الغرب وإنجازاته، والشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار الذي دعاه مبارك الصباح لزيارة الكويت. يذكر الشيخ رشيد رضا أنه أقام أسبوعاً في الكويت ضيفاً على شيخها ومقيماً في قصره. ويصف نشاطه اليومي: «كنت كل يوم، ما عدا يوم البريد، ألقى خطاباً وعظياً في أكبر مساجد البلد فيكثظ الجامع بالناس وكان يحضر مجلسي كل يوم وليلة وجهاء البلد، من أهل التقوى، وحب العلم يسألون عما يشكل عليهم من أمر دينهم»<sup>(٣)</sup>. ويذكر الشيخ رضا أنه تولى مؤانسته ومجالسته الشيخ ناصر بن مبارك «رئيس لجنة مدرسة الكويت لأنه هو الذي يشغل عامة أوقاته في مدارس العلم ومراجعة الكتب حتى صارت له مشاركة جيدة في جميع العلوم الإسلامية... فكان يسأل عن دقائق العلوم في العقائد والأصول والفقه وغير ذلك، على

(١) مي محمد الخليفة: مع شيخ الأدباء في البحرين: إبراهيم بن محمد الخليفة ١٨٥٠-١٩٣٣ (البحرين: دن، ١٩٩٣)، ص ٣٤.  
 (٢) مبارك الخاطر: من أعلام الخليج العربي. نابغة البحرين عبد الله الزايد حياته وأعماله، ١٨٩٤-١٩٤٥ (بيروت: دن، ط ٢، ١٩٧٢)، ص ١٤٦.  
 (٣) مجلة المنار: مجلد ١٦ (١٩١٣)، ص ص ٣٩٦-٣٩٩ نقلاً عن عبد العزيز الرشيد: مرجع سابق، ص ٢٢٨، وكذلك د. يوسف أبيض (جمع وتحقيق): رحلات الإمام محمد رشيد رضا (بيروت: بدر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠)، ص ص ٧١-٧٢.

أنه لم يتلق عن الأساتذة، فهو من مظاهر الذكاء العربي النادر». وكان لأحاديث الشيخ رضا وقع كبير وتأثير إيجابي على أهالي الكويت وصفه عبد العزيز الرشيد بأنه «أحدث انقلاباً بين أهلها»<sup>(١)</sup>.

ساهم هؤلاء المفكرون بشكل فعال في إحاطة أهل الكويت بما كان يدور في البلاد العربية والإسلامية الأخرى والعالم، وذلك من خلال المحاضرات التي كانوا يلقونها والأحاديث التي كانت تجري في المجالس، والتي تحض على أن الإسلام هو دين التقدم والإصلاح.

ولم يكن هذا التطور يحدث دون توترات أو مشكلات، فقد كان هناك بعض الغلاة التي كانت آراؤهم تبث الفتنة، وتشجع على البغضاء، وتحض على العنف. وما كان أسهل أن يقوم بعضهم بإطلاق تهمة الكفر والإلحاد على مخالفيهم في الرأي. كان من هؤلاء رجل من الأحساء يدعى عبد العزيز بن صالح العلجي الأحسائي قدم إلى الكويت، وبدأ في نشر مثل هذه الأفكار. وكما يذكر عبد العزيز الرشيد فقد تأثر البعض بها، وقاموا بتكفير الشيخ رشيد رضا واستحلال دمه «حتى حاول أحدهم قتله في السنة التي زار الأستاذ فيها الكويت وترصد له في الطريق الذي اعتاد المرور فيه، ولكن من حسن الحظ أن منع القدر الأستاذ من المرور ذلك اليوم في طريقه».

وعندما علم الشيخ مبارك بما حدث، طلب من مضيفي هذا الرجل ضرورة مغادرته الكويت قائلاً لهم «اعطوا صاحبكم ما قسم له ودعوه يذهب إلى بلده فلسنا في حاجة إلى أمثاله ممن ييئون الفتنة ويحكمون على أهل العلم بالكفر والضلال، دعوه يغادر البلد سريعاً وإلا أخرجناه منها قسراً»<sup>(٢)</sup>. وتعكس هذه الواقعة فهم الشيخ مبارك المستنير للإسلام،

(١) المرجع السابق، ص ٣٥٣.

(٢) عبد العزيز الرشيد: مرجع سابق، ص ٣٤٥-٣٤٧.

وحرصه على إتاحة الفرصة للمفكرين الإصلاحيين لشرح أفكارهم، وتأمين حياتهم.

ولكن الشيخ لم يرحب بتبني بعض هؤلاء المفكرين مواقف سياسية مغايرة لتوجهاته، وتحديدًا في مجال السياسة الخارجية. والمثال الواضح على ذلك هو الموقف تجاه الدولة العثمانية، فبعضهم تبني وجهة النظر العثمانية بشأن الأحداث السياسية التي شهدتها منطقة الخليج، الأمر الذي أدخلهم في مواجهة مع الشيخ الذي اتسمت علاقاته بالاستانة بقدر غير قليل من التوتر. وأدى ذلك إلى مغادرة كل من حافظ وهبة والشنقيطي الكويت.

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤، وأعلن الشيخ خزعل بن جابر أمير المحمرة تأييده لبريطانيا، قامت بعض القبائل بالتمرد عليه. وترتب على ذلك أن طلب الشيخ خزعل دعماً من صديقه شيخ الكويت. وإزاء عدم استجابة أهالي الكويت لمثل هذا الطلب، كما سيرد تفصيلاً في الفصل الخامس، واتهام كل من الشنقيطي وهبة بأنهما كانا وراء تحريض الكويتيين على اتخاذ هذا الموقف، استدعاهما الشيخ مبارك إلى قصره بحضور الوكيل السياسي غراي، وبادرهما بالقول إنه «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» وقال «أنا مسلم عثماني أغار على ديني وعلى دولتي ولا أحب من يتعرض لهما بسوء غير أني اتفقت مع الإنكليز على أمر فيه نفع لي ولبلدي، ولهذا لا أرضى بالطعن فيهم وإن كنت لا أحبهم وديني غير دينهم»<sup>(١)</sup>، وقرعها على ما وصل إليه من أخبار بشأن دورهما في تحريض الأهالي على عصيان أوامره. فأجاب كلاهما بالنفي، وأنها لا يتحدثان في أمور السياسة وإنما يركزان على الوعظ والإرشاد

(١) حسين خلف الشيخ خزعل: مرجع سابق، ص ٢٦٠.

والتربية والتعليم. فطلب منها الشيخ مغادرة المجلس. وذكر الوكيل السياسي أنه اقتنع بحديث حافظ وهبة بينما لا يزال مرتاباً في الشنقيطي. وعندما سأله الشيخ عن الإجراء الذي يقترح الوكيل اتخاذه بشأن هذين الرجلين، أجابه بأنه سيخبره به بعد ثلاثة أيام. والأرجح أن الوكيل أراد أن يستفيد من هذه المهلة في إبلاغ المقيم السياسي بما حدث، واستشارته بشأن ذلك.

وخلال هذه الأيام الثلاثة، كان الشنقيطي قد غادر الكويت متجهاً إلى الزبير. وكما يسجل عبد العزيز الرشيد، فإن ذلك لم يكن هرباً من الكويت، بل بإيعاز من الشيخ مبارك نفسه. فيذكر أن عبد الله العبد المحسن العساف وكيل الشيخ وأحد المقربين إليه، قال «استدعاني الشيخ مبارك إليه، ولما أقبلت إلى مجلسه قام على الفور وصحبني إلى الخارج، وقال لي كلاماً كان لا يريد أن يسمعه من في المجلس، طالباً فيه أن أذهب فوراً وأجهّز جملاً للشنقيطي وأدفع له عشرين ريالاً وأسأله أن يغادر الكويت قبل حلول النهار، وأن أكنم الأمر عن الجميع. وقد قمت بتنفيذ طلبه، فغادر الشنقيطي الكويت قاصداً الزبير»<sup>(١)</sup>.

وفي مجال التعليق على هذه الحادثة التي أوردها الرشيد في كتابه بالتفصيل، لا بد أن نتوقف أمام أسباب حضور الوكيل السياسي هذه المقابلة، مما يشير إلى احتمال أن تكون هذه المقابلة قد تمت أصلاً بناء على طلب الإنكليز الذين هدفوا إلى إخماد أي صوت مؤيد للدولة العثمانية في الكويت وغيرها من مشيخات الخليج. كما تشير إلى أن قيام الشيخ مبارك بالإيعاز للشنقيطي بمغادرة الكويت، وتحمله نفقات سفره كان لحماية الشنقيطي من احتمال طلب بريطانيا القبض عليه. فليس في الطريقة التي

(١) عبد العزيز الرشيد: مرجع سابق، ص ٢٠٦-٢٠٧.

دبر بها الشيخ سفر الشنقيطي ما يشير إلى غضبه عليه. وشهدت مرحلة مبارك وجود ثلاثة شعراء كبار في الكويت: الأول، هو عبد الله الفرج الذي ارتقى بلغة الشعر حتى اقترب من الشعر الفصيح. لذلك اعتبره عبد العزيز الرشيد شاعر الكويت الأول. والثاني، هو خالد بن عبد الله العدساني الذي قال فيه د. خليفة الوقيان في كتابه عن القضية العربية في الشعر الكويتي «إننا نجد في شعره الصورة الحقيقية لطبيعة المشكلات أو الاهتمامات البسيطة التي كانت تشغل سكان تلك البقعة الصغيرة»<sup>(١)</sup>. وبصفة عامة يعتبر الفرج والعدساني هما البداية الحقيقية للشعر في الكويت. وقد توفي العدساني عام ١٨٩٨ وبعده الفرج بثلاثة أعوام، أي عام ١٩٠١.

أما ثالث هؤلاء الشعراء، فهو الشاعر حمود الناصر البدر، وكان أحد الشعراء المقربين للشيخ مبارك الذي كلفه نظم قصيدة في موقعة الصريف. ويوضح ذلك المكانة التي كانت للشعر في هذه الفترة لدى الناس إلى الدرجة التي جعلت مبارك الصباح يستخدمه «سلاحاً نفسياً» إزاء الأنصار والخصوم على حد سواء. فقد كان الشعر في هذا الوقت أداة لحضّ الأنصار على القتال، وأداة لإرهاب الخصوم وتخويفهم. وقد توفي البدر عام ١٩١٥، وهي السنة نفسها التي مات فيها مبارك<sup>(٢)</sup>.

وارتبط بما تقدم بدء انفتاح أهالي الكويت على الأفكار السياسية والاجتماعية التي كانت تعبر عنها الصحافة المصرية. وكان لبيت آل خالد السبق في الاشتراك في مجلة المنار التي أصدرها الشيخ رشيد رضا، والتي

(١) د. محمد حسن عبد الله: الشعر والشعراء في الكويت (الكويت: منشورات ذات السلاسل، ١٩٨٧)، ص ١١-١٢.

(٢) عبد الله عبد العزيز الدويش: ديوان حمود الناصر البدر (الكويت: منشورات ذات السلاسل، ط ٢، ١٩٨١)، ص ٨-٩. وانظر كذلك خالد سعود الزيد: أدباء الكويت في قرنين. الجزء الأول (الكويت: د.ت، ط ٣، ١٩٧٦)، ص ٣٦-٤٠.

كانت تدعو إلى إصلاح أحوال المسلمين، وجريدة المؤيد التي أصدرها الشيخ على يوسف، والتي كرست صفحاتها للدفاع عن السياسات العثمانية<sup>(١)</sup>. وازداد رواج مجلة المنار في الكويت بعد زيارة الشيخ رشيد رضا، وانبهار أهالي الكويت بأفكاره وآرائه.

---

(١) عبد العزيز الرشيد: مرجع سابق، ص ٣٥٢.



---

## ثالثاً: الرعاية الصحية و«المستشفى الأمريكي»

كان أهالي الكويت يعتمدون، شأنهم في ذلك شأن المشيخات والإمارات العربية الأخرى في الخليج، على أساليب الطب الشعبي لمداواة أمراضهم. وكان يتردد على الكويت من آن الى آخر أحد الأطباء الذي يقدم خدماته الطبية خلال فترة إقامته. ومن أمثلة ذلك الحاج حسن الحكيم «الطبيب» الذي وصل إلى الكويت في مارس/ آذار ١٩٠٠ ومعه ابنه وزوجته وخادمهم، واستأجروا بيتاً للإقامة وللاستقبال المرضى الذين يحتاجون إلى علاج. ويبدو أن الحاج حسن الحكيم لم يلق نجاحاً كبيراً في الكويت. وكما ذكر علي بن غلوم في أحد تقاريره، فإنه منذ وصوله «لم يتشاف على يده أحد من المرضى، والمترددون عليه قليلون»<sup>(١)</sup> لذلك، غادر بعد فترة الكويت متجهاً إلى البصرة.

تعود بداية الخدمات الطبية الحديثة في الكويت إلى عام ١٩٠٤، عندما أرسل الشيخ مبارك خطاباً إلى نويس الوكيل السياسي في الكويت في ١٣ سبتمبر/ أيلول ١٩٠٤ يطلب منه إرسال «حكيم إنكليزي.. يكون له الإطلاع بالحكمة والجروح والعلل وذلك نافع لنا ولعموم رعيتنا». ويتضح اهتمام الشيخ بهذا الموضوع من إرساله خطاباً ثانياً إلى الوكيل

---

(١) د. عبد الله يوسف الغنيم (تحرير وتقديم): أخبار الكويت... مرجع سابق، ص ٢٦.

السياسي بتاريخ ١ نوفمبر/ تشرين الثاني يستفسر فيه عن كيفية إعداد بيت الطبيب، وعن تكاليف الأدوية التي ستمنح للأهالي، وعمّا إذا كانت تتحملها انكلترا أو سيقوم الأهالي بدفع ثمنها. واقترح الشيخ أن يكون العلاج للفقراء مجاناً، وذلك ضمن الوقت المحدد لعمل العيادة، أما الأغنياء فيمكن أن يتحملوا نفقات علاجهم. وبعدها بيومين، رد الوكيل نوكس في ٣ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٠٤ يفيد بأن الطبيب سيعالج كل الفقراء الذين يذهبون إلى مقره مندون مقابل، ويكون علاجه للأغنياء في مقابل يتفق عليه. أما بالنسبة إلى الدواء، فإنه متوافر، ولكن يجب وضع ضوابط على توزيعه حتى لا يحصل مريض على دواء إلا بمعرفة الطبيب<sup>(١)</sup>.

تم افتتاح العيادة في مقر دار الوكالة البريطانية في ٣٠ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٠٤ (بيت ديكسون حالياً قبالة ساحل البحر). وكان أول طبيب يعمل فيها هو داود الرحمان، وهو طبيب هندي مسلم. وقد أعد هذا الطبيب أول تقرير عن الحالة الصحية في الكويت والأمراض المنتشرة بين الأهالي وقتذاك، وذلك بعنوان «موجز عن الصحة في الكويت عام ١٩٠٤-١٩٠٥» والمحرر في الثاني من أبريل/ نيسان ١٩٠٥. ووفقاً لهذا التقرير، تم خلال الفترة من ٣٠ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٠٤ إلى ٣١ مارس/ آذار ١٩٠٥ علاج ٣٩٧٦ مريضاً (٢٣١٦ من الرجال - ١١٢٧ من النساء، ٥٣٣ من الأطفال)، وتم إجراء ١٨٦ عملية جراحية.

وإلى جانب عمله في المستوصف أو العيادة، كان الطبيب يقوم بالإشراف على الحجر الصحي، ومتابعة السفن التي تصل ميناء الكويت، وتطبيق إجراءات الحجر في حالة ظهور أوبئة. وعندما انتهت مهمة د. داود الرحمان عام ١٩٠٧ كتب الشيخ مبارك رسالة إلى نوكس في ١٢

(١) Kuwait Political Agency, Arabic Documents, Vol 1, Op.cit, pp. 283-288.

أغسطس/ آب ١٩٠٧ عبّر فيها عن تقديره لجناب «الحكيم داود الرحمان» مدة إقامته في الكويت من الممنونية مني خاصة ومن العموم بمباشرة للمرضى الذين يعنون - المقصود يأتون - لمحلّه والذين يطلبونه إلى محلهم، فقد أدى من النفع ما هو مأمور به وزيادة وكان يعتني في حق الفقير والغني بلا فرق»<sup>(١)</sup>.

وتلاه الطبيب رستم جي أرديشي دادي ماستر الذي عمل لشهور عدة خلال الفترة من أبريل/ نيسان إلى يونيو/ حزيران ١٩٠٩. ورغم قصر المدة التي قضها رستم في الكويت، فإنه تمتع بسمعة طيبة. وأرسل الشيخ مبارك إلى الوكيل نوّكس خطاباً في ٢ مايو/ أيار ١٩٠٩ يشيد فيه «بالحكيم المعين من الدولة البهية القيصرية الإنكليزية»، وأنه «قد حاز رضاه ورضاه عموم أهل الكويت بحسن مداواته»<sup>(٢)</sup>.

وخلفه الطبيب نور محمد رحمة الله الذي تولى مسؤولية المستوصف خلال المدة ١٩٠٩-١٩١٢. وكما فعل مع الطبيين السابقين، فقد أرسل الشيخ مبارك إلى الوكيل السياسي شكسبير في ١٦ مايو/ أيار ١٩١٢ خطاباً أشاد فيه بالدكتور نور الذي «إلى حين سفره لم نشاهد منه إلا السلوك وحسن السيرة والمعاملة الطيبة التي يشكر عليها. ولهذا أنا وجميع رعيتي أهالي الكويت ممنونين منه»<sup>(٣)</sup>.

ثم جاء بعده الطبيب س.س. كيلى الذي عمل حتى سبتمبر/ أيلول ١٩١٨، وأعقب ذلك إغلاق المستوصف في ١ سبتمبر/ أيلول ١٩١٨ حتى أعيد افتتاحه في ٢٣ مايو/ أيار ١٩٢١. وقدم المستوصف خدماته لموظفي

(١) خالد فهد الجار الله تاريخ الخدمات الصحية في الكويت من النشأة حتى الاستقلال (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٦)، ص ٥٨.

(٢) Kuwait Political Agency, Arabic Documents, Vol 1, Op.cit, p. 289.

(٣) Ibid, p. 291.

دار الوكالة ولأهالي الكويت بالمجان حتى عام ١٩٥١. وكان المستوصف يعمل من الصباح الباكر حتى الساعة الأولى ظهراً كل أيام الأسبوع ما عدا يوم الجمعة.

وتوالت التقارير السنوية التي أعدها أطباء المستوصف. وبصفة عامة، فقد أشارت غالبية هذه التقارير إلى أن الأحوال الصحية في الكويت كانت جيدة، وأن المدينة خلت من الأوبئة. ففي تقرير عام ١٩٥٦، ورد أن الصحة العامة كانت جيدة طوال العام، وأن عمل المستوصف حظي بالقبول من العامة. وأشار التقرير عن عام ١٩٥٧ إلى وفاة اثنين من أبناء الشيخ مبارك.

وفي تقرير عام ١٩٥٩، ورد أن الأحوال الصحية لم تكن جيدة هذا العام، فقد انتشر مرض الجدري وسبب عديداً من الوفيات، وخصوصاً بين الأطفال. وأنه رغم ذلك فلم يتم تطعيم سوى ١٨٥ حالة، وذلك بسبب ضعف الوعي الصحي عند السكان. وأشار التقرير إلى أن الالتزام بإجراءات الحجر الصحي لم يكن على المستوى المرغوب فيه، وأنه في نهاية شهر مايو/ أيار، تم إبلاغ الشيخ مبارك بانتشار حالات الطاعون في البحرين، ويضرورة التشديد في تنفيذ إجراءات الحجر. وقد استجاب الشيخ لذلك، وأصدر تعليماته بتنفيذ إجراءات الحجر على السفن الآتية إلى ميناء الكويت ومراقبتها.

ويبدو أنه قد حدث بعض التراخي في تنفيذ قواعد الحجر الصحي في منتصف عام ١٩٥٨. فوجد خطاباً من المقيم السياسي كوكس إلى الشيخ في ٧ يونيو/ حزيران ١٩٥٨ يشير فيه إلى أن القواعد الأساسية المرتبطة بحماية صحة المواطنين، والتي صدرت بأوامر من الشيخ لم تعد مطبقة، وأنه لا يتم إخضاع السفن الآتية إلى ميناء الكويت والمسافرين عليها لقواعد الحجر الصحي المتفق عليها. وأشار الخطاب إلى أن الحكومة البريطانية

قد عينت طبيباً في الكويت، ووضعت تحت خدمة الشيخ من أجل تنفيذ قواعد الحجر الصحي، وأن الهدف من ذلك هو المحافظة على ميناء الكويت خالياً من الأوبئة والأمراض<sup>(١)</sup>.

وفي تقرير عام ١٩١٠، تكررت الملاحظة نفسها، الخاصة بعدم الالتزام بإجراءات الحجر الصحي، وذلك رغم توجيهات الشيخ مبارك بضرورة الحزم في تطبيقها. ولكن حدث بعض التقدم، فعندما تعرض ميناء بوشهر لمرض الطاعون، تم تطبيق إجراءات الحجر الصحي على ركاب السفن الآتية منه. وعندما أصيبت مدن مسقط والمحجرة والبصرة بمرض الكوليرا، تم إخضاع جميع ركاب السفن الآتية منها للإجراءات نفسها. ولكن كانت الصعوبة في تنفيذ هذه الإجراءات بالنسبة إلى السفن الكويتية.

وأشار تقرير عام ١٩١١ إلى تراجع عدد المترددين على المستوصف نسبياً، وذلك بسبب بدء نشاط مستوصف الإرسالية الأميركية، ووجود طبيب أميركي فيها. ويشير تقرير عام ١٩١٣ إلى ظهور وباء الجدري في الكويت ما بين شهري سبتمبر/أيلول وديسمبر/كانون الأول، وأنه تمت إجراءات الحجر الصحي على القوارب والسفن الآتية من بوشهر، وذلك عقب انتشار وباء الطاعون فيه في شهر أبريل/نيسان.

وأشار تقرير عام ١٩١٤ إلى نشاط مستوصف الإرسالية الأميركية، وإن هذا النشاط يحظى بتقدير الشيخ ورعايته، وأنه أهدى الإرسالية قطعة أرض، إضافة إلى الأرض التي سبق شراؤها لغرض بناء المستوصف. وارتبطت بتطور تقديم الخدمات الصحية إقامة عدد من الصيدليات لبيع الأدوية. ففي العام نفسه اشتهرت صيدلية الشيخ حافظ وهبة

(١) من المقيم السياسي كوكس إلى الشيخ مبارك بتاريخ ٧ يونيو ١٩٠٨.

وصيدلية السيد عبد الإله القناعي. ومع أن هذه الصيدليات بدأت بإمكانات متواضعة، غير أنها عبّرت عن الرغبة في تقديم خدمة صحية أفضل لأهالي الكويت<sup>(١)</sup>.

وجاء تقرير ١٩١٥ - وهو عام وفاة الشيخ مبارك - ليشير إلى أن الأحوال الصحية كانت جيدة جداً، وأنه لم تحدث أوبئة عامة، وأن عمل الحجر الصحي استمر من دون مشكلات. ولاحظ التقرير انخفاض عدد الزائرين للمستوصف بسبب نشاط المستشفى الأمريكي<sup>(٢)</sup>.

كانت الإرسالية العربية - الأميركية التي أنشأتها الكنيسة البروتستانتية الهولندية في الولايات المتحدة بغية إنشاء مراكز تبشيرية في منطقة الخليج، وتقدم الخدمات الصحية والتعليمية لزوارها قد أقامت مركزاً لها في البصرة عام ١٨٩١، وتطلعت إلى إنشاء مراكز أخرى في مدن الخليج.

وتكررت زيارات ممثلي الإرسالية إلى الكويت، فكانت أولها زيارة القس الطبيب صموئيل زويمر عام ١٨٩٦، وهو عام تولي مبارك الحكم. وعندما عرف الشيخ بأسباب زيارته، طلب منه مغادرة الكويت. وعاد زويمر الزيارة مرة أخرى في فبراير/ شباط ١٩٠٣ لتابعة نشاط المكتبة التي وافق الشيخ على إنشائها في العام الفائت لبيع كتب الإرسالية للمسيحيين المقيمين في الكويت وقتذاك. والتقى زويمر الشيخ خلال هذه الزيارة. وحسب تقريره عن مضمون اللقاء، فإنه لم يفتح الشيخ في موضوع المستشفى<sup>(٣)</sup>.

وفي عام ١٩٠٤، زار الطبيب جيمس مورديك الكويت. واستقبله

(١) خالد فهد الجار الله: مرجع سابق، ص ١٥٧.

(٢) المرجع السابق، ص ص ٧٣-٧٦.

(٣) انظر تقرير زويمر عن زيارته للكويت عام ١٩٠٣ في خالد البسام (إعداد وترجمة): صدمة الاحتكاك. حكايات الإرسالية الأميركية في الخليج والجزيرة العربية ١٨٩٢-١٩٢٥ (بيروت: دار الساقى، ١٩٩٨)، ص ص ١٧١-١٧٤.

الشيخ، وعندما عرف سبب الزيارة - وهو إقامة مستشفى للإرسالية الأميركية - رفض الفكرة وطلب منه مغادرة الكويت. وفي حالة الطبيب ويلز تومس عام ١٩٠٥، منعه الشيخ أصلاً من مغادرة السفينة التي كانت تقله، ولم تطأ قدماه أرض الكويت.

كانت فكرة افتتاح مستشفى في الكويت قد نبعت من المركز الرئيسي للإرسالية في مدينة نيويورك. وكان المال المخصص لهذا الغرض قد تم التبرع به فعلاً. ومع تعثر التنفيذ، اقترح أحد المشاركين في الاجتماع السنوي للإرسالية عام ١٩٠٩ الاتصال بالمتبرع، واستئذانه في تحويل المبلغ المخصص للكويت إلى بلد آخر، وتم رفض هذا الاقتراح. وواصلت الإرسالية جهودها لبناء المستشفى في الكويت.

في العام نفسه، قام الطبيب آرثر بنت رئيس الوحدة الطبية في البصرة بزيارة مدينة المحمرة لعلاج حاكمها الشيخ خزعل، وكان يزوره وقتذاك الشيخ مبارك والسيد رجب نقيب أشرف البصرة. وكان كلاهما من المقدرين لجهود بنت، فحدثا الشيخ عنه، مما دفعه إلى أن يطلب منه الذهاب إلى يخته لفحص إحدى بناته التي كانت تشكو ألماً في عينيها. وقام الطبيب بمعالجتها، وتماثلت الفتاة للشفاء. وكان ذلك هو الحدث الذي أقنع الشيخ مباركاً بأهمية افتتاح مستشفى في الكويت.

وقام د. بنت خلال عام ١٩١٠ بعدة زيارات للكويت، كان يعالج في كل منها عدداً من المرضى، مما ترك انطباعاً إيجابياً بين الناس. واستخدم لهذا الغرض بيت أحد الكويتيين في وسط المدينة. ويرجح كل من عبد الله خالد الحاتم وسيف مرزوق الشملان أن هذا البيت هو ديوان آل بودي قرب السوق الداخلية. ويعتبر هذا البيت أول مستوصف للإرسالية الأميركية في الكويت، وساعد الطبيب بنت في عمله ممرض مسيحي من أهل العراق تركه للإشراف على المستوصف، وإجراء الإسعافات الأولية

خلال فترة تغيبه عن الكويت ووجوده في البصرة<sup>(١)</sup>.

وفي عام ١٩١١، طلب الشيخ مبارك من الإرسالية إقامة مستشفى على أن تكون مهمتها طبية وليست تبشيرية، فأرسلت الإرسالية لجنة لاختيار الموقع. وبمجرد الانتهاء من إجراءات تحديد الأرض التي كانت في الطرف الغربي من حدود المدينة، أصر مبارك على قيام الإرسالية بإيفاد طبيب مقيم لتقديم خدماته طوال العام في المستوصف. وبالفعل، ففي خلال عام ١٩١١ تقاسم ثلاثة أطباء العمل، وهم بنت، وهاريسون، وماليري، وكان المستوصف يفتح أبوابه يومياً ما عدا يوم الأحد.

وحسب ما يذكره الطبيب ماليري في مذكراته، فإنه بينما كان الشيخ مبارك مرحباً بإنشاء المستشفى، كانت غالبية السكان، بمن فيهم العائلات الكبيرة، تعارض وجود مبشرين مسيحيين في بلدهم. وحسب قوله، «فقد كان استدعاء طبيب من البصرة لمعالجة إحدى الشخصيات المهمة أمراً مقبولاً. أما إقامة مستشفى للمبشرين المسيحيين في المدينة فكانت أمراً مرفوضاً رفضاً باتاً». ورغم هذا التحفظ، كان الأهالي يتوجهون إلى المستوصف لإجراء الفحوص الطبية أو العمليات الجراحية إذا تعرضوا لأم أو مرض. ووصل عدد الحالات المرضية التي تمت معالجتها عام ١٩١١ إلى ٣٨٧ حالة لم تكن قاصرة على أهالي الكويت، بل شملت أيضاً أهل الفاو والبدو<sup>(٢)</sup>.

وفي العام نفسه، وافق الشيخ مبارك على شراء الإرسالية قطعة الأرض اللازمة لبناء المستشفى، وتم اختيار منطقة على التل الصغير القريب من الساحل والواقع في الجهة الغربية من البلدة. واشترت الإرسالية القطعة

(١) ستانلي ماليري: مرجع سابق، ص ص ٤٠-٤١، وكذلك خالد فهد الجار الله: مرجع سابق، ص ص ١٠٧-١٠٨.

(٢) زبيدة علي أشكناني: مرجع سابق، ص ٥.

من الشيخ مبارك بمبلغ بسيط جداً مساعدةً منه لإقامة المستشفى، وأعطاهم صكاً بذلك.

وفي أوائل عام ١٩١٢، غادر الطبيب ماليري الكويت في إجازة، وحل محله الطبيب بول هاريسون والطبيبة إيلانور كالفري التي اختارت لنفسها فيما بعد اسم «خاتون حليلة» لتسهيل مخاطبة الناس لها. وفي مذكراتها عن عملها في الكويت، ذكرت أنها بدأت عملها في يوم ١ يناير/ كانون الثاني ١٩١٢، فقامت بإعداد وتجهيز مستوصف النساء الذي تكوّن من غرفتين وصالة لها مدخل مستقل على الشارع. وكانت الطبيبة كالفري تزور المنازل في الحالات الخطرة، كما أجرت عدداً من حالات الولادة المتعسرة مما أعطاها شهرة لدى نساء المدينة<sup>(١)</sup>.

ويذكر ماليري أن حدود قطعة الأرض كانت تبدو طريفة، فقد كانت عليها أكوام من الحجارة المبعثرة بشكل غير منظم «وبالتالي بدل أن تكون مستطيلة بدت مسبعة الجوانب»<sup>(٢)</sup>. وكلفت الإرسالية لبناء المستشفى مهندسين أميركيين اثنين من ولاية ميتشيغان قدما البصرة للتجارة. وعند وصولهما الكويت طلبا الاطلاع على نص عقد الشراء، ووجدوا أن قطعة الأرض يجب أن تكون مستطيلة. وعندما قارنا الحدود المبينة وفقاً للعقد بتلك التي رسمها أتباع الشيخ بالحجارة، وصلا إلى نتيجة أنه لا توجد علاقة بين تلك الحدود وقطعة الأرض المتفق عليها في العقد. فحدّدا قطعة الأرض بعناية، ووضعوا علامات من الاسمنت في كل زاوية من زواياها. ويستطرد ماليري قائلاً: «ولو أنها أخبرا

(١) إيلانور كالفري (ترجمة عبد الله الحاتم): كنت أول طبيبة في الكويت ( الكويت: مؤسسة دار الكتب، ط ١، ١٩٦٨)، ص ص ٣٩-٤٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٤.

الشيخ مبارك بما سيفعلانه قبل أن يباشرا العمل لأمكن تجنب الكثير من المتاعب»<sup>(١)</sup>.

وقام المهندسان برسم الخرائط، والبدء في تشييد المستشفى من الخرسانة المسلحة بالحديد، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يتم فيها استخدام الاسمنت في البناء، والذي تم نقله إلى الكويت معبأ في براميل من الخشب جلبته الإرسالية خصيصاً لهذا الغرض. لكن بناء المستشفى تأخر، وهو ما أثار غضب الشيخ مبارك، خصوصاً بعدما غادر المهندسان الأميركيان الكويت بدعوى أن مسؤوليتهما انتهت بإتمام تشييد الأساسات والإطار الخارجي. وكان على الطبيين ماليري وكالفرلي أن يستكملا عملية البناء.

ويروي ماليري أنه كان يحلم دائماً ببناء مسكن للطبيب في التل العالي المجاور للمستشفى، وأنه سأل زميله الطبيب كالفرلي مرة حول إمكان أن يهب الشيخ مبارك هذه الأرض للمستشفى لأنها لن تفيد أحداً. فأجابه كالفرلي بأن «التعامل مع مبارك قد أصبح صعباً لأنه يعتقد أننا خذلناه وبالتالي فإنه لن يقدم إلينا أي خدمات».

ويبدو أن ماليري كان قد أحكم أمره، فقام بزيارة للشيخ في اليوم نفسه، وسأله عما إذا كان من الممكن أن يعطي التل للإرسالية، فأجابه الشيخ باستغراب: ماذا تعني؟ فأخبره بقصة المهندسين وقيامهما بإعادة رسم حدود الأرض لكي تتفق مع المساحة المنصوص عليها في عقد البيع «وانفجر مبارك قائلاً: ماذا؟ هل تقصد أنكم غيرتم حدودي، حدودي أنا؟. أسمع يا حكيم إن صبري قد نفذ. لقد مضى أكثر من ثلاث سنوات على بيعي تلك الأرض لإرساليتكم. وقد وعدتم حينئذ ببناء مستشفى

(١) المرجع نفسه، ص ٤٦.

وإرسال طبيب. ولم يتم بناء المستشفى بعد، والله وحده يعلم متى سيتم. أما الأطباء فيأتون ويذهبون ولا أعلم كم ستمكث أنت. والآن تأتي لتخبرني بأن حدودي قد غُيِّرت. إنني أفكر جدياً بإلغاء كل الامتيازات التي أعطيتها لكم وبإخراجكم من الكويت»، وذكر له الشيخ أن الجلسة قد انتهت، فسارع ماليري بالانصراف.

يذكر ماليري أنه قد أسقط في يده، وأدرك أنهم قد خالفوا عرفاً متبعاً في الكويت، ولم يكن أمامه سوى أن يزور الشيخ بانتظام من دون فتح موضوع الأرض مرة أخرى. وفي مرة، استجمع شجاعته وقال للشيخ «إنك تدرك بلا شك يا صاحب السمو أن أهالي الكويت يعتبرون الإرسالية مذنبه لأنها أخذت أرضاً لا تخصها، وهذه تهمة خطيرة. فإذا كانت التهمة صحيحة يجب معاقبة الإرسالية. وإذا لم تكن، فعلى سموك أن تقول ذلك علناً. ولديّ اقتراح أن تقوم سموك بزيارة قطعة أرضنا لكي يجري قياسها علناً وفي حضورك»<sup>(١)</sup>. ورد مبارك، بأن الفكرة جيدة، وأنه سوف ينفذها.

وبالفعل، ففي يوم ٩ فبراير/ شباط ١٩١٤، وكان يوماً مطيراً، قام الشيخ بالزيارة ورافقه ابنه الأكبر جابر، والوكيل السياسي البريطاني، وعديد من أعيان الكويت. وتم القياس، وتبين منه أن الإرسالية لم تتجاوز حدود الأرض التي باعها الشيخ إياهم. وحسب رواية ماليري، فإن الشيخ وجه كلمة إلى الحاضرين هدف منها إلى تطمين الكويتيين لطبيعة عمل المستشفى، قائلاً «أنا أسأل نفسي اليوم من هؤلاء الناس الذين بعثهم قطعة الأرض التي نقف عليها؟ هل هم سياسيون؟ كلا. هل هم مؤسسة تجارية؟ كلا. لماذا حضروا إلى هنا؟ لقد حضروا لتعليمنا، والله

(١) المرجع نفسه، ص ٥٠.

يعلم أننا في حاجة إلى تعليم. لقد حضروا لكي يبنوا مستشفى ويعتنوا بمرضانا. لقد حضروا لأداء خدمة لنا». وفي هذا السياق الإيجابي، طلب ماليري من الشيخ الموافقة على إضافة التل الصغير القريب من المستشفى إلى الأرض حتى يتم بناء بيت الأطباء عليه. واستجاب الشيخ للطلب، وذكر أن رجاله سيحضرون في الغد لتحديد الحدود المطلوبة لذلك. وبالفعل، تم تحديد المكان الذي منحه الشيخ للمستشفى من دون مقابل<sup>(١)</sup>.

وتشير هذه الراوية إلى أكثر من دلالة ومعنى. فهي تبين، أولاً، حرص الشيخ مبارك على إقامة المستشفى ابتداءً من طلبه ذلك، ومروراً بتوفير الأرض اللازمة، ومتابعته لعملية البناء. وهي توضح، ثانياً، احترام الشيخ للأعراف السائدة، وغضبه لتصوره أن الأميركيين تجاوزوا حدود قطعة الأرض المخصصة لهم، وتهديده إياهم بالإبعاد عن الكويت في حال التأكد من ذلك. وهي تشير، ثالثاً، إلى حكمة الشيخ ورجوعه إلى الحق. فعندما جاء القياس للأرض صحيحاً، وتبين له أن أطباء الإرسالية لم يتجاوزوا حدود الأرض المخصصة لهم، تغير موقفه تماماً وأشاد بهم وبدورهم، ومنحهم قطعة الأرض الأخرى التي رغبوا في إقامة مسكن الطبيب عليها، مندون مقابل.

وتم الانتهاء من تشييد المستشفى الذي عُرف بـ«المستشفى الأمريكي» في أكتوبر/ تشرين الأول ١٩١٤ بتكلفة ٦٠٠٠ دولار. وكان للمبنى شكل مميز اتسم بعدد كبير من ألواح الزجاج المثبتة في أبواب المستشفى ونوافذه، حتى أن المستشفى عُرف لمدة طويلة باسم البيت الزجاجي. كما تم بناء منزل الطبيب الذي سكنه ماليري وزوجته لمدة

(١) المرجع نفسه، ص ٥٢.

٢٧ سنة. ولدعم المستشفى، أعفى الشيخ شحنات الأثاث والمعدات اللازمة له من رسوم الجمارك. واستمر هذا المستشفى في تقديم خدماته لأهالي الكويت حتى عام ١٩٤٩، عندما أنشئ المستشفى الأميري كأول مستشفى حكومي<sup>(١)</sup>.

لم يهتم الكويتيون في بادئ الأمر بافتتاح هذا المستشفى، وكان ترددهم عليه محدوداً. وتدرجياً، ازدادت ثقة الكويتيين بالخدمات الطبية التي يقدمها، فزاد عدد المترددين عليه، وامتد نشاط المستشفى إلى خارج أسواره. ففي عام ١٩١٤، قدم الأمير عبد العزيز بن سعود من الأحساء، ومعه عدد كبير من جنوده المصابين بالمalaria، وطلب من مبارك أن يرسل طبيباً لمعالجتهم في المكان الذي أقاموا فيه غرب مدينة الكويت. وبالفعل تم علاجهم، كما قام الطبيب هاريسون بزيارات عدة إلى الرياض ونجد.

عندما قدمت الإرسالية الأميركية إلى الكويت وشرعت في بناء المستشفى، لم يكن في نيها بناء مستشفى خاصة بالنساء، لأن الفكرة كانت مقتصرة على تأسيس مستشفى واحد فقط يشترك فيه الرجال والنساء. لكن الإرسالية أدركت في ما بعد أنه من الضروري تأسيس مستشفى خاص بالنساء تماشياً مع واقع الكويت، حيث عاشت المرأة الكويتية آنذاك في وضع لا يسمح لها بتلقي العلاج في مستشفى للرجال وعلى أيدي أطبائه. وكانت أول طبيبة باشرت العمل في هذا المستشفى هي الدكتورة إيلينور كالفري التي أشرنا إليها سلفاً<sup>(٢)</sup>. وجاءت بعدها ماري ألس التي أطلق عليها اسم «خاتون شفيقة».

(١) المرجع نفسه، ص ٥٥.

(٢) خالد فهد الجار الله: مرجع سابق، ص ص ١١٠-١١١. وكذلك عبد الله خالد الحاتم: مرجع سابق، ص ص ٩٠-٩٣، ١٠٣.

أصبح المستشفى أحد رموز التقدم في الكويت. وفي يناير/ كانون الثاني ١٩١٥، قام الشيخ مبارك بزيارة للمستشفى وأبدى إعجابه بما شاهده من أجهزة علمية. ويشير ماليري إلى أن الشيخ أعجب بما شاهده. وأضاف «وفي مكثي الخاص، سأل الشيخ عن ماهية الميكروسكوب. وعندما وجدت صعوبة في شرحه نظرياً أظهرت برغوثاً، ووضعت على الجهاز وطلبت منه رؤيته بشكله المكبر جداً... ولم ينس الشيخ هذا البرغوث. فبعد أيام عدة، جاء إلينا كثير من الناس يطلبون رؤية البرغوث والتسليية برؤيته مكبراً جداً بالميكروسكوب كما فعل الشيخ. وقد استمر ذلك لفترة ليست قصيرة. وبقي هذا البرغوث الصغير حديث الكويت مدة طويلة، وسبب شهرة للمستشفى أيضاً»<sup>(١)</sup>. كما حرصت على زيارة المستشفى الشخصيات الكبيرة التي قدمت الكويت كالسيد رجب نقيب البصرة، والشيخ خزعل أمير المحمرة، واللورد هاردنغ نائب الملك وحاكم الهند.

(١) خالد البسام (إعداد وترجمة): صدمة الاحتكاك. حكايات الإرسالية الأميركية في الخليج والجزيرة العربية ١٨٩٢-١٩٢٥، مرجع سابق، ص ٨٦. ويلاحظ أن تاريخ الزيارة ورد خطأ على أنه ٢٧ يناير/ كانون الثاني ١٩١٦، ولم يكن ذلك ممكناً لأن الشيخ مبارك توفي في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١٥.

---

## رابعاً: إدخال مظاهر التكنولوجيا الحديثة

شهد عهد الشيخ مبارك بداية دخول منتجات التقدم العلمي والتكنولوجي الأوروبي من الآلات والمخترعات إلى الكويت. ففي عصره، عرفت الكويت للمرة الأولى الكهرباء والسيارة، وآلة تسجيل الصوت، والكاميرا، والحاكي، والمراوح الغازية، وآلة صناعة الثلج، وماكينة الخياطة، وماكينة تقطير المياه.

في هذه الأيام، لم تكن الكهرباء قد دخلت الكويت. واستخدم الناس «الكنديري» لغرض الإضاءة خلال الليل «وهو علبه اسطوانية صغيرة تملأ بمواد زيتية قابلة للاشتعال، كالشحم مثلاً، ويثقب غطاؤها لتوضع فيه فتيلة من الخيوط أو الأقمشة القطنية تشعل بعد ابتلاها بتلك المواد». وبعد دخول الكاز، استخدم بدلاً من الشحم، ثم ظهر السراج الذي حل محل الكنديري<sup>(١)</sup>.

كان أول مولد كهربائي عرفته الكويت ذلك الذي اشتراه الشيخ مبارك من الهند، ووضعه في قصر السيف. وكان يديره رجل هندي أحضره خصيصاً لهذه الغاية، وعاونه في إدارته شاب هندي آخر يُدعى

---

(١) أيوب حسين: مع ذكرياتنا الكويتية (الكويت: ذات السلاسل، ١٩٨٤)، ص ٥٥.

الحاج عباس. كما سعى الشيخ إلى إضاءة سفينته بالكهرباء. وتوضح وثائق الوكالة الإنكليزية في الكويت أن الشيخ أرسل خطاباً إلى الوكيل السياسي نوكس بشأن معرفة «تفصيل حواويج سراي الكهرباء» حتى تمكن إضاءة سفينة الشيخ بالكهرباء. ورد الوكيل في اليوم نفسه بأنه سيطلب من أحد الفنيين الاستجابة لطلبه<sup>(١)</sup>. كما تشمل الوثائق نفسها الخطاب الموجه من محمد بن سالم السديراوي إلى الشيخ مبارك بتاريخ ٢٧ أبريل/ نيسان ١٩١٤ بشأن قيامه بالتعاقد مع شخصين أحدهما للعمل في الموتور والثاني في ماكينة الكهرباء، وأنها سوف يعملان لمدة سنة على أن يقوم الشيخ بتحمل تكلفة إقامتهما ومعاشهما، وأن يقوم كل منهما بتعليم الآخر طبيعة عمله حتى يمكن لأي منهما أن يحل محل الآخر إذا استدعت الضرورة ذلك<sup>(٢)</sup>.

كما شهد عهد الشيخ إدخال أول آلة للتصوير الفوتوغرافي. ويذكر عبد الله الحاتم أن هذا الرأي هو الأقرب إلى الحقيقة. فلو كانت آلة التصوير قد أدخلت قبل ذلك لاستخدمت في التقاط الصور للشيوخ والحكام، وأن معظم الصور القديمة التي اطلع عليها لم يجد بينها صورة أو منظراً واحداً قبل عصر مبارك. ويُقال إن أول من جلب هذه الآلة إلى الكويت كان الوكيل السياسي شكسبير عام ١٩٠٩، الذي أتقن فن التصوير الفوتوغرافي<sup>(٣)</sup>.

وشهد عهده أيضاً دخول أول سيارة عرفتها الكويت، وهي السيارة التي أهداها الشيخ قاسم بن محمد آل إبراهيم التاجر المعروف وأحد

(١) من مبارك إلى الوكيل السياسي في الكويت نوكس بتاريخ ١٠ يونيو/حزيران ١٩٠٧.

Kuwait Political Agency, Arabic Documents, **Op.cit**, pp. 410-411.

**Ibid**, p. 416. (2)

(٣) كان شكسبير أيضاً رساماً بارعاً، وهو الذي رسم الصورة المشهورة والمتداولة للشيخ مبارك حتى الآن.

ملاكي مقاطعة الدورة إلى الشيخ. ولم يستعمل مبارك هذه السيارة إلا قليلاً بسبب وعورة الطرق وضيقها، ولأنها كانت سيارة بدائية ينقصها الكثير من أسباب الراحة.

وكانت هذه السيارة يوم وصولها الكويت أعجوبة العجائب لدى الأهالي، وصاروا يفزعون منها إذا لاحت لهم آتية أو إذا سمعوا هديرها. ومن الطرائف التي ارتبطت بها، ما حدث عندما أعطى رجل يُدعى مبارك بن عبد الله أبو جروا سائقها علي حسين أبو خنفر ليرة ذهباً حتى يسمح له بركوبها والسير بها في قيصرية التجار. ولما أقبلت السيارة وهي تزمز، خرج الناس من دكاكينهم، ووقفوا احتراماً كعادتهم عند مرور موكب الشيخ مبارك ظانين أنه موكبه.

وأنشئ أول معمل لصناعة الثلج في الكويت عام ١٩١٢ كان يملكه رجل يهودي من أهالي الكويت، وهو الخواجة صالح محلب، وقد أقامه على ساحل البحر مباشرة بالقرب من جامع آل خليفة. وباشر المعمل إنتاج الثلج وتوزيعه بواسطة الباعة في صيف هذه السنة، وكثر إقبال الناس وازدحامهم على شرائه. وبعد مدة قليلة من افتتاحه، حدث ما لم يكن متوقعاً، ذلك أن جماعة من المتعصبين أخذت تنادي جهاراً بتحريم شراء الثلج منه، وصاروا يناوئونه ويضعون العراقيل أمامه الأمر الذي لم يستطع معه الخواجة الاستمرار في عمله، واضطر إلى إغلاقه ثم بيعه في ما بعد.

وفي أواخر عهد مبارك، وتحديدًا عام ١٩١٥، أدخل عبد الله الزبيدي أحد التابعين لآل الراشد من الزبير آلة الغراموفون إلى الكويت، ووضعها في مقهى له في ساحة الصفاة. وما إن علم الناس بأمر هذه الآلة العجيبة حتى توافدوا لمشاهدتها والاستماع إليها. وصار الزبيدي لا يشغلها للناس إلا بعد أن يدفع كل فرد «آنة» هندية. وصارت هذه الآلة

حديث البيوت والمجالس، فمن قائل إن «هذه من علامات القيامة»، وقائل آخر «ما أصدق إلا أن الشيطان حاطينه فيها ويغني» إلى غير ذلك من أقوال. واغتنم الشيخ سالم المبارك، المعروف بتدينه، فرصة سفر والده إلى المحمرة ومنع استخدامها.

وبالإضافة إلى ما شهدته من إدخال منتجات التكنولوجيا المتقدمة، فقد شهد عهد مبارك بداية إدخال الوسائل الرئيسية الثلاث للاتصال مع الخارج، وهي: التلغراف والبريد والتليفون<sup>(١)</sup>.

أما بالنسبة إلى التلغراف، فنجد أول إشارة إلى هذا الموضوع في خطاب موجه من الشيخ مبارك إلى المقيم البريطاني في بوشهر في ١٣ يوليو/ تموز ١٩١٠ يفيد فيه بأن والي البصرة عرض عليه فكرة مد سلك تلغراف إلى الكويت، وأنه لم يوافق على ذلك بحجة عدم موافقة الرعايا الكويتيين على هذا الأمر، وظل الموضوع معلقاً لمدة عامين<sup>(٢)</sup>.

وفي ٢ يوليو/ تموز ١٩١٢ التقى المقيم السياسي كوكس الشيخ وأثار معه فكرة مد خط تلغراف إلى الكويت حتى يسهل اتصالها بالعالم الخارجي، فوافق الشيخ بصفة مبدئية على الفكرة. وفي ١٣ يوليو/ تموز من العام نفسه، أرسل المقيم السياسي خطاباً إلى الشيخ يؤكد فيه جدية الحكومة البريطانية في إنشاء الخط، وأن الوكيل السياسي شكسبير سوف يحيطه بتفصيلات العمل وموعده<sup>(٣)</sup>.

وعاد الشيخ لتأكيد موافقته في خطابه إلى المقيم السياسي كوكس في ٢٦ يوليو/ تموز ١٩١٢ وحرصه على توفير كل التسهيلات اللازمة لإنجاز

(١) انظر المراسلات الدبلوماسية البريطانية بشأن الخدمات البريدية والتلغرافية في الكويت في **Records of Kuwait 1899-1961**, Vol 4, Economic Affairs, pp. 3-21.

**Ibid**, p. 118. (٢)

**Ibid**, pp.296-297. (٣)

ذلك بما يحقق الصلاح للكويت وأهلها. وأورد الشيخ في خطابه أن «وجود البرق سيكون مصدر راحة وسهولة إلى الحكومة وشعبنا».

وفي ٦ أغسطس/ آب، أرسل كوكس إلى سكرتير حكومة الهند في وزارة الخارجية البريطانية خطاباً أبلغ فيه موافقة الشيخ مبارك على المشروع. كما أرسل خطاب شكر إلى الشيخ لموافقته، وأن «الدولة البهية دائماً يقدرون ويستحسنون مساعدتكم الصدوقية وتهيأكم - المقصود وتهيؤكم - للتقدم كما يستدل من مقتضيات الزمان والمدنية»<sup>(١)</sup>. ولكن المشروع لم ينفذ إلا بعد وفاة الشيخ مبارك، ففي عام ١٩١٧ أقامت بريطانيا الأعمدة الحديد من البصرة إلى الكويت ومدت عليها أسلاك البرق الذي عرف وقتها في الكويت باسم «التلي» أي التلغراف.

وخلال فترة حكمه، كان الشيخ يُرسل برقيات من أحد مكاتب التلغراف في الفاو أو بوشهر، كما كان يتلقى عبرهما البرقيات التي تصله. وعلى سبيل المثال، ففي ٩ مايو/ أيار ١٩١٠ أرسل شكسبير إلى الشيخ مبارك خطاباً يخبره فيه بورود برقية من مدير مكتب تلغراف الفاو يتضمن خبر وفاة إدوارد السابع ملك إنكلترا وسلطان الهند صباح يوم ٧ مايو/ أيار. ورد عليه الشيخ في ١٢ مايو/ أيار طالباً منه إرسال برقية يعبر فيها عن خالص أسفه لوفاة هذا الملك العادل ويتمنى لابنه الملك جورج النجاح<sup>(٢)</sup>.

وبخصوص نظام البريد المتبع وقتذاك، فقد كان الأهالي يأتون برسائلهم إلى ديوانية المزيد ويلقونها في كيس مخصص لهذه الغاية بعد أن يلصق عليها أصحابها طوابع بريد هندية. ويقوم بعد ذلك رجل من آل مزيد بنقل البريد إلى البصرة، وتسليمه إلى دائرة البريد لتوزيعه

Ibid, pp.298-303. (١)

Kuwait Political Agency, Arabic Documents, Vol 1, Op.cit , pp. 696-704. (٢)

ضمن بريدها داخل العراق وخارجه. أما الطرود، والرسائل التي لم يرغب أصحابها في إرسالها بهذه الطريقة، فقد كانوا يرسلونها من خلال المسافرين وقادة السفن التي كانت ترسو في ميناء الكويت. أما الشيخ مبارك وأفراد الأسرة المقربون، فقد كانوا يبعثون برسائلهم من خلال الوكالة البريطانية التي كانت تتولى نقلها<sup>(١)</sup>.

وفي عام ١٩٠٤، اتفق الشيخ مع الحكومة البريطانية على فتح مكتب للبريد، وذلك لتسهيل أمور التجارة والتجار. وأصدر في ٢٨ فبراير/ شباط من هذا العام إعلاناً ورد فيه «إن الحكومة البريطانية قد وافقت حسب رغبتني والمنفعة التجارية على تأسيس دائرة بريد في الكويت»<sup>(٢)</sup>. وبالفعل، أقيم المركز في مبنى ملحق ببيت الوكيل السياسي على الطريق العام - سكة العسوس، وكانت الرسائل تختم بخاتم البريد الهندي في بوشهر.

وفي ٢١ يناير/ كانون الثاني ١٩١٥، تم افتتاح أول مكتب رسمي للبريد في الكويت كان مقره مبنى الوكالة البريطانية. وتولت إدارته «إدارة البريد الهندية». وبدلاً من خاتم البريد الهندي في بوشهر، بدأ ختم الرسائل بخاتم يحمل اسم الكويت<sup>(٣)</sup> مكتوباً حسب الهجاء الإنكليزي Koweit، كما كُتب بأشكال مختلفة<sup>(٤)</sup> مثل Koete و Koweyt. واستخدمت الطوابع الهندية التي كانت تحمل صورة الملك جورج الخامس ملك بريطانيا لدفع رسوم البريد.

(١) عبد الله خالد الخاتم: مرجع سابق، ص ص ١٠٥-١٠٧، ١١٣، ١١٦، ١٤٠-١٤١، ١٦٠.

(٢) حسين خلف الشيخ خزعل: مرجع سابق، ص ١٣٨.

(٣) صُمم هذا الخاتم عام ١٩٠٤ عند تعيين أول وكيل سياسي بريطاني في الكويت، واستمر من دون استخدام لمدة ١١ سنة.

(٤) في عام ١٩٢٣، تم تغيير الهجاء لتكتب بالشكل المألوف باللغة الإنكليزية الآن، وهو

واستمر مكتب البريد في موقعه حتى عام ١٩٢٩ عندما عين الكولونيل ديكسون وكيلاً سياسياً. ورغب في استخدام البيت مسكناً له، فاستأجر موقعا آخر لاستخدامه مكتباً للبريد. واستمر العمل فيه إلى عام ١٩٤١<sup>(١)</sup>. وجدير بالذكر أن ديكسون كان من أكثر الشخصيات البريطانية التي ارتبطت بالكويت، حتى إنه استقر فيها بعد تقاعده حتى وفاته عام ١٩٥٩.

---

(١) محمد عبد الهادي جمال: تاريخ الخدمات البريدية في الكويت (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٤)، ص ١٣٣-١٣٦. وكذلك عادل محمد العبد المغني: لمحات من تاريخ طوابع البريد في الكويت (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٤)، ص ١١-١٣. انظر أيضاً = Neil Donaldson, *The Postal Agencies in Eastern Arabia and*

*The Gulf* ( London; Harry Hayes, 1975), pp 94-103.



## خامساً: الأوضاع الإجتماعية

في نهاية القرن التاسع عشر، كانت مدينة الكويت التي تقع على الساحل محاطة بسور من الطين يبدأ شرقاً من فريج (الحي السكني) البطي، وينتهي غرباً بفريج سعود مروراً بدرويزة (باب) العبد الرازق في وسط المدينة، وبغيرها من البوابات المحيطة بالمدينة، ويمتد على طول الساحل لمسافة ثلاثة كيلومترات. أما عمق المدينة إلى الداخل، فهو حوالي كيلومتر. ويصف عبد المسيح إنطاكي المدينة عند قدومه إليها عن طريق البحر بقوله «كانت بنايات الكويت تدنو منا... وهي منتشرة حول البحر على مسافات بعيدة»<sup>(١)</sup>.

كانت معظم بيوت المدينة تقع على الساحل أو خلفه بقليل. وكانت تبنى من الطين أو من الصخور البحرية. وكان المنزل الواحد يضم أكثر من جيل وأسرة. ويصف إنطاكي شكل المدينة عام ١٩٠٧ بأنها «مبنية على الطراز العربي وشوارعها ضيقة وهي على شكل مستطيل وفيها من السكان ما يربو على الخمسين ألفاً وقد يبلغ الثمانين في أيام المواسم حيث ينزل عربان نجد البلد للبيع والشراء»<sup>(٢)</sup>.

(١) عبد المسيح إنطاكي بك: مرجع سابق، ص ٦٢٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٥١.

ويضيف الطبيب بنت في تقارير الإرسالية الأميركية عن زيارته للكويت عام ١٩١٠ أن بيوت المدينة مبنية من الحصى الرملي والطين، وأنها تمتاز بنظافة الأزقة والشوارع. وترجع نظافة المدينة إلى دور الشيخ مبارك الذي استقدم لها عربتين كبيرتين لتجميع القمامة وحملها خارج المدينة. كما سجل زوار المدينة أنها لم تعرف اللون الأخضر، فبحكم شدة الحرارة وندرة المياه، كانت الأشجار نادرة، واستخدمت أشجار النخيل القليلة التي وجدت كعلامة يسترشد بها البحارة ويوجهون سفنهم تجاهها.

ويصف د. بنت الشعب الكويتي بأنه «شعب ودود ومهذب أكثر من أي شعب آخر في المنطقة. والجميع هنا يتمتعون باللياقة والأدب. وأعتقد أن السبب وراء كل ذلك هو وجود الحاكم العادل والطيب. ولم نجد معاملة الناس جيدة فقط بل إن المدينة نفسها تعتبر كما رأيتها من أنظف مدن الخليج». كما لاحظ بنت كرم أهل الكويت فيقول «إن هؤلاء البشر الذين يعيشون وسط ظروف قاسية يصبحون في سباق حقيقي مع الحياة... ولكنهم بسطاء جداً، قد يساوم الواحد منهم عند بيع أو شراء سلعة ليوفر قطعة نقود بسيطة، لكنه يقوم بذبح آخر خروف عنده إذا جئت على خيمته ضيفاً»<sup>(١)</sup>.

ولاحظ الطبيب بنينجس تدين الكويتيين والتزامهم بتعاليم الدين، فكتب عام ١٩١٥ «قبل كل شيء لا بد من القول إن الإسلام في الكويت هو قلعة حصينة لدى الأهالي. فعندما تتمتع بقرب الساحل عند غروب الشمس في أي يوم فإنك لا بد ستشاهد أن جميع الرجال الموجودين داخل السفن يؤدون الصلاة. بل إنني رأيت الأولاد الصغار يؤدون جميع

(١) خالد البسام (ترجمة وإعداد): القوافل. رحلات الإرسالية الأميركية في مدن الخليج والجزيرة العربية ١٩٠١-١٩٢٦ (البحرين: مؤسسة الأيام للطباعة والنشر، ١٩٩٣)، ص ٧٤، ص ٨٥.

الصلوات بحرص وخشوع بشكل لم أر مثله من قبل. وبجانب ذلك تجد المساجد غاصة بالناس في جميع أوقات أداء الصلوات». كما سجل استماعه للأناشيد الدينية التي كانت تنطلق من المدارس، وأنه في زيارة لمنزل أحد الكويتيين وجد في بيته مدرسة تتعلم فيها البنات الصغيرات القرآن<sup>(١)</sup>.

أما من حيث المساجد التي وجدت في الكويت في عهد مبارك، فيذكر عبد العزيز الرشيد أنه لا يعرف أقدم هذه المساجد ولكنه واحد من ثلاثة: مسجد آل خليفة ومسجد ابن بحر ومسجد العدساني. أما مسجد آل خليفة فقد كان يقع على شاطئ البحر وانتسب اسمه إلى آل خليفة حكام البحرين، وكان مسجداً صغيراً فقام الشيخ مبارك بإعادة بنائه وزيادة مساحته زيادة كبيرة وسماه بالمسجد الحميدي نسبة إلى السلطان عبد الحميد. ومن المساجد الشهيرة في تلك الأيام مسجد آل بدر الذي أسسه الحاج ناصر البدر في الحي القبلي عام ١٨٩٧ ثم قام الشيخ مبارك بتوسعته عام ١٩١٠، ومسجد الصقر الذي بناه محمد بن عبد الله الصقر تاجر التمور الشهير، والذي أصبح رئيساً لمجلس الشورى الأول عام ١٩٢١. وقد بنى هذا المسجد مع أخيه صقر في حي القبلة (فريج الفلاح) خلال الفترة ١٩٠٧-١٩١١، ومساجد السوق وهلال وآل نصف<sup>(٢)</sup>.

وعُرفت الكويت بالتسامح الديني. فعاش فيها السنة إلى جوار الشيعة الذين قدموا إليها من العراق والبحرين وإيران في جو تسوده المودة والتعاون. وفي عام ١٩٠٦ بنى آل معرفي مبنى عرف باسم «حسينية معرفي». والحسينية هي منتدى ديني اجتماعي يجتمع فيه الإخوة الشيعة أيام الأعياد والمواسم الدينية للإرشاد والتوجيه الديني الذي يقوم به

(١) المرجع السابق، ص ٩٣.

(٢) عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ص ٤١-٤٦.

الخطباء وعلماء الدين. وكانت أبواب الحسينية مفتوحة عادة في شهور محرم وصفر ورمضان. وكانت هذه هي أول حسينية في الكويت. أما ثاني حسينية فقد افتتحت عام ١٩١٨، وهي الحسينية التي تبرع الشيخ خزعل بمبلغ عشرة آلاف روبية لإقامتها. لذلك عُرفت في ما بعد باسم «الحسينية الخزعلية». وقد تبرع لها الشيخ مبارك قبل وفاته بالأخشاب اللازمة لإتمام بنائها. وكانت تقع في شارع مبارك الكبير في المنطقة التجارية المركزية. واستمرت هذه الحسينية في ممارسة نشاطها الديني والاجتماعي حتى منتصف القرن العشرين<sup>(١)</sup>.

كما عاشت في الكويت جالية من المسيحيين واليهود في مناخ يظلمه التسامح. ويؤكد القس الطيب صموئيل زويمر الذي زار الكويت في فبراير/ شباط ١٩٠٣ هذا المناخ. فيذكر أن الشيخ وافق على قيام سليم عنتون - وهو مسيحي من مدينة الموصل - باستئجار مسكن لمدة عام، وفتح مكتبة لبيع كتب الإرسالية التي كانت تقع في السوق الرئيسي للمدينة. ويضيف انه عند وصوله الكويت، استقبله عنتون على ظهر السفينة، وأخذه إلى منزله الذي عاش فيه مع زوجته وأطفالها الخمسة. وأنه شعر «براحة شديدة ولم يحس بأي مضايقات، لكوننا نساكن كمسيحيين بقرب عائلات مسلمة». و يذكر أنه التقى زواراً كثيرين كان من بينهم حاخام يهودي، ومسلم متصوف، وأنه ناقش معهم عدداً من الموضوعات الدينية<sup>(٢)</sup>.

وكانت الديوانيات هي الأماكن التي يتجمع فيها الناس في الأعياد

(١) حسين خلف الشيخ خزعل: تاريخ الكويت السياسي، ج ٢، مرجع سابق، ص ١٨١.  
 (٢) انظر تقرير زويمر عن زيارته للكويت عام ١٩٠٣ في خالد البسام (إعداد وترجمة): صدمة الاحتكاك. حكايات الإرسالية الأميركية في الخليج والجزيرة العربية ١٨٩٢-١٩٢٥، مرجع سابق، ص ص ١٧١-١٧٤.

والمناسبات، وفيها تبحث مشكلات الحي، ويتم فيها تداول الأخبار وتبادل المعلومات حول أسعار السلع في السوق. وفي شهر رمضان الفضيل تظل هذه البيوت مفتوحة طوال الليل يُرتل فيها القرآن الكريم ويُقدم فيها الإفطار لفقراء المكان. وفي الديوانية، كان يجلس الناس حسب مراتبهم. ومن حجم المجلس وسمته تُعرف مكانة الأسرة وثروتها، ولمدة طويلة، كان المجلس بمكانة النادي والمقهى والمركز الاجتماعي. وكان بعض أصحاب المجالس من رجال الفكر والدين والأدب يجتمعون لقراءة الكتب والشعر حيث تُلقى في مجالسهم الأحاديث وتُعطى الدروس. ويصبح هذا المجلس قبلة لطلبة العلم. وفي مثل هذه المجالس وُجدت مكتبات في كتب الدين واللغة والأدب<sup>(١)</sup>.

وكانت الأعياد مناسبة مهمة في حياة الكويتيين. ويذكر عبد العزيز الرشيد أنه في عهد مبارك اعتاد الكويتيون «تعطيل أشغالهم أسبوع العيد كله واشتغالهم بالألعاب الحربية كل نهار، فيكون أهل كل حي حلقة من رجالهم قد انتظموا كخرز المسباح وهم يرقصون ويلعبون وينشدون الأناشيد الحماسية الحربية ويضربون بالدفوف وبالطبول ويملؤون الفضاء من رمي البنادق ويخطفون الأبصار بوميض السيوف». وكان الشيخ مبارك يهتم بهذه الأنشطة اهتماماً كبيراً ويشجع الكويتيين على الاحتفال بهذه المناسبات<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان أهالي الكويت قد تعودوا استقبال زوار ومهاجرين من أبناء قبائل نجد، ومن العراق وفارس والهند، فإن ظهور الأوروبيين من ذوي البشرة البيضاء المشوبة بالاحمرار لم يكن منظراً مألوفاً في شوارع

(١) انظر في تاريخ الديوانية وتطور دورها الاجتماعي والسياسي يعقوب يوسف الكندري: الديوانية الكويتية (الكويت: جامعة الكويت، ٢٠٠٢).

(٢) عبد العزيز الرشيد: مرجع سابق، ص ٣٣٥.

الكويت. ويسجل ستانلي ماليري أن الأوروبيين كانوا يعتبرون ظاهرة غريبة في الكويت عام ١٩١١، فيذكر أن الأطفال كانوا يلاحقونهم في الشوارع «وهم يوجهون لنا الكلام اللاذع، ويلقون علينا بالحجارة بين الفينة والأخرى». أما أبناء الطبقات العليا، فكانوا متحفظين ومتكبرين، وحافظوا على أخلاقهم الحميدة وأدبهم ولطفهم<sup>(١)</sup>.

وتحكي السيدة ماليري تجربتها وسط نساء الكويت عام ١٩١٥ بأن النساء الكويتيات قد انبهرن من ملابسها التي بدت غريبة عليهن. كما كان الأطفال يصيحون ويضحكون عند مشاهدتهم لها لأن ملابسها لم تكن مألوفة بالنسبة إليهم. وذكرت أنها غيرت انطباعها عن النساء الكويتيات بعد معرفتها لهن، وإدراكها لوداعتهن وحسن خلقهن وكرمهن الشديد<sup>(٢)</sup>.

وكتب الأب انستاس الكرملي في مجلة المشرق اللبنانية عام ١٩٠٤ بحثاً عن الكويت جاء فيه «ليس في الكويت نهر جار وإنما شربهم من الركايا والآبار وهي كثيرة وماؤها شروب. وأما الشيخ والأكابر والتجار فيستجلبون ماء شربهم من جزيرة قريبة من الكويت اسمها فيلكة - المقصود فيلكا (وهم يلفظونها فيلجة) - ولعدوبة مائها فيها زرع»<sup>(٣)</sup>. كانت هذه الآبار تمتلئ من مياه الأمطار فإذا انقطع المطر أكثر من عام، نضبت مياهها. وعندما كان يحدث ذلك «يعم الجذب والقحط ويصبح الأهالي في محنة لا حل لها إلا سقوط المطر، فيستغيث الناس في المساجد وتتلئ الدعوات الحارة ويتضرعون إلى الله عز وجل أن ينزل عليهم الغيث

(١) ستانلي ماليري: مرجع سابق، ص ٣٦، ص ٤٣.

خالد البسام: القوافل. رحلات الإرسالية الأميركية في مدن الخليج والجزيرة العربية ١٩٠١-١٩٢٦، (٢) مرجع سابق، ص ص ١٠٨-١١٠.

(٣) أنستاس الكرملي: «الكويت». مجلة المشرق، السنة ٧، العدد ١٠ (١٩٠٤)، ص ٤٥٥.

ليعم الخير والرخاء»<sup>(١)</sup>.

لقد عانى أهل الكويت قلة المياه العذبة، واعتمدوا في حياتهم ومعيشتهم على مياه الآبار الجوفية التي تجود بالماء العذب وكانت تقع خارج أسوار المدينة، ويتم نقلها في «قرب» على ظهور الحمير. وكانت هذه الآبار موزعة في مناطق الشامية وحوالي وكيفان والنقرة. وكانوا عندما يصلون المدينة ويدخلون الفريج، يصيحون بأصوات عالية باسم البئر الذي جلبت منه الماء مثل: ماء حوالي، ماء الشامية، ماء مروق. وعندما تفرغ القرب من الماء يسارعون بالخروج من بوابة السور للملئها مرة ثانية. ولم تكن هناك ضوابط على كمية المياه التي يأخذها الفرد سواء للاستعمال الخاص أو البيع.

وكان هناك سوق للماء (المائي) بالقرب من مبنى الكشك وسط المدينة القديمة يتجمع فيه البائعون انتظاراً للمشتريين، وكان متوسط قيمة القربة الصغيرة من الماء العذب «قرآن ونصف» وقيمتها من الماء الشروب «نصف قرآن». وكانت هناك آبار متوسطة الملوحة داخل المنازل، وكانت مياهها تستخدم في أغراض الاستحمام والنظافة/ ما عدا الشرب وطهو الطعام. كما أنشأ أهل الكويت خزانات مياه لحفظ ماء المطر تكون في بيوتهم، وكان هناك أكثر من طريقة يتبعونها لجمع الماء<sup>(٢)</sup>.

ومع ازدياد عدد السكان والسكنى في المدينة، زادت الحاجة إلى المياه العذبة. وفي عام ١٩٠٩ تمت أول عملية لنقل المياه من شط العرب إلى الكويت بواسطة محمد اليعقوب الذي نقل المياه على سفينته في عدد من البراميل الخشبية، وأتى بالماء من الفاو وقام ببيعها للأهالي مما جعله يحقق

(١) أيوب حسين: مرجع سابق، ص ١٣٥.

(٢) أنظر في تفصيلات جلب وتوزيع الماء المرجع السابق: ص ص ١٣٠-١٤٣. وكذلك يعقوب يوسف الحججي (إعداد): الكويت القديمة صور وذكريات، مرجع سابق، ص ص ٩٢-١٠٠.

أرباحاً لم يكن يتوقعها. وعندما أدرك آخرون حجم الربح في هذا النشاط، ازداد عدد السفن التي تقوم بهذا العمل، والتي سُميت «بوم الماء» وهي سفن شراعية صنعت لنقل الماء العذب كانت مجهزة بالخزانات الخشبية المحكمة الصنع.

وعندما تصل السفينة إلى الكويت كان يتجمع حولها بائعو الماء، ويقوم كل منهم بملاء قريته المصنوعة من جلد الأغنام أو علبة الصفيح التي يملأها بالماء العذب، ويحملها على ظهره أو يسرع بحماره لبيعها في أقرب فريج. وظهرت في هذا الوقت مهنة «الكندري» وجمعها «الكنادرة»، وهم مجموعة من إيران أتت إلى الكويت واشتغلت بحرفة نقل الماء على أكتافهم بواسطة «الكندر»، و«هو عبارة عن رمح خشبي بطول القامة تتدلى في كلا طرفيه علبتان من التنك (قوطي)»<sup>(١)</sup>. ومع ذلك، فإن هذه السفن لم تستطع أن تسد حاجات الأهالي من الماء.

وبسبب عدم انتظام توقيتات هذه السفن وتعرضها للرياح وتقلبات البحر، مما يؤخر وصولها إلى من يحتاجون إليها، قرر الشيخ مبارك شراء باخرة لهذه الغاية، فاشترى باخرة من الهند سُميت في ما بعد باسم «سعيد» وكانت باخرة كبيرة مخصصة لهذا الغرض ذات خزان واسع. وكانت هذه هي أول باخرة تمتلكها حكومة الكويت<sup>(٢)</sup>.

ومع استمرار المشكلة وتزايد الحاجة إلى الماء، اشترى الشيخ مبارك في عام ١٩١٤ أول ماكينة تقطير لتحلية مياه البحر وجعله صالحاً للشرب والاستخدامات الأخرى، وكانت ذات مدخنة مرتفعة جداً من أجل إبعاد الدخان الصادر من الماكينة عن المدينة. وقد اشترىها الشيخ من خلال شركة «ستريك» الإنكليزية للملاحة بمبلغ مائتين وخمسين ألف

(١) أيوب حسين: مرجع سابق، ص ١٣٧.

(٢) عبد الله خالد الحاتم: مرجع سابق، ص ١٥٦.

روبية. وكان هدف الشيخ من وراء ذلك هو القضاء على موجات الحاجة الشديدة للعطش التي انتابت الكويت بين الحين والآخر، وبالذات في الفترات التي كانت تتأخر فيها السفن الصغيرة بنقل المياه العذبة من الفاو إلى الكويت، وكذلك إنقاذ الأهالي من الأمراض التي كانت تسبب الأوبئة ويذهب ضحيتها مئات الكويتيين بسبب شرب المياه العفنة والملئية بالجراثيم<sup>(١)</sup>.

وبالفعل، أرسلت الشركة المحطة ومعها فريق من الفنيين إلى الكويت للإشراف على تركيبها وتشغيلها. غير أن الشيخ مبارك صاحب الفكرة توفي عام ١٩١٥ قبل أن يرى ثمار هذه المحطة وهي تحيل مياه الخليج المالحة إلى مياه عذبة<sup>(٢)</sup>.

ومع ذلك، فقد أنشئ في عهد الشيخ مبارك أول حمام عام، وذلك عام ١٩١٥. وبُني هذا الحمام في مكان يقع في وسط البلدة في براحة الشيخ مبارك الصباح وبالقرب من المسجد الذي أسسه مبارك الفاضل عام ١٧٨٢<sup>(٣)</sup>. ولم يلق هذا الحمام النجاح والإقبال من الأهالي كما توقع أصحابه بسبب قلة المياه العذبة<sup>(٤)</sup>.

وبالنسبة إلى أوضاع المرأة في عهد الشيخ مبارك، فقد لعبت المرأة الكويتية دوراً أساسياً في المجتمع لأن الرجل كان خارج المدينة للغوص أو التجارة في غالبية شهور السنة. وكانت المرأة الكويتية تطهو طعامها على نار الخشب حتى دخل

(١) المرجع السابق: ص ١٥٧.

(٢) «صفحات ووثائق من قصة الماء في الكويت» في رسالة الكويت، راسلة دورية تصدر عن مركز البحوث والدراسات الكويتية (السنة الثالثة - العدد ١٠، مارس ٢٠٠٥)، ص ١٠.

(٣) عدنان بن سالم بن محمد الرومي: تاريخ مساجد الكويت القديمة ( الكويت: ط ٢، ٢٠٠٢ )، ص ١٣٠.

(٤) عبد الله خالد الحاتم: مرجع سابق، ص ١١٢.

الكيروسين (الكاز) الكويت للمرة الأولى عام ١٩٠٢ على يد رجل إنكليزي يُدعى كيري ماكنزي، وقد استورده من الهند في صفائح من التنك، ووضع كل صفيحتين في صندوق خشبي. كان الكاز المستورد يحمل إحدى علامتين، صنف يحمل علامة الأسد، والصنف الآخر يحمل علامة الشمس. وقام ماكنزي بعرض نماذج هذه المادة على التجار مُعدداً لهم المنافع والأرباح المتحققة من ورائها. غير أنهم أخذوا موقف الحذر منها. ورغبة من ماكنزي في ترويج بضاعته، فقد أعلن أن أول من سيتفق معه سيكون له حق الانفراد ببيع الكاز دون غيره. ورسا الاتفاق على الحاج علي بن الشيخ أحمد العمر الذي أصبح في ما بعد الوكيل المحترق لاستيراد الكاز الذي انتشر بسرعة بين أهالي الكويت، حتى أصبح من المواد الضرورية لكل بيت<sup>(١)</sup>.

وبالإضافة إلى استخدام الكاز في الأغراض المنزلية، كان يستخدم في إرشاد السفن. فيذكر سيف مرزوق الشمالان أنه في كل مساء كان يرتفع على السارية العالية المقامة في مبنى الوكيل السياسي سراج كبير «سراج الكاز» كانت تهتدي به السفن الشراعية ليلاً عند اقترابها من ميناء الكويت. فكانت السفن تشاهده من بعيد وتشق طريقها في البحر على هداه. وظل لفترة السراج الوحيد من نوعه في المدينة<sup>(٢)</sup>. ورصدت الديبلوماسية الروسية ذلك التطور، ففي منتصف مايو/ أيار ١٩٠١ كتب كروغولوف القنصل الروسي في بغداد بأن الإنكليز قد نصبوا سارية عالية لإنارة الميناء ليلاً<sup>(٣)</sup>، كما سجله رونكيير الذي وصف منزل الوكيل السياسي بأنه «بناء بارز

(١) المرجع السابق، ص ١١٠.

(٢) فيوليت ديكسون (أم سعود) تقديم سيف مرزوق الشمالان آل سيف: أربعون عاماً في الكويت (الكويت: دار قرطاس للنشر، ١٩٩٤)، ص ١١.

(٣) غيورغي بونداريفسكي (ترجمة د. ماهر سلامة): الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، مرجع سابق، ص ٢٠٢.

يرفرف أمامه العلم البريطاني الذي ارتفع فوق سارية عالية وضع فوقها فانوس أحمر يهدي البحارة إلى الميناء»<sup>(١)</sup>.

كانت حفلات الزواج بسيطة تغنى فيها الأهازيج الكويتية في ما عدا الأفراح الكبرى التي سجلها المؤرخون، مثل زواج حمد ابن الشيخ مبارك، وزواج حفيده عبد الله السالم عام ١٩٠٨. فقد نظم الشيخ احتفالاً ضخماً في المدينة استدعت فيه الفرق الموسيقية والمغنون من العراق ومصر. وحضر حفل الزفاف الشيخ خزعل الصديق الصدوق للشيخ مبارك، والشيخ صباح بن محمد، وعدد من أعيان المحمرة. وكذلك زواج سعود بن محمد الصباح على البيبي بنت مبارك الصباح عام ١٩١٠<sup>(٢)</sup>.

وهكذا، يمكن القول إن فترة حكم الشيخ مبارك شهدت بدايات دخول مظاهر الحياة الحديثة الكويت في مجالات التعليم والصحة والمبتكرات التكنولوجية المختلفة، وارتبطت بذلك زيادة عدد سكان الكويت، وتعرف أهلها إلى أنماط سلوك الأجانب من الدول الغربية الذين قدموا إليها. ولم يقتصر هذا التطور على الأوضاع الاجتماعية فحسب، بل شهدت الحياة الاقتصادية والتجارية تطورات مهمة، وهي ما نعرض له في الفصل الثالث من الكتاب.

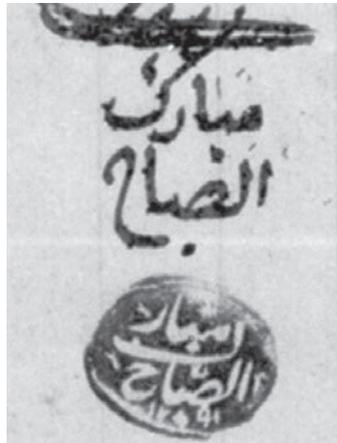
(١) باركلي رونكيير: مرجع سابق، ص ٧١.

(٢) محمد بن إبراهيم الشيباني (محرر): رسالة فيها حوادث ووفيات الأعيان من تدوينات خان بهادر. عبد الله القناعي (الكويت: مركز المخطوطات والوثائق، ٢٠٠٦)، ص ١١٣. وكذلك حسين خلف الشيخ خزعل: مرجع سابق، ص ص ٢٨٨-٢٩٩.



حباً بوجوه الامجاد لا فخر  
 بعد السلام والسؤال عن خاطركم وعنا محمد بن يحيى وسرور وجعلكم الله كذا لك في ابرك ساء  
 وردنا لنا بكم الموقر في رمضان المشهور السنه بصيحه كفا السعيد لا زلتتم تعودون على مثال امثاله  
 اعلمنا عديده بالصحة وكفا فيه ونسئل الله ان يقبل كل طاعات من اجمع هذا ووجوه بيان المضمونه  
 تحريره عيقت اجوابيه بان سلامنا الولد علي ومنا الولد جابر ورضوانه يسلمون ودمهم  
 مبارك  
 الضباع

لراثة ختم الرفعة رباله لا عليها  
 حباً الرفقهم الا في صفة اخاله انظر الكرم حفظه الله تعالى و  
 الرعل انه قد فهد الى الاخر محمد صالح الخبيزي خمسة الاف رباله  
 وذلك عن باقي اقسامه كذا وما من ١٤٢٣ ودمهم سائده والسبح  
 مبارك  
 الضباع



ختم الشيخ مبارك وتوقيعه - من محفوظات مركز البحوث والدراسات الكويتية.



صورة للشيخ مبارك عام ١٩٠١.



الشيخ مبارك مع ضباط السفينة الروسية «فرياج» عام ١٩٠١.



الشيخ مبارك وصديقه الشيخ خزعل شيخ المحمرة عام ١٩٠٧.



الشيخ مبارك واقفاً على الجسر الذي كان يربط بين الأجزاء القديمة والجديدة من قصر السيف.



صورة للشيخ مبارك عام ١٩١٢.



الشيخ مبارك في سنواته الأخيرة ويظهر واقفاً الى يساره ابنه الشيخ جابر.



صورة للشيخ مبارك في مجلسه في الهواء الطلق.



---

## الفصل الثالث

# بدايات التطور الفقتصادي وتنظيم الحياة التجارية والمالية

«كان يفتح خزائنه لتجار بلده ويمدهم منها بمئات الألوف وعشراتها ليتاجروا بها ويبيعون قسماً من تمر أملاكه في البصرة ويمهلهم بالقيمة إمهالاً طويلاً كل ذلك رغبة في نمو تجارتهم وزيادة ثروتهم. ولقد كانت تصيبه الانفعالات العظيمة إذا أصيب أحدهم بخسارة في الأموال والأولاد».

عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت



---

## الفصل الثالث

# بدايات التطور الإقتصادي وتنظيم الحياة التجارية والمالية

يقول يوسف بن عيسى القناعي، أحد رواد الإصلاح في الكويت، في كتابه بعنوان «صفحات من تاريخ الكويت» «إنه في عهد مبارك اتسعت الكويت وزاد العمران، وصار لها اسم كبير في خليج فارس، واستتب الأمن في بادية الكويت، وزادت الثروة، وتقدمت التجارة، وأخذت البواخر تمر في الكويت أثناء ذهابها إلى البصرة ورجوعها منها، وبلغ الغواصون للحصول على اللؤلؤ الحد النهائي في الاتساع في السفن والمحصول»<sup>(١)</sup>.

لقد عاشت الكويت منذ نشأتها محكومة بالصحراء والبحر. فالصحراء فرضت حياة البادية وتربية الجمال والماعز والترحال بحثاً عن الماء والكلأ. والبحر من ناحية أخرى، كان منفذ الكويت على العالم من خلال التجارة وصيد اللؤلؤ.

تمتعت الكويت بموقع جغرافي فريد، وجعلها هذا الموقع منفذاً طبيعياً

---

(١) يوسف بن عيسى القناعي: صفحات من تاريخ الكويت (القاهرة: دار سعد مصر، ١٩٤٦) ص ص ٢٢-٢٣.

للشمال الشرقي من شبه الجزيرة، ومنفذاً بحرياً يتصل بالعالم من خلال التجارة، ومركزاً مهماً لتجارة الترانزيت التي ساعد عليها تمتع الكويت بميناء ممتاز كان أفضل الموانئ الموجودة على الساحل الشرقي للجزيرة العربية. وحسب تقييم قائد الطراد الروسي فارياج الذي زار الميناء في سبتمبر/ أيلول ١٩٠١، فإن الكويت هي «بلا شك أفضل مرفأً على ساحل الخليج العربي، يقع في عمق جون واسع مكشوف للرياح الشمالية الشرقية فقط، ونظراً إلى القاع الجيد، فإن السفن تقف على مقربة من الشاطئ أقل نسبياً مما في بوشهر أو بندر عباس، وباستطاعة قوارب التجديف الرسو أثناء المد من دون صعوبة، لأنه توجد فتحة غير كبيرة شبيهة بالثغر تمتد في البحر... والأطعمة اللازمة لأجل السفن يمكن إيصالها بالكمية المطلوبة بنوعية جيدة وبأسعار غير مرتفعة نسبياً»<sup>(١)</sup>.

وترتب على ذلك إمكان تفريغ السلع والبضائع التي تصل إليها من مختلف البلاد وتخزينها وإعادة شحنها لكي تذهب إلى مدن الداخل في شرق شبه الجزيرة العربية. فمن خلال الكويت، كانت مختلف البضائع تنقل إلى الساكنين في الصحراء، كما كانت الكويت تعتبر سوقاً رائجة لأهالي نجد والأحساء وبادية الشام<sup>(٢)</sup>.

ويشير أحد المؤرخين السعوديين إلى أن الكويت أصبحت من الجهات التي قصدها التجار النجديون لشراء ما يحتاجون إليه من سلع وبضائع كانت تصلها من الهند وغيرها من الأمصار. كما أصبحت أيضاً من الجهات التي يقصدها من ضاقت بهم سبل الحياة للعمل في مجال الغوص بصفة خاصة<sup>(٣)</sup>.

(١) سفن روسية في الخليج العربي ١٨٩٩-١٩٠٣. مواد من أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي، ترجمة سليم توما (موسكو: دار التقدم، ١٩٩٠)، ص ٩٢.

(٢) د. محمد رشيد الفيل: الجغرافيا التاريخية للكويت، مرجع سابق، ص ١١٠.

(٣) د. عبد الله الصالح العثيمين: العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت (الرياض: د.ن، ط ٢، ١٩٩٠)، ص ٨٥.

ويذكر رونكير «أن الجزء الأكبر من التجارة في الجزيرة يمر عبر الكويت، ولذلك فهي البوابة ليست فقط للعراق، ولكن لوسط الجزيرة. إنها البلد الوحيد بين شط العرب ورأس موسندام الذي يملك طرقاً طبيعية»<sup>(١)</sup>. ويضيف إنطاكي - مؤكداً المعنى نفسه - أن الكويت أحد أهم ثغور الخليج من الناحية التجارية «لأنها ميناء النجديين، يستوردون منها ما يحتاجون إليه من الهند ويرسلون بواسطتها محصولاتهم، وأهمها الخيول النجدية الشهيرة، إلى البصرة وبغداد وثغور خليج فارس والهند»<sup>(٢)</sup>. واتسعت تجارة أهالي الكويت حتى وصلت إلى مصر، فورد في أحد التقارير البريطانية عام ١٩٠٠ أن أحد أهالي الكويت - وهو سعود سليمان صالح الشبلي - كان يشتري الجمال من الكويت وتصدرها إلى مصر، وأنه جنى ربحاً وفيراً من هذه التجارة<sup>(٣)</sup>.

وفي تحليل للتبادل التجاري خلال عامي ١٩٠٥-١٩٠٦ يتضح أن ٣٠,٧٪ من تجارة الكويت كانت مع الهند التي مثلت المصدر الرئيسي لمعظم المواد الغذائية، مثل الأرز والسكر والشاي والدقيق، و٢٦,٧٪ مع الدولة العثمانية، و١٤,٦٪ مع بريطانيا، و٩,٢١٪ مع إيران. وكانت أهم الصادرات اللؤلؤ، والسمن من البادية، والخيول، والجلود، والصوف، والتمر. أما أهم الواردات فقد تمثلت في المنسوجات القطنية والحريرية، والسكر، والشاي، والزيت، والدخان، والقمح والشعير، والأخشاب،

(١) باركلي رونكير (نقله من الإنكليزية إلى العربية منصور محمد الخريجي): عبر الجزيرة العربية على ظهر جمل، مرجع سابق، ص ٧٥. وكذلك محمد بن إبراهيم الشيباني (إعداد): الكويت كما رآها السياسي الدنماركي باركلي رونكير عام ١٣٣٠ هـ - ١٩١٢ م، مرجع سابق، ص ٢٣.

(٢) عبد المسيح إنطاكي: الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة، مرجع سابق، ص ٦٥١.

(٣) Political Resident, Turkish Arabia to Political Resident, Bushire, 25 June

والحبال التي تستخدم في السفن، والماء الذي يجلب بالسفن الشراعية من شط الخليج<sup>(١)</sup>.

---

(١) حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، مرجع سابق، ص ٧٤. وكان الوكيل السياسي يرسل تقارير دورية عن حالة الحركة في ميناء الكويت مسجلاً عدد السفن التي تصله وأنواع البضائع التي تحملها، انظر

Notes on Kuwait harbour prepared by Political Agent, Kuwait, 1907 in **Records of Kuwait**, Vol 4, pp.731- 753.

---

## أولاً: اهتمام الشيخ بالتجارة ودعم التجار

أدرك الشيخ مبارك أن التجارة هي عصب الحياة بالنسبة إلى الكويت والكويتيين، لذلك سعى بكل السبل إلى إيجاد البيئة المناسبة لنهضة الاقتصاد ولزيادة حركة التجارة في الكويت، مما أدى إلى ازدهار التجارة في عصره ازدهاراً واسعاً. ويمكن إرجاع ذلك إلى سهر الشيخ على تحقيق جو من الأمان، ومحاربة أنشطة القرصنة، وحفظ التجارة من السلب والنهب، وإنزال العقاب الصارم على من يعتدي - براً وبحراً - عليها وعلى أهلها. وكم من مرة قاد الشيخ بنفسه حملات لمعاينة القبائل التي تعرضت لقوافل التجار الكويتيين، أو لتدمير السفن التي تقوم بأعمال القرصنة. وكان من شأن ذلك تأمين أرواح التجار، وانتعاش نشاطهم.

كما اهتم الشيخ بأمن الطريق البري بين الكويت والبصرة. فنظم عام ١٩١١ عملية حراسة مدينة الكويت لحماية القوافل. وفي العام نفسه، قتل عبد العزيز الرواف، وهو تاجر من بلدة بريدة كان في الطريق من مدينة الزبير إلى الكويت عندما هجم عليه مجموعة من رجال البدو وقتلوه، واستولوا على أمواله. وعندما علم الشيخ مبارك بذلك، أمر بتعقب الجناة. وبالفعل، قبض على عدد منهم ومعهم جزء من الأموال المنهوبة،

ثم أرسل رجاله لمتابعة باقي المجرمين، وأمر بتعيين أربعين رجلاً لحراسة الطريق بين الكويت والزبير<sup>(١)</sup>.

وترتب على سيادة مناخ من الأمان والطمأنينة أن أصبحت الكويت منطقة جاذبة لأصحاب الحرف والخبرة من نجد وفارس والعراق والأحساء، والذين فضلوا السكنى في الكويت، وممارسة أنشطتهم منها. ويؤكد رونكيير هذا المعنى بقوله إن الكويت «هي البلد الوحيد في المنطقة الذي يعتبر مستقلاً. فقد سهل على سكان وسط الجزيرة الوصول إلى البحر... إن الكره العميق الذي يحملته العرب للأتراك العثمانيين ترك أثراً عميقاً على الحركة التجارية في المناطق التي يحكمها الأتراك، كما أن أسلوب الحكم التركي لم يساعد على علاج هذه الحالة... وسبب آخر لتجنب سكان وسط الجزيرة لنقاط الجمارك التركية هو المنع التركي للتجارة والتعامل في السلاح... أما الكويت فإن عرب الداخل يستطيعون الوصول إليها من دون أن يتعرض لهم أحد أو يصادر أسلحتهم لأن سلطة الحاكم الكويتي قوية»<sup>(٢)</sup>.

وكان من شأن قيام الشيخ بمراقبة الأسواق وعقاب المنحرفين أن ندرت جريمة السرقة في الكويت. ولاحظ إنطاكي أثناء تجواله في أحد أسواق الكويت في عام ١٩٠٧ وجود الصيارفة «وكل واحد أمامه مكتب قصير فيه أنواع النقود التي تتنوع بين نقود عثمانية على أنواعها ونقود فارسية ونقود هندية. وعلمت أن هؤلاء الصيارف عندما يمسي المساء يقفلون مكاتبهم على ما فيها من أموال وينصرفون إلى منازلهم آمنين مطمئنين على أموالهم»<sup>(٣)</sup>.

(١) حسين خلف الشيخ خزعل: التاريخ السياسي للكويت، مرجع سابق، ص ٢٨٩.

(٢) باركلي رونكيير: مرجع سابق، ص ٧٦-٧٧. وكذلك محمد بن إبراهيم الشيباني (إعداد):

الكويت كما رآها السياسي الدناركي باركلي رونكيير، مرجع سابق، ص ٢٤-٢٥.

(٣) عبد المسيح إنطاكي بك: مرجع سابق، ص ٦٥٣.

وفضلاً عن ذلك، فقد ازدهرت التجارة بسبب قيام الشيخ مبارك بتشجيع صناعة السفن الكبيرة والتي استطاع بها تجار الكويت أن يصلوا بتجارهم إلى الهند وما بعدها. رافق ذلك اهتمام الشيخ بتوفير وسائل الاتصال التي تربط الكويت بالهند. فبعد إبرامه اتفاق الحماية مع بريطانيا عام ١٨٩٩، عقد الشيخ اتفاقاً مع شركة السفن البخارية الهندية البريطانية British Indian Steam Navigation Company لكي ترسو سفنها في ميناء الكويت للركاب والبضائع، وذلك بمعدل باخرة كل أسبوع. وأدى ذلك إلى أنه أصبح في إمكان التجار التردد على الهند مرة كل شهر بلا مشقة أو عناء، ومن دون مواجهة الصعوبات التي كانت السفن المحملة تتعرض لها عندما كانت ترسو في ميناء المحمرة. وقام الشيخ بإنشاء وكالة له في بومباي لمساعدة الكويتيين الذين يترددون عليها، وذلك بتسهيل معاملاتهم مع التجار الآخرين من جنسيات أخرى، وحفظ حقوقهم وهم في الغربة. وأدارها سالم السديراوي وبعده ابنه محمد. كما شجع مبارك التجار الكويتيين على افتتاح مكاتب تجارية لهم في الهند لتقوم بأنشطة التصدير والاستيراد. ونتج من ذلك أن قام أهل الكويت بارتياح موانئ إيران والهند والخليج بهدف التجارة<sup>(١)</sup>.

كان الشيخ مبارك يتوسط بين التجار وأصحاب الأنشطة الاقتصادية للتأكد من حصول كل منهم على حقه، وبالذات عندما يتأخر أحد التجار عن سداد قرض في الوقت المحدد. وكان بعضهم يقوم بالاتصال بالوكيل السياسي بشأن هذه الأمور. وعلى سبيل المثال، كتب الوكيل السياسي نوكس إلى الشيخ جابر الابن الأكبر للشيخ في ٢٠ مارس/ آذار ١٩٠٩ يطلب منه مساعدة خلف بن غصان على استرداد مبلغ ٢٧ ريالاً كان قد

(١) يعقوب يوسف الحجوي: النشاطات البحرية القديمة في الكويت (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ٢٠٠٧)، ص ص ١٨٢-١٨٣.

اقترضها منه علي عبد الله بن فايز القصاب.

ومرة أخرى، أرسل الوكيل السياسي شكسبير إلى الشيخ في ١٠ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٠٩ بشأن الخطاب الذي وصله من ميرزا جعفر الذي يخبره فيه أنه عند سفره من الكويت لم يتمكن من تحصيل الديون المستحقة لدى بعض أهالي الكويت. ويطلب الوكيل من الشيخ مبارك القيام بتحصيل هذه الأموال وفقاً للكشف المرفق مع الخطاب. ورد عليه الشيخ في اليوم نفسه بأنه كلف أحد تابعيه بالبحث عن هؤلاء الأشخاص، وأن يحصل من كل منهم على ما عليه من دين بعد التأكد من ثبوت الدين عليهم.

ويبدو أن الموضوع لم ينته عند هذا الحد، ففي ٤ مارس/ آذار ١٩١٠، أرسل شكسبير إلى الشيخ يفيدته بقدم ميرزا جعفر إلى الكويت، وأن هناك بعض الديون التي لم يتمكن من استردادها، وأنه سوف يذهب إلى الشيخ برفقة عبد الله بن عبد الاله، ويرجو من الشيخ المساعدة. ورد عليه الشيخ في اليوم نفسه مؤكداً أنه سيساعده في حال امتناع أحد المدينين عن السداد، وذلك تأكيداً لمبادئ «الحقانية والإنصاف».

وأرسل الوكيل السياسي خطاباً آخر إلى الشيخ في ١٤ مارس/ آذار يخبره بأن ميرزا جعفر توجه إلى المدينين فوجد بعضهم خارج الكويت، وأن البعض امتنع عن الدفع، والبعض أنكر أن له ديناً عنده. وأشار شكسبير إلى أن ميرزا جعفر عاد إلى بوشهر، وطلب من الشيخ استدعاء المنكرين للتأكد مما إذا كانوا قد اقترضوا هذه الأموال بالفعل أو لا، وأن يقسموا على ذلك، فرد مبارك في ١٦ مارس/ آذار بأنه لم يقصر في التحقيق مع المذكورين وأنه لا يجد لادعاء ميرزا جعفر أي صحة أو سند. وأنه يقوم بمساعدة رعايا الدولة الإنكليزية «بطريق الحق»<sup>(١)</sup>.

كما كان الشيخ يطلب تدخل السلطات الإنكليزية في موضوع ما. وعلى سبيل المثال، أرسل الشيخ إلى الوكيل السياسي نوكس في ٢٩ سبتمبر/أيلول ١٩٠٨ رسالة بشأن مشكلة أحد تجار اللؤلؤ، وهو عبد الرازق بن سالم بن سلطان. وملخص المشكلة أن هذا الشخص، الذي كان يجمع اللؤلؤ من التجار الكويتيين ويبيعه نيابة عنهم في الهند، اقترض عام ١٩٠٧ خمسة آلاف روبية من محمد بن عبد الوهاب المشاري أثناء توقيفه في بومباي، وأودع لديه اللؤلؤ. وبعدها، توجه إلى البصرة حيث توفي هناك. ويبدو أن المشاري تأخر في بيع اللؤلؤ.

لذلك طلب الشيخ مبارك من الوكيل السياسي تدخل السلطات البريطانية في الهند وأن تضع يدها على اللؤلؤ، وتقوم من خلال أحد متصرفيها ببيعه في أقرب وقت خوفاً من أن يتسبب التأخير في انخفاض سعر اللؤلؤ، وأن يتم توزيع الثمن بعد سداد الدين على أصحاب اللؤلؤ بالعدل، بحيث لا يحصل أحد التجار على نصيبه كاملاً بينما يتحمل الآخرون خسارة، وأن هذا هو قانون اللؤلؤ الذي يحترمه جميع تجار الكويت. وسارع نوكس بالرد على الشيخ في اليوم نفسه يفيد بوضوح الطلب، وأنه سيرسله إلى المقيم السياسي في بوشهر الكولونيل كوكس لاتخاذ اللازم.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى، منعت الحكومة البريطانية خروج السفن والأموال من الهند إلا بناء على ترخيص. وبالفعل مُنعت بعض السفن الكويتية التي كانت موجودة في موانئ الهند من الإبحار محملة بالأطعمة والبضائع، فتدخل الشيخ مبارك لدى السلطات البريطانية لإعطاء هذه السفن الرخصة المطلوبة. ولما كان وصول هذه السفن إلى الكويت يستغرق وقتاً طويلاً، وخوفاً من حدوث ندرة في السلع الموجودة في الأسواق، طلب الشيخ من الوكيل السياسي البريطاني في

الكويت الإذن من حكومته بالسماح لإحدى السفن البخارية بالسفر إلى الكويت مرة كل خمسة عشر يوماً<sup>(١)</sup>.

وتكشف وثائق الوكالة البريطانية في الكويت العديد من الإجراءات التي اتخذها الشيخ مبارك لحماية تجار الكويت وممتلكاتهم، ففي ٢٩ مارس/ آذار ١٩١٠، كتب الشيخ إلى السيد فيصل بن تركي سلطان عمان يطلب منه القبض على النوخذة محمد صالح أحد رعاياه الذي يعمل على سفينة يملكها كويتي وترفع بिरق الشيخ، والذي ترك العمل هارباً إلى مسقط<sup>(٢)</sup>.

وفي الاتجاه نفسه، كتب الشيخ إلى الوكيل السياسي شكسبير في ٤ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١٢ يطلب منه التدخل لمصلحة النوخذا سعود المطيري من أهالي الكويت الذي هرب منه أحد بحارة سفينته إلى مدينة كلكتا بالهند وعليه أموال لحساب النوخذة قدرها ٤٦٠ روبية، وأن يكتب رسالة إلى وكيل النوخذة حتى يمكن استخدامها لدى السلطات البريطانية في الهند لاستعادة حقه. ورد عليه الوكيل في اليوم نفسه بأن طلبه قد نُفِّذَ<sup>(٣)</sup>.

كما تدخل الشيخ في العام نفسه بشأن عبد الرحمن الإبراهيم أحد تجار اللؤلؤ في بومباي، والذي أدت خسارة تجارته إلى عدم قدرته على سداد ديونه لتجار الكويت الذين طلبوا تدخل الشيخ لضمان الحصول على أموالهم. فوعدهم الشيخ بأن يقوم قاسم الإبراهيم (ابن عم عبد الرحمن

(١) حسين خلف الشيخ خزعل: مرجع سابق، ص ١٥٧-١٥٨.

(٢) من الشيخ مبارك إلى السيد فيصل بن تركي بتاريخ ٢٩ مارس/ آذار ١٩١٠ في

Kuwait Political Agency, Arabic Documents, Vol 1, Op.cit. p. 716.

(٣) من الشيخ مبارك إلى الوكيل السياسي شكسبير بتاريخ ٤ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١٢، ورد شكسبير عليه في المرجع السابق، ص ١١٧-١١٩.

الإبراهيم وأحد أبرز أغنياء الكويت) بذلك، وهدده بأنه سوف يضع يده على كل مزارع آل الإبراهيم في منطقة الجورة ما لم يسدد الديون المطلوبة. وبالفعل، التزم قاسم الإبراهيم بدفع هذه الديون على أقساط سنوية، ونشأت علاقة وثيقة بينه وبين الشيخ. وفي عام ١٩١٣، أرسل الشيخ له مركباً لسفره من بومباي إلى الكويت، واستقبله الشيخ بالاحترام، فأمر بأن تطلق أربع طلقات مدفعية عند وصول السفينة. ونزل قاسم عند الشيخ مبارك في بيته، ثم سافر من الكويت في مركب للشيخ إلى الفيلية بصحبة جابر بن مبارك. واستمر قاسم في دفع الأقساط المطلوبة منه حتى وفاة الشيخ مبارك، ثم توقف عن ذلك<sup>(١)</sup>.

كما تكشف الوثائق البريطانية عن إصابة الشيخ بالضيق عندما تصل إلى سمعه أخبار عن خسارة كبيرة ألت ببعض التجار. من أمثلة ذلك أنه في يوم ٢٠ يناير/ كانون الثاني ١٩٠٥ ألفت السلطات العثمانية بالبصرة القبض على ثلاثة من التجار الكويتيين، وأن أمر القبض صدر بناء على وشاية من ابن الرشيد<sup>(٢)</sup>.

وفي ١٦ مايو/ ايار ١٩١٢ أرسل الشيخ للمقيم السياسي كوكس خطاباً يعترض فيه على تجاوزات السفن الإنكليزية خلال تفتيش السفن الكويتية المبحرة في مياه الخليج للتأكد من عدم حملها أسلحة غير مرخصة. وذكر الشيخ أنه في إطار التزامه باتفاق منع تجارة الأسلحة غير القانونية، وافق على قيام السفن الإنكليزية بالتفتيش، ولكن عندما تتجاوز هذه السفن مهمتها، وتفتش سفناً يملكها كويتيون «من أشرف

(١) محمد بن إبراهيم الشيباني (محرر): رسالة فيها حوادث ووفيات الأعيان من تدوينات خان بهادر. عبد الله القناعي، مرجع سابق، ص ٢٧. وكذلك حسين خلف الشيخ خزعل: مرجع سابق، ص ٢٩١.

(٢) Political Diaries of the Persian Gulf, Vol 1 1904-1906 (London, Archive Editions, 1990), p.27.

أهل الكويت وأكبرهم وجيران بيتي» مثل خليفة بن شاهين الغانم، وعمه أحمد بن محمد الغانم، وعبد اللطيف بن عيسى، وناصر البدر بشكل غير لائق وإهانتهم وتعطيلهم لمدة ثلاثة أيام، فإن ذلك يعتبر أمراً غير مقبول.

وذكر الشيخ أن السفن الإنكليزية أنزلت البضائع للتفتيش «وكشفوا خشبهم» مما أدى إلى فقدان كثير من السلع في البحر، وإن على النواخذة دفع ثمن هذه البضائع، بالإضافة إلى الخسائر التي لحقت بالسفن نفسها، وأن ذلك يعكس «سوء ظن في أهل الكويت» وهو ما لا يستند إلى أي أساس، مضيفاً أننا «نلتمس حسن المعاملة اللائقة بحقنا وحفض - المقصود حفظ - شرفنا». وأن رعاياه لا يحملون أو ينقلون سلاحاً غير مرخص، وأنه «مثلاً أنا أحافظ - المقصود أحافظ - على شرفي فهم أيضاً يحافظون - المقصود يحافظون - على شرفهم ويمثلون لأمرى»<sup>(١)</sup>.

وفي مجال إثبات الهوية الكويتية للتجار والسفن التابعة له، أصدر الشيخ شهادات للتجار. ومن نماذجها الشهادة الصادرة في ٢ أغسطس/ آب ١٩١١ لعبد الله بن محمد الخليل والتي تشهد بأنه من أهالي الكويت «أباً عن جد متولدين وساكنين في الكويت وصنعتة التجارة». وتحمل الشهادة خاتم حاكم الكويت مبارك الصباح<sup>(٢)</sup>.

وأصدر الشيخ شهادة مماثلة للسفن موجهة إلى «الواقفون على مرسومنا هذا من السالكين بالبحار والساكنين بالبنادر من جميع الدول العظام الفخام المتحابية» مثال ذلك الشهادة الصادرة بتاريخ ٧ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩١١ «للبغلة المسماة السالمي ملك عبد اللطيف بن عيسى

(١) من الشيخ مبارك إلى المقيم السياسي كوكس بتاريخ ١٦ مايو/ أيار ١٩١٣ في Kuwait Political Agency, Arabic Documents, Op.cit, p p. 733-734.

(٢) انظر صورة من الشهادة في المرجع السابق، ص ١١٤.

بن حجي هو من جماعتنا أهل الكويت وتابعنا نأمل من حكم دراية الدول العظام المتحابة إذا نظروا إليه ووقفوا عليه أن يعاملوه بالمعاملة اللائقة كما جرت - المقصود جرت - به أصول وقوانين وشرائط وروابط الدول المتحابة»<sup>(١)</sup>.

كما أصدر الشيخ شهادة إجازة للسفن لحمل الأسلحة من أجل الدفاع عنها والمحافظة «على نفوسهم» في حالة التعرض لاعتداء في البحر. وتتضمن الشهادة نوع السفينة، واسم مالكيها ووالده، وأنه من رعايا الشيخ، واسم النوخذة ووالده، وعدد البحارة، وعدد الأسلحة الموجودة على السفينة وأنواعها<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر صورة من الشهادة في المرجع نفسه، ص ١١٥.

(٢) انظر صورة من الشهادة في المرجع نفسه، ص ٣-٨.



---

## ثانياً: الأنشطة الاقتصادية لأهالي الكويت

نتج من الاهتمام والرعاية اللذين وفرهما الشيخ مبارك للحياة التجارية والاقتصادية في البلاد، ازدهار ثروة الكويت وتوسع اقتصادها، فقد ارتبطت الثروة الاقتصادية والنشاط التجاري ارتباطاً وثيقاً بالبحر، فكانت الأنشطة الاقتصادية الرئيسية للكويتيين تتمثل في صيد وتجارة اللؤلؤ، والنقل البحري والتجاري، وصيد الأسماك، وعدد من المهن اليدوية. وقام الكويتيون بتنظيم هذه الحرف وبلورة القواعد والتصنيفات لتنظيم العمل<sup>(١)</sup>.

### ١ - الغوص على اللؤلؤ

كان الغوص على اللؤلؤ وتجارته يمثلان أحد أهم مصادر الدخل ليس في الكويت فقط بل في غالبية مناطق الخليج أيضاً، وكان في كل مدينة سوقاً رائجة لبيع اللؤلؤ وشرائه. وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، كان

---

(١) حسنين توفيق إبراهيم: «إمارة الكويت من النشأة حتى الحماية البريطانية عام ١٨٩٩ - العلاقات الخليجية» في د. أحمد الرشيد (محرر): مرجع سابق، ص ١٩٣.

يُجمع اللؤلؤ من مدن الخليج إلى أسواق البصرة وبغداد في العراق، ومنها يُصدر إلى الشام وإسطنبول ثم إلى أوروبا. وبعد اختراع السفن التجارية، تحولت سوق اللؤلؤ من العراق إلى الهند. وكان موسم صيد اللؤلؤ في شهور الصيف ابتداءً من شهر مايو/ أيار وانتهاءً بشهر سبتمبر/ أيلول.

وفي عهد الشيخ مبارك، ازدهرت تجارة اللؤلؤ بصفة عامة، حتى وصل عدد السفن الكويتية التي تمارس صيده إلى حوالي ٨١٠ سفن. وكان متوسط عدد البحارة في السفينة الواحدة حوالي ٧٠ بحاراً، كما بلغ عائد الغوص حوالي ٦ ملايين روبية، وذلك حسب تقدير الشيخ يوسف بن عيسى القناعي<sup>(١)</sup>. وفي أواخر عهده، ازدهرت تجارة اللؤلؤ ازدهاراً بالغاً حتى سُميت سنة ١٩١٣ بسنة «الطفحة» أي مجاوزة الحد. وصادفت هذه الفترة أن جاء شهر رمضان المبارك في فصل الصيف، فلم يتمكن الغواصون من ممارسة عملهم. واقتصر موسم الغطس - بتعبير هذه الأيام - قبل بداية شهر رمضان وبعده، حيث يذهب الغواصون للغوص قبل بدء الشهر، ويعودون إليه في أول أيام عيد الفطر بعد تناولهم طعام الإفطار. لذلك اعتبر الغوص غوصين.

ومن الحوادث الطريفة أن بعض النواخذة أرسل إلى علماء مكة المكرمة والأزهر الشريف يستفسر منهم عن مشروعية الغوص في أثناء الصيام، وهل هو مُباح أم لا. وكان سبب طلب هذه الفتوى أن موسم الغوص ترافق مع شهر رمضان في السنوات الأخيرة من حكم الشيخ مبارك، فجاءت الإجابة بأن الغوص غير مُباح خلال شهر رمضان، وأن الإفطار بسببه غير مُباح أيضاً. وكان مؤدى هذه الفتاوى منع الغوص خلال هذا الشهر<sup>(٢)</sup>.

(١) يعقوب يوسف الحجبي: مرجع سابق، ص ٨٤، وص ص ٨٩-٩٠.

(٢) سيف مرزوق الشمالان: تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي (الكويت: دن، ط ٢، ١٩٨٦)، ص ٢٧٥.

لقد كانت حرفة الغوص على اللؤلؤ وما ارتبط بها من أنشطة وسفن هي المهنة الرئيسية للكويتيين. وكانت سفن هذه المهنة أنواعاً، ولكل نوع منها أسماء خاصة به. فعلى سبيل المثال، كان هناك نوع البتيل أو البقارة. وكان من أسماء الأول سعيد، ومصارع، ومساعد. وكان من أسماء الثاني المياسة، والحمر. وكان هناك نوع آخر يسمى السنوك أو السمبوك، وهو يشير إلى السفن الصغيرة الحجم. وذلك بالإضافة إلى الأنواع الأخرى، والتي منها الشوعي وجاليوت والبوم، وكان منها سفن مرزوق، ومنصور، ومشهور، والمصطلحة.

أما تجار اللؤلؤ فكانوا يسمون بالطواشين، وكانوا يذهبون بسفنهم إلى مغاصات اللؤلؤ في مياه الكويت، والأحساء، والبحرين، وقطر، وإلى مغاصات عمان البعيدة في بعض الأحيان. كما كانوا يترددون إلى البحرين التي كانت تعتبر أكبر مركز لتجارة اللؤلؤ في منطقة الخليج للبيع والشراء وتزويد المؤن. وكان من أشهر الطواشين في هذه الفترة هلال المطيري، وعيسى القطامي الذي يعتبر من أشهر النواخذة في الكويت، وكذلك حافظ وهبة المصري قبل أن يعمل معلماً في المدرسة المباركية.

وعموماً، عمل عدد كبير من أهالي الكويت في هذه المهنة حتى أنه كانت تبدو مدينة الكويت خالية من الرجال في موسم الغوص خلال شهور الصيف. وكانت عودة الغواصين إلى الكويت مناسبة شعبية يحتشد لها الناس. ويصف يعقوب يوسف الحججي ذلك بقوله «ليس هناك من مشهد في الكويت القديمة يفوق في روعته مثل عودة الغواصين إلى المدينة بعد انتهاء موسم الغوص حين تقبل سفن الغوص على المدينة رافعة أشرعتها البيضاء وكأنها طيور النورس وقد غطت البحر. وعلى طول الساحل تقف طواير الأهالي من رجال ونساء وأطفال ينتظرون وصول هذه السفن لاستقبال أحبائهم الذين تركوهم أربعة أشهر متصلة

في رحلة شاقة للغوص على اللؤلؤ»<sup>(١)</sup>.

ومع ابتكار اللؤلؤ الصناعي في اليابان، وتراجع ثراء أمراء الهند الذين كانوا يمثلون أحد المصادر الرئيسية للطلب على اللؤلؤ، واكتشاف النفط في الكويت أخذت مهنة صيد اللؤلؤ في التناقص تدريجياً حتى انقرضت، ومعها تناقصت أهمية الغواص حتى أنه عام ١٩٥٥ لم يتبق من سفن صيد اللؤلؤ سوى عدد ضئيل يتراوح ما بين عشر وعشرين سفينة.

## ٢- النقل التجاري البحري

مثل النقل التجاري البحري ثاني أهم مصدر لدخل أهل الكويت بعد الغوص. وأقام أهلها أسطولاً من السفن الشراعية من الخشب المستورد من الهند. وكانت هذه السفن تتراد جميع موانئ الخليج بشاطئيه العربي والفرسي، وموانئ بلوشستان في باكستان، والهند، وشرق أفريقيا، وساحل الجزيرة العربية والبحر الأحمر، وذلك لنقل البضائع التجارية والسلع بمختلف أنواعها كالتمور والحبوب والأخشاب والأقمشة. ومع تطور السفن البخارية، بدأت هذه السفن في الانقراض تدريجياً حتى اختفت تماماً<sup>(٢)</sup>.

وكان نشوب الحرب العالمية الأولى فرصة مواتية لازدهار نشاط الأسطول الكويتي، وذلك لاستيلاء القيادة العسكرية البريطانية على جميع سفن النقل التجارية الكبرى التي كانت تُشغلها شركة الهند البريطانية وغيرها من الشركات التجارية البحرية التي كانت تعمل في

(١) يعقوب يوسف الحجوي (إعداد): الكويت القديمة صور وذكريات، مرجع سابق، ص ٣٧.

(٢) انظر في ذلك أحمد عبد العزيز المزيبي: الكويت وتاريخها البحري أو رحلة الشراع (الكويت: ذات السلاسل، ط ١، ١٩٨٦).

المنطقة، وتوظيفها لأغراض الجهد الحربي. وقد أدى ذلك إلى توقف هذه السفن عن نقل البضائع إلى موانئ الخليج، وازدياد الطلب على السفن الشراعية، مما أدى إلى ارتفاع أجور النقل وجعل التجار يتسابقون لبناء هذه السفن في الكويت، وفي ميناء كلكوتا بالهند أو كما كان يُعرف وقتها بين أهل الكويت باسم ميناء فاليقوط أو كاليكوط. وكان من أشهر هذه السفن «نور البر والبحر»، و«المحمدي»، و«سمحان»<sup>(١)</sup>.

وارتبط ازدهار النشاط التجاري البحري بتقدم صناعة بناء السفن. فكانت المراكب الشراعية كالطوم والبغلة تصنع من خشب الساج الهندي، واتصف العاملون بحرفة صناعة السفن بالمهارة والإتقان في صناعتها وصيانتها وترميمها. وكان من أشهر هؤلاء الصناع الحاج سلمان وولده أحمد، والحاج صالح بن راشد وأخواه جاسم وعبد الله، والحاج حمود بن بدر.

ومن القصص التي سجلها المؤرخون الخاصة بصناعة السفن في الكويت من طراز البغلة، وهي السفينة التي كان يستخدمها أهل الكويت في السفر إلى الهند وساحل أفريقيا الشرقي، أن النوخذة عبد الرحمن العسوسني تعاقد مع محمد جروف لبناء سفينة من نوع البغلة. وبدأ في العمل حتى اكتمل هيكلها الخارجي. وفي هذه الأثناء، وصل الشيخ مبارك إلى الحكم فخاف جروف وهرب إلى الكوفة. وعندما علم الشيخ بالأمر علق ضاحكاً «الله يخيبه». وأوصى بضرورة استكمال السفينة، فاختير صالح بن راشد الذي أكمل بناء السفينة التي عرفت بالمرداوية نسبة إلى صاحبها الشيخ خزعل المرداوي حاكم المحمرة<sup>(٢)</sup>.

وانقسم البحارة العاملون على ظهر السفينة من حيث وظائفهم

(١) يعقوب يوسف الحجبي: مرجع سابق، ص ص ١٦٤-١٦٥.

(٢) يعقوب يوسف الحجبي: صناعة السفن الشراعية في الكويت (قطر: مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، ١٩٨٨)، ص ص ٢٥٣-٢٥٤.

ومراتبهم إلى خمسة أنواع. أولها، الربان: وهو رئيس السفينة، ومهمته توجيهها وقيادتها والسهرة عليها حتى تصل إلى بر الأمان. وثانيها، الغواصون: وهم الذين يغطسون في قاع البحر لاستخراج المحار الذي يحتوي على اللؤلؤ. وكانوا يقومون بهذه المهمة من دون الاستعانة بأي من المعدات الفنية التي نعرفها هذه الأيام. وثالثها، السيوب: وهم الذين كانوا يسحبون الغواصين من قاع البحر عند أول إشارة من الغواص. ورابعها، الرضيف: وهم الفتيان الذين يخدمون في السفينة ويساعدون السيوب، ولهم سهم واحد من أسهم الغوص. وخامسها، التّباب: وهو الصبي الذي يقوم بالخدمات البسيطة مثل عمل الشاي والقهوة ومناولة الأشياء. ويعمل عادة من دون أجر فيما عدا ما يتناوله من طعام أو من الإكراميات التي يقدمها النواخذة أو البحارة له<sup>(١)</sup>.

### ٣- صيد الأسماك

كانت مهنة صيد الأسماك هي ثالث أهم مصدر للرزق والحياة الاقتصادية في الكويت بعد الغوص والنقل البحري. وكان صيد الأسماك يتم من خلال مجموعة من السفن الصغيرة التي استخدمت المجداف في البداية، ثم الشراع فيما بعد. ونظراً إلى صغر حجمها، فإن هذه السفن لم يكن في مقدورها أن تبتعد كثيراً عن الشواطئ. وتمثلت أهم الطرق التقليدية التي استخدمها الصيادون لصيد الأسماك في ما يأتي<sup>(٢)</sup>:

(١) عيسى القطامي: دليل المختار في علم البحار (الكويت: دن، ط ٢، ١٩٦٤)، ص ص ١٩٣-١٩٦.

(٢) المرجع السابق.

\* الصيد بالشباك على مختلف أنواعه.

\* القرقور أو الكركور، وهو عبارة عن قفص مصنوع من الأسلاك المعدنية في شكل شبكة يبلغ ارتفاعها ما بين ٥-٦ أقدام، ولها فتحة مخروطية في أحد جوانبها لدخول السمك. ويوضع بداخلها الطعم، وتربط في أعلاها بحبل سميك لسحبه.

\* استخدام النار ليلاً بحيث يتهافت السمك على النور، ثم يقوم الصيادون باصطياده بألة حادة.

وعند زيارته للكويت عام ١٩٠٢، لاحظ قائد الطراد الروسي اسكولد كثرة القوارب التي كانت تقوم بصيد الأسماك بواسطة سنارات بسيطة الصنع، وأن صاحب القارب كان «ينتشل السمكة تلو السمكة. والسمك، على ما يبدو، كثير جداً، واصطياده عند شواطئ الكويت يجري بأبسط الأساليب: فقبل الوصول إلى المدينة تصادف على الشاطئ وعلى امتداده أسواراً من القصب بأعداد كبيرة يدخل إليها السمك أثناء المد ويبقى فيها أثناء الجزر»<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - الحرف الصناعية واليدوية

شهدت الكويت في عهد مبارك مجموعة من الصناعات التي ارتبطت بالأنشطة الاقتصادية السائدة وحاجات الناس اليومية، ومن ذلك صناعة السفن، وأدوات الصيد، وصناعة بيوت الشعر والخيام، وصناعة الملابس مثل العباءات الرجالية والنسائية، وسميت بعض الأسواق بأسماء هذه الصناعات مثل: سوق الصاغة، سوق البشوت، وسوق

(١) سفن روسية في الخليج العربي ١٨٩٩-١٩٠٣. مواد من أرشيف الدولة المركزي للأستطول البحري الحربي، مرجع سابق، ص ١٣٢.

السلاح... إلخ»<sup>(١)</sup>.

كان أشهر هذه الصناعات، بالطبع، هي صناعة السفن التي اعتمدت عليها أنشطة استخراج اللؤلؤ والنقل البحري وصيد السمك، وكانت تقوم على استيراد الأخشاب من الهند وشرق أفريقيا، وكانت السفن تختلف في حجمها حول المستهدف من صناعتها، وعمّا إذا كانت سوف تعمل بالقرب من حدود الكويت أو أنها سوف تسافر بعيداً إلى البحر الأحمر والمحيط الهندي. ولاحظ الوكيل السياسي شكسبير مهارة أهالي الكويت في بناء السفن «فالأخشاب التي جلبها التجار الكويتيون من أفريقيا على السفن الشراعية تقطع بعناية بالغة وخبرة ليأخذ كل لوح مكانه تماماً إلى جوار اللوح الأخر، وبهذه الطريقة تأخذ السفينة صورتها الكاملة، وكأنها من روعتها تبدو فعلاً عملاً صنعته الطبيعة وليس من صنع الإنسان»<sup>(٢)</sup>.

وإلى جانب صناعة السفن، عرف الكويتيون الصناعات المرتبطة بحاجاتهم اليومية مثل صناعة الحدادة والمسامير التي أنتجت السكاكين والمطارق وأدوات البناء، وصناعة الأدوات النحاسية كأدوات الطهو والطعام وأباريق القهوة والشاي، وصناعة الذهب، وصناعة الأسلحة، والصناعات الجلدية التي ارتبطت بتصنيع القرب لنقل المياه وحفظ اللبن. أضف إلى ذلك حرفة البناء، وطحن الحبوب، وصناعة الصابون<sup>(٣)</sup>. وكانت هناك حرفة صناعة الحصير وحرفة حياكة النسيج التقليدي من السدو في بادية الكويت.

(١) عبد المالك خلف التميمي: أبحاث في تاريخ الكويت (الكويت: دار قرطاس للنشر، ١٩٩٩)، ص ٩٣. وانظر كذلك علي حسن الحمداني: الحرف اليدوية بين التاريخ والقانون في المجتمع الكويتي القديم من الفترة ١٨٩٦-١٩٥٠ (لندن: دار زيد للنشر، ١٩٩٤).

(٢) H.V.F Winstone., Captian Shakespear; A Portrait, **Op.cit**, p. 119.

(٣) المرجع السابق، ص ص ٩٤-٩٥.

وبالإضافة إلى الأنشطة الاقتصادية السابقة، عرف الكويتيون حرفة الزراعة في القرى، التي كان من أبرزها الجهراء وفيلكا. ففي الجهراء كانت هناك آبار وبساتين وزراعة نخيل، وكان فيها قصران أولهما القصر الأحمر للشيخ مبارك، وثانيهما لخلف باشا النقيب. أما فيلكا فهي جزيرة مأوَّها عذب ومياه الآبار فيها قريبة إلى السطح، وكان فيها مزارع وبساتين جميلة تفتن أبصار ناظرها<sup>(١)</sup>. كما كانت هناك بادية الكويت التي احترف أغلب أبنائها حرفة الرعي، وكان لهم دور بارز في تجارة القوافل<sup>(٢)</sup>.

(١) عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٤٧-٤٨.  
 (٢) انظر إبراهيم الشكلي: البداوة في الكويت. دراسة ميدانية (الكويت: مؤسسة دار الكتب، ط ١، ١٩٨٧). وكذلك محمد الحداد وآخرون: تراث البادية. مقدمة لدراسة البادية في الكويت (الكويت: دن، ١٩٨٧). وانظر أيضاً:

H.R.P. Dickson, *The Arab of The Desert: A Glimpse into Badwin Life in Kuwait and Saudi Arabia* (London: George Allen & Unwin, 1949).



## ثالثاً: الأسواق والنشاط التجاري

ازدهرت أسواق الكويت نتيجة سياسات الشيخ مبارك ومتابعته المباشرة لما يجري فيها، ولما اتخذته من إجراءات في مجالي الضرائب والجمارك مما جعل النشاط التجاري مصدراً مهماً لثروة الكويت<sup>(١)</sup>.

### ١ - الأسواق

كان من عادة الشيخ مبارك أن يقوم بجولة في الأسواق عقب ظهر كل يوم بعربة سوداء جميلة من طراز فيكتوريا يجرها حصانان أسودان. وكان غرض الشيخ من ذلك هو أن يجتمع مع الأهالي أمام المقهى القديم في السوق ليسألهم عن شؤونهم<sup>(٢)</sup>، وليتأكد من أن الأسعار في الحدود المعقولة، وبما يضمن عدم تجاوزها قدرة أكثرية أهالي الكويت. واختلف أسلوب الشيخ في التعامل من حالة إلى أخرى. فأحياناً، استخدم سلطته كحاكم لخفض الأسعار، ولكنه في أكثر الأحيان، وبفهمه لآليات التجارة والحياة التجارية، استخدم أسلوباً اقتصادياً.

(١) انظر رؤية الدبلوماسيين البريطانيين لهذه التطورات في

Records of Kuwait, Vol 4, pp. 615-629.

(٢) ستانلي ماليري: مذكرات د. ستانلي ج ماليري، مرجع سابق، ص ٣٧.

فعلى سبيل المثال، فإنه حين ضج الأهالي من ارتفاع أسعار اللحوم من عشر آتات للوقية إلى اثنتي عشرة آنة، وشكوا إلى الشيخ مبارك، طمأنهم الشيخ واستدعى إليه جميع باعة اللحم «القصاصيب»، وأصدر إليهم أمراً مشدداً بأن يكون سعر أوقية اللحم رويبة وثمان آتات، وإلا فإن المخالف سيتعرض للعقاب الصارم. وفي صبيحة اليوم التالي، فوجئ الأهالي بهذا السعر الغريب فاشتد سخطهم على الشيخ مبارك. وما كادت أخبار الغلاء تنتشر خارج الكويت حتى أخذت آلاف الأغنام ترد إلى الكويت من كل حدب وصوب، ونتج من ذلك انخفاض أسعار اللحوم إلى أقل من المعتاد وعم الرخاء البلد. وحينئذ أدرك الناس ما يقصده الشيخ مبارك من رفع أسعار اللحم، وتذكروا المثل القائل «سوق الغلاب»<sup>(١)</sup>.

ونتيجة اهتمام الشيخ بحماية التجارة من السلب والنهب، وإشرافه المباشر على الأسواق ازدهرت سوق الكويت. ويصف عبد المسيح إنطاكي سوق الكويت في عهد مبارك بقوله «تجارة الكويت هي للوارد والصادر شأن الثغور المهمة وأكثر أهلها من التجار. أما الحركة التجارية في الأسواق فقد رأيتها نامية زاهية حيث كانت الأسواق غاصة بالناس، وقال لي دليل أن الوقت الذي كنا فيه ليس من أوقات المواسم»<sup>(٢)</sup>.

ويضيف رونكيير أن السوق لم تكن فقط مكاناً للتجارة، بل كانت منطلقاً للقوافل إلى الكويت ومنها، وأنه عندما كانت تستعد قافلة للانطلاق يقوم رعاة الإبل مع جملهم بالتجمع في الجزء الجنوبي من السوق ومنه يحمل التجار بضاعتهم إلى الصحراء. ويصف السوق كما شاهدها عام ١٩١٣ بأنها مزدحمة بالناس والبضائع وتتكون من خيام

(١) عبد الله خالد الحاتم: من هنا بدأت الكويت، مرجع سابق، ص ٢٧١.

(٢) عبد المسيح إنطاكي بك: مرجع سابق، ص ص ٥٦١-٥٦٢.

كثيرة مصنوعة من الحصير وأوراق النخيل ترفع على قواعد من الخشب يجلس الباعة تحتها لعرض بضائعهم، وتقع على أطرافها خيام سوداء يقطنها البدو الرحل من أهل الكويت. كما يوجد فيها عمال الشيخ الذين يجمعون الضرائب على البضائع الخاضعة للضريبة. وعلى مقربة من السوق أيضاً كانت سوق الفحم الذي كان يستورد عادة من إيران<sup>(١)</sup>. كما يصف الطيب بنت وسط المدينة وسوقها الكبيرة التي يرتادها العرب من مناطق ومدن مختلفة بأنها سوق نشطة تعتمد العلاقات التجارية فيه على المقايضة أحياناً، وعلى التبادل النقدي أحياناً أخرى. وعندما كان أهل البادية يفتدون إلى السوق، أحسن تجار الكويت معاملتهم، وكانوا يسلمونهم البضائع على سبيل القرض حين يبيعها على أن يُسَدَّد ثمنها في الموسم المقبل<sup>(٢)</sup>.

## ٢- العملات المتداولة

أما في شأن العملات المتداولة في الأسواق، فقد كان التعامل في فترة حكم مبارك يجري بأكثر من عملة، كان منها ما سُمِّي في الكويت وقتذاك «الريال الفرنسي» الذي هو في الحقيقة ريال نمسوي مصكوك من الفضة حمل صورة الملكة تريزا ملكة النمسا، وكان وزنه يوازي نحو روبيتين ونصف من الفضة. ويعتبر هذا الريال أكبر عملة فضوية جرى تداولها في الكويت من ناحية القيمة الشرائية، واستمر استخدامه حتى عشرينات القرن الماضي.

(١) باركلي رونكيير: مرجع سابق، ص ٧٧-٧٨. وكذلك محمد بن إبراهيم الشيباني (إعداد): الكويت كما رأها السياسي الدناركي باركلي رونكيير، مرجع سابق، ص ٢٥-٢٦.  
(٢) خالد البسام (ترجمة وإعداد): القوافل. رحلات الإسرائيلية الأميركية في مدن الخليج والجزيرة العربية ١٩٠١-١٩٢٦، مرجع سابق، ص ٧٤-٧٥.

كما استخدمت عملة «الروبية الثانية» التي سماها الكويتيون باسم «أم بنت» نظراً إلى وجود صورة الملكة فيكتوريا عليها. كما استخدمت عملة «الروبية الثالثة» التي صكت في عهد الملك إدوارد السابع، والتي سماها الكويتيون باسم «أم صلعة» لأن صورة الملك على العملة كانت تظهره وهو أصلع. وشملت هذه العملة نصف روبية، وأربع آنات، و٢ آنة، وآنة واحدة. وعرفت هذه الفئة الأخيرة في الكويت باسم «المتليك» وهي مشتقة من كلمة Metal باللغة الإنكليزية، وتعني المعدن. وجدير بالذكر أن الكمية التي صكت من هذه «الآنة» قليلة مما جعلها من العملات النادرة. وكان يميزها عن غيرها صورة الملك إدوارد السابع عليها مرتدياً التاج. كما عرفت عملة الروبية الرابعة التي سماها الكويتيون «روبية الشايب» وذلك لأن الملك جورج الخامس كان يبدو على العملة كبيراً في السن مطلقاً شاربيه وذقنه. وإلى جانب هذه العملات الفضية، فقد بدأ استخدام أوراق النقد في الكويت عام ١٩١٣<sup>(١)</sup>.

ومع نشوب الحرب العالمية الأولى، واحتلال بريطانيا للبصرة في نوفمبر/ تشرين الثاني بدأ استخدام الجنيهات الذهبية الإنكليزية في أسواق العراق. وتخوفت السلطات البريطانية من احتمال تهريب تلك النقود الذهبية إلى العثمانيين، فأكدت على استخدام الروبية الهندية كأساس للتعامل، وكتب المقيم السياسي كوكس إلى الشيخ مبارك بشأن وجوب التعامل بالروبية ومحاربة تهريب النقود الذهبية. فأجابه الشيخ بأن «معاملات طرفنا مرتبطة بالهند وجميع معاملات طرفنا في الروبية والريال كما هي في الهند ولا يوجد أحد في طرفنا يرسل ذهباً إلى داخل البر قطعاً»<sup>(٢)</sup>.

(١) عادل محمد العبد المغني: دليل معرض العملة الكويتية عبر التاريخ (الكويت: مركز

البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٦)، ص ص ١١-١٧.

(٢) حسين خلف الشيخ خزعل: مرجع سابق، ص ١٦٣.

### ٣- الضرائب والجمارك

لم يكن لدى شيوخ الكويت قبل مبارك موارد مالية منتظمة تستحق الذكر سوى ما كان يصل إليهم من الزكاة التي كانت تجمعها قبائل البادية، والأموال الضئيلة التي تمثل حصيلة ٣٪ من رسم جمركي على بعض الأنشطة. والحقيقة أن هذا الرسم لم يفرضه أحد من الشيوخ، وإنما بادر به التجار مساعدة للشيخ الذي لم تكن تتوافر لديه الموارد الكافية لإدارة شؤون الحكم والبلاد. وفي فترات ما قبل مبارك، فُرضت أيضاً بعض الرسوم على الحوانيت ولكنها كانت تُدفع للحراس الذين كانوا يسهرون ليلاً لحراسة المدينة.

وفي عهد مبارك، ومع ازدياد تجارة الكويت واتساع ثروة تجارها، وازدياد نفقات الجيش ومعاركه، لجأ مبارك إلى فرض بعض الضرائب والرسوم الإضافية، ففرض رسماً إضافياً على الجمارك. وسعى لإقناع التجار بأن ذلك في مصلحتهم، وأنه يستخدم هذه الأموال لحماية التجارة وتأمين طرقها<sup>(١)</sup>.

وفي بعض الأحيان، اختلفت وجهة نظر الشيخ عن التجار. فعلى سبيل المثال، فبعد معركة هدية وحاجة الشيخ مبارك إلى المال لشراء السلاح، فرض مزيداً من الضرائب على تجار الكويت، وخصوصاً تجار اللؤلؤ. وعندما امتنع بعضهم عن دفع الضرائب المقررة، أصدر الشيخ أوامره في عام ١٩١١ بمنع الغوص الذي يعتبر المصدر الرئيسي لنشاطهم، وذلك كوسيلة للضغط عليهم.

اعترض تجار اللؤلؤ على هذا القرار، وسعوا إلى مقابلة الشيخ لإبلاغه بحجم الضرر المالي الذي سوف يقع عليهم، وعلى كل الكويتيين، من

(١) يوسف الشهاب: رجال في تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ٤٢٢.

جراء ذلك لأن نشاط الغوص هو مصدر ثروة الكويت وأساس تجارتها. ولما وجدوا إصرار الشيخ، سارعوا إلى دفع الضرائب المقررة. سارت في هذا الاتجاه غالبية التجار ما عدا ثلاثة منهم وهم هلال بن فجحان المطيري، وإبراهيم بن مضاف، وشملان بن علي، فاستدعاهم الشيخ وأنبهم على رفضهم دفع الرسوم. وخوفاً من رد فعل الشيخ، أجمعوا أمرهم على مغادرة الكويت وتوزعوا ما بين البحرين ومنطقة تدعى جنة في الأحساء.

ترك هذا الأمر أثراً كبيراً في نفس الشيخ الذي كان يدرك قيمة التجارة والتجار لاقتصاد الكويت. فأرسل وفداً لمصالحتهم، لكن الوفد فشل في إقناعهم بالعودة. فقام الشيخ مبارك بإرسال نجله الشيخ سالم حاملاً معه خطاباً من والده يحضهم فيه على العودة، ويطمئنهم داعياً إياهم إلى تناسي ما حدث. ومرة أخرى عاد البعض ولم يعد آخرون. ونصح تجار الكويت الشيخ مبارك بضرورة تدخله شخصياً لإقناع هلال المطيري بالعودة. فسافر الشيخ إلى البحرين في يخته «مشرف» ومعه كل من إبراهيم بن مضاف وشملان بن علي. واعتبر هلال المطيري أن حضور الشيخ هو أكثر من ترضية كافية. وعاد الجميع إلى الكويت وانتهت المشكلة.

كما فرض مبارك ما يماثل في أيامنا «الضرائب العقارية». وهي ضرائب على المنازل تقضي بدفع ثلث قيمة كل بيت عند البيع<sup>(١)</sup>. وهدف الشيخ من ذلك إلى الحيلولة دون إساءة استخدام المنحة التي وفرها لأهالي الكويت، فقد كان الشيخ يقدم الأرض مجاناً للكويتيين لبناء مساكن لهم ولأسرهم بناءً على حاجاتهم. وحتى لا تُستغل تلك المنحة «تجارياً» ولأغراض الكسب، فرض الشيخ هذه الضريبة.

(١) عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٨٩.

واهتم الشيخ مبارك بتنظيم شؤون الجمارك، فأسس في مايو/ أيار ١٨٩٩ دائرة الجمرك بعد توقيعه معاهدة الحماية مع بريطانيا بعدة شهور، وكانت هي الإدارة الحكومية الوحيدة حتى عام ١٩٢١. وكان موقع الجمرك أمام درواسة نايف في سور الكويت القديم، وكانت بوابة الجمرك من الداخل بقرب البوابة من ناحية المدينة. وكان العمل في الجمرك يبدأ من الساعة السادسة والنصف صباحاً أو السابعة حتى الثانية عشرة ظهراً، ثم من الساعة الثانية حتى غروب الشمس. وكانت الجمارك تفرض على الواردات مثل الإبل والأغنام والجلود والبضائع الآتية من العراق. وفي مايو/ أيار ١٨٩٩، فرض الشيخ رسوماً قدرها ٥٪ على جميع ما يرد إلى الكويت من سلع وبضائع بما فيها تلك الآتية من الموانئ العثمانية، والتي كانت حتى ذلك الوقت معفاة من الجمارك إعفاءً كاملاً. وأخذ هذا الرسم يزداد تدريجياً إلى أن بلغ ١٠٪ على بعض السلع. وجاء رد الفعل العثماني في ٢٥ أغسطس/ آب ١٨٩٩، عندما أرسل حمدي باشا والي البصرة رسالة إلى الشيخ مبارك يبلغه فيها أنه من الضروري «وجود رئيس ليمان (ميناء) بطرف الكويت للنظارة (الإشراف) على السفن المترددة الى ذلك الطرف، وأنه قد تم تعيين رئيس ليمان البصرة حسن أفندي رئيساً على ليمان الكويت». ورد عليه الشيخ مبارك بتاريخ ٢ سبتمبر/ أيلول، وهو وقت وصول حسن أفندي ورافقه خمسة جنود، بأن الكويت «لا تستقبل سفناً أجنبية وأن هذا المحل أهله وحشيين (أي أحرار) وسفائتهم تراجع إدارة ليمان البصرة فلا معنى لتغيير ما جرت عليه العادة من قبل»<sup>(١)</sup>. وعندما وصل حسن أفندي ورفاقه إلى الكويت، رفض الشيخ استقبالهم، وأمر بمغادرتهم الكويت في اليوم التالي. وكان في هذا الإجراء ما يشير إلى

(١) عبد الله يوسف الغنيم (تحرير وتقديم): أخبار الكويت...، مرجع سابق، ص ٤٩.

ثقتة بنفسه ومعرفته بدعم السلطات البريطانية له. كما فرض الشيخ رسوماً جمركية على القوافل التي كانت تدخل أراضي الكويت، وقدرت هذه الرسوم وفقاً لحجم كل قافلة. ثم أخذ هذا الرسم يزداد حتى وصل إلى ١٠٪ على بعض الأصناف من الأنشطة التجارية. وفي مقابل ذلك، قدم الشيخ تسهيلات كبيرة للتجار منها إنشاء مخزن كبير مبني بالحجارة لحفظ بضائعهم حين استلامها وتفريغها، وتوفير الحراسة اللازمة لحمايته. كما رُفعت رسوم التصدير والاستيراد على البضائع والسلع التي تنقل عن طريق البر<sup>(١)</sup>.

وعام ١٩٠٤، فرض ضريبة على الواردات من البنادق بمعدل دولار على كل بندقية ارتفعت في عام ١٩٠٧ إلى ستة دولارات. وفي عام ١٩٠٩ زيدت، مرة أخرى، الضرائب على الواردات وخصوصاً الشاي والقهوة.

(١) ج ج لوريمر: دليل الخليج، ج ٣، مرجع سابق، ص ص ١٥٦٦-١٥٦٧.

---

## رابعاً: مزارع التمور في الفاو

إلى جانب تنظيم الحركة التجارية ، فقد اهتم الشيخ أيضاً بتنمية مزارع النخيل المملوكة لآل صباح في منطقة الفاو، وذلك كمصدر إضافي لدخل الكويت يستطيع أن يستخدمه لمواجهة متطلبات الحكم. وكانت هذه البساتين في منطقة الفاو والصفوية على شط العرب، وكذلك في كوت الزين وهي جزيرة بالقرب من المحمرة، وجزيرة العجيراوية، ومناطق كردلان والدواسر.

يوضح هذا ما ذكره الشيخ إلى عبد المسيح إنطاكي خلال زيارة له لإحدى مزارع النخيل في الفاو في عام ١٩٠٧ عندما شرح له «كيفية زراعة النخيل وكيف يعنون باستثماره، وأن هذا النخيل لم يكن ذا فائدة قبل أن تمتد أيدي الأجانب إليه فجعلوا يتسوقونه ويوضّبونه في «العلب» ويرسلونه إلى جهات أوروبا وأميركا فأصبح مورد ثروة كبرى لأهالي البلاد»<sup>(١)</sup>.

واشترى الشيخ الأراضي في هذه المنطقة حتى أصبح دخل مزارع الفاو يمثل بنداً دائماً في ميزانيته. وسعى بعض ولاة البصرة إلى استخدام هذه المزارع كأداة للضغط على الشيخ من الناحية الاقتصادية. فعندما أراد

---

(١) عبد المسيح إنطاكي بك: مرجع سابق، ص ٦٤٠.

تسجيل بعض الأراضي التي كان قد اشتراها من عائلة الزهير بالبصرة ومن سعدون باشا باسمه في دائرة تسجيل الأملاك (الطابو)، اعترض على ذلك والي البصرة عبد الرحمن حسن بك بحجة أن الشيخ مبارك لا يحمل جنسية عثمانية، وذلك على رغم معرفة الوالي بأن جميع القبائل العثمانية لم تكن تحمل الجنسية. ومع أن الشيخ أرسل العديد من الخطابات إلى إسطنبول، فإنها ذهبت أدراج الرياح.

وفي ديسمبر/ كانون الأول ١٩٠١، أصدرت محكمة البصرة حكماً غيابياً على الشيخ بأن يسلم الأراضي الواقعة في ضيعة الزين لأبناء أخويه. وبناء على طلب الشيخ، أمر السلطان بتشكيل لجنة لحسم الخلاف حول ممتلكات الشيخ في البصرة، وضمت هذه اللجنة كلاً من حاجي منصور ممثلاً للشيخ مبارك، وعبد الوهاب القرطاس ممثلاً للسلطات العثمانية، ومستر كراو القنصل البريطاني في البصرة. وقضت اللجنة بأن جميع الأملاك الموجودة في منطقة الفاو هي ملكية خاصة ومطلقة للشيخ مبارك على أن تؤول الأراضي الأخرى إلى أبناء أخويه. وأرسل قرار اللجنة بصفة رسمية إلى البصرة في ١١ يوليو/ تموز ١٩٠٤، فاعتمدها والي البصرة ومجلس الولاية، وصدق القنصل البريطاني عليه استجابة لطلب الشيخ مبارك.

وفي ٢٨ مايو/ أيار ١٩٠٢، ألقت السلطات العثمانية القبض على عبد العزيز بن سالم البدر وكيل الشيخ في البصرة، وذلك بتهمة مراسلة جريدة «الخلافة» التي كانت تصدر في كلكتا لندن، والتي حظرت الحكومة العثمانية دخولها أراضيها لأنها تحرض ضد سياساتها، كما استولى البوليس العثماني أثناء تفتيش منزله على حجج أملاك الشيخ الموجودة بالعراق. وعندما عرف الشيخ بالخبر، أبرق إلى الوالي مستفسراً عن سبب القبض على وكيله. وأجاب الوالي بأن القبض قد حصل بناء على مرسوم من

السلطان، وجرت محاكمته، وعاقبته المحكمة بالسجن لمدة عشر سنين. وظل وكيل الشيخ مسجوناً حتى أفرج عنه عام ١٩٠٥ نتيجة تدخل السلطات البريطانية لتقليل مدة سجنه. وسمح له بالسفر إلى الكويت ثم العودة للإقامة تحت المراقبة في العراق<sup>(١)</sup>.

وعام ١٩٠٥، أقدك الجنود العثمانيون على كسر سدود المياه في الفاو لإلحاق الضرر بأراضيه، فأرسل الشيخ إلى والي البصرة خطاباً بهذا الشأن. وفي فترة ولاية محرم بك للبصرة، ادعى الوالي بأن مزارع النخيل التي اشتراها الشيخ لا تعود إليه بل إنه اشتراها نيابة عن الحكومة البريطانية. وفي هذه الفترة، تدخل المقيم السياسي البريطاني كوكس لدى والي البصرة لعدم مضايقة الشيخ في أملاكه<sup>(٢)</sup>.

ولم تتوقف الخلافات بين الشيخ مبارك والسلطات العثمانية، ففي عام ١٩٠٦ عندما اشترى الشيخ من سعدون باشا شيخ المنتفق جزءاً من أراضيه الموجودة في منطقة أم الغرب بمبلغ ثمانية آلاف ليرة عثمانية، رفضت السلطات العثمانية في البصرة تسجيل هذه الأراضي باسمه في الطابو بحجة أنه ليس عثمانياً ولا يمتلك الوثائق العثمانية التي تبين تبعيته للدولة. وترتب على ذلك امتناعها عن تسجيل ملكيته لهذه الأراضي باعتباره أجنبياً ما لم يقيم بتسجيل نفسه وأعضاء أسرته في «سجل النفوس العثماني». وهو ما رفض الشيخ مبارك القيام به<sup>(٣)</sup>.

وإزاء هذا الرفض، قامت السلطات العثمانية بالاعتداء على أراضي الشيخ وبساتينه. ووقعت بعض الحوادث المدبرة مثلما حدث في منتصف

(١) ج ج لورييمر: دليل الخليج: ج ٣، مرجع سابق، ص ص ١٥٤٨-١٥٤٩، ١٥٦٠.

(٢) حسين خلف الشيخ خزعل، مرجع سابق، ص ص ٧٩-٨٠.

(٣) د. جمال زكريا قاسم: الخليج العربي. دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠-١٩١٤، مرجع سابق، ص ٢٨٩.

عام ١٩٠٧ عندما هدم الجسر الذي يفصل بين ممتلكات الشيخ في الفاو وبين القلعة العسكرية العثمانية المجاورة لأراضيه. تخوف الشيخ من هذا التطور، وخشي من ضياع أملاكه، وطلب من السلطات البريطانية التدخل لوقف الاعتداء على حقوقه وممتلكاته. ونتيجة لذلك، أصلحت السلطات الحربية العثمانية الجسر وأعادته إلى ما كان عليه.

أعاد الشيخ الكّرة في ديسمبر/ كانون الأول ١٩٠٨، عندما تقدم بطلب لتسجيل أملاكه الزراعية في منطقة الفاو والمناطق المحيطة به. وللمرة الثانية لم يوافق والي البصرة على التسجيل إلا بعد حصول الشيخ على الجنسية العثمانية وتقديم الأوراق الرسمية التي تثبت ذلك<sup>(١)</sup>.

وتتضمن وثائق الوكالة البريطانية بالكويت خطاباً من الشيخ مبارك إلى المقيم السياسي كوكس في بوشهر. وحسب نص الخطاب المؤرخ في ٥ يونيو/ حزيران ١٩١٠، أفاد الشيخ فيه بقدم كل من أحمد باشا الزهير وعبد الوهاب باشا القرطاس إلى الكويت لإتمام صفقة بيع أراضي بمنطقة الفدايحة، وأنه أرسل مبعوثه عبد العزيز السالم إلى والي البصرة لإخباره بهذه الصفقة، وطلب من والي البصرة قياس الأرض. وكان رد والي البصرة أنه تلقى أوامر من إسطنبول تفيد بتأجيل البيع حتى إشعار آخر، وأنه يمكن تسجيل العقد إذا ما كان باسم أبناء الشيخ بشرط حصولهم على الجنسية العثمانية، وهو ما رفضه الشيخ الذي طلب من المقيم السياسي التدخل في هذا الموضوع بأسرع وقت، ولا سيما أن والي البصرة قد طلب العوائد المقررة عن الأرض عن السنة الماضية من الملاك الأصليين لها وليس منه، مما يعني عدم اعتراف السلطات العثمانية

(١) أشرف محمد عبد الرحمن، تاريخ العراق السياسي من نهاية حكم مدحت باشا إلى قيام حكم الاتحاديين ١٨٧٢-١٩٠٨ (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة عين شمس، ١٩٩٣) ص ٣٢٦-٣٣٠.

بملكيته للأرض وما قام به من إصلاحات فيها. وذكر الشيخ للمقيم السياسي بأنه حسب المعاهدة المبرمة بين الطرفين، فإن بريطانيا ملتزمة بحماية أمواله<sup>(١)</sup>. ورد عليه كوكس في ٧ يونيو/ حزيران يفيد بأنه رفع الموضوع إلى الحكومة الإنكليزية بالتلغراف، وأنه سوف يخبره بالرأي حال وصوله.

ويبدو أن السلطات العثمانية أرادت أن تخلق مشكلة جديدة له، فأرسل سليمان نظيف والي البصرة إلى الشيخ مبارك بتاريخ ١٢ يونيو/ حزيران ١٩١٠ خطاباً يشير فيه إلى أن العقد المبرم بين الشيخ ومحرم باشا والي البصرة السابق كان ينص على أن البيعة لمصلحة الأخوة الأربعة الكبار من أبناء مبارك، وأن الشيخ طلب تعديل المستفيد من البيع ليكون ابنه ناصر وهو ما لا يحق له الآن، وأنه ينبغي ترك ما نص عليه بخصوص أملاك الفدايجة كما هو. كما عبر الخطاب عن استياء والي البصرة من الشيخ مبارك بسبب ما تردد من اتهامات لبعض أتباع الشيخ بالهجوم على أهالي الزبير. وفي ٢٩ يونيو/ حزيران أرسل وكيل الشيخ في البصرة خطاباً يفيد فيه بورود أخبار عن عدول أحمد باشا الزهير عن البيع وإجراء القياسات اللازمة بحجة أن القيمة التي عرضها الشيخ أقل من الواقع<sup>(٢)</sup>.

وفي ٢٤ يوليو/ تموز أرسل الوكيل السياسي شكسبير إلى المقيم السياسي كوكس يخبره فيه بأن الشيخ مبارك استدعاه لكي يطلعه على خطاب من وكيله في البصرة، وكذلك على خطاب من شخص «اعتبره من أكثر الرجال نفوذاً في البصرة» وطلب منه المحافظة على سرية اسمه. وتضمن الخطاب الموضوعات الآتية:

١ - رغبة أحمد باشا الزهير العائد لتوه من إسطنبول في النكوص عن

(١) Kuwait Political Agency, Arabic Documents, Op.cit, pp 101-108.

(٢) Ibid, pp. 120-122.

بيع أراضي الفدايحة للشيخ بحجة أن المقاييس غير دقيقة أو أن الثمن غير مناسب. وأضاف شكسبير أنه أيا تكن الحجة، فإنه من الواضح أنه سوف يُعاد فتح الموضوع، وسوف يجد الشيخ مبارك نفسه غير قادر على الوقوف أمام محكمة تركية «للدفاع عن حقه العادل».

٢- وأخبر الشيخ شكسبير أن المسار الذي يأخذه أحمد باشا لا بد أنه يحظى بتأييد الوالي، وربما كان الوالي هو الذي طلب منه تبني ذلك الموقف، وذلك لإجبار مبارك على قبول الجنسية التركية، وعلى استنزافه مالياً. وأضاف شكسبير أن فكرة إعلان أن البيع الذي تم لمبارك غير سليم، وإعادة المبلغ الذي دفعه الشيخ له، توضح ما تفكر فيه السلطات العثمانية، خاصة أن مباركاً دفع منذ مدة، على الأقل منذ عام ونصف العام، المبلغ بأكمله. كما تحمّل مبالغ كبيرة لتحسين أساليب الري والزراعة، وتشيد بعض الأبنية.

٣- تكشف الرسائل السرية الموجودة لدى الشيخ مبارك أن أحمد باشا الزهير ويوسف المنديل وسيد طالب (ابن النقيب) يقدمون معلومات خاطئة لوالي البصرة عن الشيخ. وأن أمامهم فرصة كبيرة للحصول على أموال مكافأة لهم على القيام بهذا العمل. وحسب رأي الشيخ، فإن والي البصرة سيصدق هذه الافتراءات لأنها صادرة من أناس معروفين ومهمين (منهم اثنان أعضاء في البرلمان). وكما قال الشيخ بصدق، إن الوالي المهياً لاتهام مبارك بالتعاون مع الإنكليز سيصدق هذه الادعاءات على رغم عدم صحتها في الواقع.

وأضاف شكسبير إن الشيخ مبارك محق في تخوفاته، وإنه على ثقة من

- أن القنصل البريطاني في البصرة سوف يصدق ما يقوله هؤلاء الأشخاص الثلاثة من إدعاءات ضد الشيخ.
- ٤- ذكر شكسبير أن الشيخ كان صريحاً معه، وأنه شعر بالقلق والتخوف من التحركات العثمانية، وأنه قاوم كل محاولات الوالي لتسجيل أبنائه كرعايا عثمانيين.
- ٥- وأضاف شكسبير أنه نصح الشيخ مبارك بأن يكون حريصاً في تعامله مع والي البصرة الذي يقوم بهذه التحركات في الوقت الذي يتودد فيه للشيخ، وأنه من غير المناسب استفزازه وكسب عدائه الصريح، وأكد له الشيخ أنه لن يسجل نفسه وأولاده كرعايا عثمانيين من دون موافقة بريطانية، وأنه يتطلع إلى الحكومة الإنكليزية لمساعدته في حل هذه المشكلة.
- ٦- ذكر شكسبير أن الشيخ طلب نصيحته بشأن الأسلوب الذي يتبعه إذا قام أحمد باشا الزهير بإرسال رجاله للسيطرة على الأرض سواء بمفردهم أو بمعاونة ضباط أتراك. وكانت نصيحة شكسبير هي التحذير من اللجوء إلى القوة، وأن على الشيخ توجيه رجاله في المنطقة بأن عليهم كسب الوقت ومعاملة هؤلاء الرجال بكرم وحسن وفادة، وإخبارهم بأنهم مجرد عمال لا يملكون سلطة اتخاذ قرار، وأنه ليس لديهم أوامر من الشيخ، وأن ينصحوا هؤلاء الرجال بمخاطبة الشيخ مبارك مباشرة. وأفاد شكسبير بأن الشيخ اقتنع بهذا الرأي وأرسل به إلى عماله في المنطقة.
- وختم شكسبير خطابه إلى المقيم السياسي بأن الشيخ مباركاً طالبه بسرعة رد الحكومة البريطانية. ولم ينتظر الشيخ مبارك، ففي ١٣ يوليو/ تموز ١٩١٠، أرسل خطاباً للمقيم البريطاني كوكس أشار فيه إلى أن المشكلات التي يواجهها لتسجيل أراضي الفدايحة التي اشتراها هي جزء

من سعي السلطات العثمانية للضغط عليه وابتزازه، وأن والي البصرة طلب منه مد خط تلغراف وهو ما رفضه. وطلب الشيخ منه سرعة اتخاذ القرار<sup>(١)</sup>.

كانت توقعات الشيخ صحيحة، فهو قد اشترى الأرض من أحمد باشا الزهير بشكل قانوني، ودفع له كامل الثمن. كما أنه استلمها وقام أتباعه بزراعتها، ولم يكن لدى البائع - أحمد باشا الزهير - أي تحفظ أو اعتراض على ملكية الشيخ مبارك لهذه الأرض. يؤكد ذلك الخطاب الذي أرسله أحمد باشا الزهير إلى الشيخ في ١٣ سبتمبر/أيلول ١٩١٠ الذي هنأه فيه بحلول شهر رمضان المبارك وذكر فيه «أنا بعت عليكم وأنتم اشتريتوني مني». ولكن السلطات العثمانية لا تعترف بذلك بدعوى أن «الأراضي التي تدعون بيعها هي مجهول بيعها في قيوداتنا». وأنهم على أساس ذلك يطالبونه بدفع العوائد والرسوم المقررة على الأرض، وأنه يكتب هذا الخطاب إلى الشيخ مطالباً إياه بدفع هذه الرسوم باعتباره المالك الحقيقي للأرض، وذكر في خطابه «فقيت مضطراً إلى أن ادفع ميااري الفداغية المبيوعة لكم. فأرجو من سعادتكم أن تحولوا لي المبلغ المذكور لأسد الميري وأرسل القوجانات التي سأخذها إلى الحكومة وأظهرها باسمكم وهذا شي ضروري»<sup>(٢)</sup>. وفي العام نفسه، وفي أعقاب معركة هدية، باع الشيخ مبارك تمور مزارعه في الفاو في الهند، واشترى بثمنها سلاحاً وعتاداً.

ويبدو أن موضوع تسجيل أملاك الشيخ انتهى نهاية طيبة، وذلك بعد أن قدّم الشيخ المساهمات المالية للدولة العثمانية في عدد من المناسبات التي أشرنا إليها في الفصل الأول من الكتاب، والتي كانت ثمرتها، بعد

Ibid, pp. 123-127. (١)

Ibid, p 128. (٢)

تبرع الشيخ السخي لدعم حرب الدولة العثمانية في البلغار، خطاب وكيل والي البصرة عام ١٩١٢ إلى الشيخ يعلمه فيه بورود أمر من الباب العالي يسمح له بتسجيل أملاكه في دائرة الطابو «وإعطائكم الأوراق الخاقانية على الأصول كأمثالكم من العشائر العثمانية. وعليه فقد أجرينا هنا التبليغات اللازمة لمن يقتضي من الدوائر هذا». ونتيجة لذلك، باشر الشيخ مبارك بتقديم أوراقه لتسجيل أملاكه<sup>(١)</sup>.

وعادت مضايقات السلطات العثمانية للشيخ مع ظهور نذر الحرب العالمية الأولى، وما أشيع في البصرة من أن الشيخ مباركاً سوف يدعم الحكومة الإنكليزية عندما تهاجم قواتها المدينة. وحسب ما يذكر حسين خلف الشيخ خزعل أنه «أصدرت ولاية البصرة أمرها بحجز أملاك الشيخ مبارك التي بالفاو مدعية بأنه لم يدفع عنها الرسوم الأميرية المستحقة». فأرسل الشيخ خطاباً إلى قائم مقام الفاو خالد باشا يخبره فيه بأن السلطات لم تطلب هذه الرسوم الأميرية، وأن الأموال موجودة لدى وكيله عبد العزيز سالم، وهو على استعداد لدفعها في أي وقت تحدده الحكومة العثمانية.

وعلى الرغم من هذا الموقف العثماني، فقد كان الشيخ حريصاً على إبقاء حبال المودة، فأرسل إلى صبحي بك والي البصرة رسالة تهنئة بمناسبة عيد الأضحى المبارك. وعندما دعت السلطات العثمانية أهالي البصرة إلى التبرع بالتمور لتموين جيوشها، وطلب صبحي بك من الشيخ مبارك أن يتبرع بمقدار «ثلاثة آلاف مناً» من التمر، نفذ الشيخ مبارك طلبه<sup>(٢)</sup>.

ولعل مضايقات السلطات العثمانية المستمرة للشيخ مبارك وعماله ومعرفة الإنكليز بذلك، هو ما يفسر ورود المادة التاسعة من الاتفاق

(١) حسين خلف الشيخ خزعل: مرجع سابق، ص ٨٩.

(٢) المرجع السابق، ص ص ٩٥-٩٧.

الانغلوعثماني الموقع في ٢٩ يوليو/ تموز ١٩١٣ بشأن حقوق شيخ الكويت في أملاكه بولاية البصرة. ونصت المادة على حق الشيخ وحرية التامة في التصرف فيها وفقاً لقواعد القانون العثماني، وأن تخضع للضرائب والنظم العثمانية.

وتوضح الصفحات السابقة حجم التغير الذي شهدته الحياة الاقتصادية والتجارية في عهد الشيخ مبارك، والذي تضمن تنظيم الأسواق ورواجها، وتنشيط حركة التجارة من الكويت وإليها، وحرص الشيخ على مصالح تجار الكويت وحمايتهم، وتأمين طرق التجارة البرية والبحرية. وكان تقييم لوريمر لهذه الأوضاع بأنه «كان واضحاً أنه ما من أحد يستطيع إدارة شؤون الكويت الداخلية أفضل من الشيخ مبارك»<sup>(١)</sup>. لقد أدرك الشيخ أن رواج التجارة يرتبط بتحقيق الأمن والاستقرار في الكويت، وفي المناطق المحيطة بها، مما دفعه إلى اتباع سياسة إقليمية نشطة لتحقيق ذلك، وهو ما سوف نشرحه في الفصل التالي من الكتاب.

(١) ج ج لوريمر: دليل الخليج، ج ٣، مرجع سابق، ص ١٥٦٦.

---

## الفصل الرابع

# العلاقات الإقليمية وتوظيف الموارد السياسية

كان مبارك داهية استفاد الكثير من ممارسة الحكم والسلطة. رصيناً، نافذاً لجوهر الأمور يحسب لها حسابها، ذا خبرة، بارعاً يتقن فنون المناورة، ديبلوماسياً من الصعب اصطیاده، وحاكماً مشهوداً له بالقوة. كان يعرف ما يريد. فلم ينل منه السلطان العثماني سوى احترام الخلافة، فقد كان مبارك مصمماً على الاحتفاظ باستقلال الكويت وحكمها.

الكاتب البريطاني ارمسترونغ:

سيد بلاد العرب



---

## الفصل الرابع

# العلاقات الإقليمية وتوظيف الموارد السياسية

كانت مرحلة حكم مبارك فترة تحول كبرى امتلأت بالصراعات والتحولات السياسية الإقليمية والدولية. كانت هناك صراعات بين شیوخ إمارات الخليج، ومن أهمها الصراع المبر في قلب شبه الجزيرة بين آل رشيد وآل سعود يدور حول السيطرة على نجد. وألقى التنافس الأوروبي على الخليج بظلاله على هذه الصراعات الإقليمية. وعلى رغم أن فترة حكم الشيخ مبارك كانت مليئة بالأعمال العسكرية، استباقاً لخطر محتمل أو مواجهة لاعتداء قائم، فإن الشيخ، وخلافاً لما كان متبعاً في عهده، لم يجدد سور الكويت القديم أو يبن سوراً جديداً. وعندما سأله الطبيب ماليري الذي كان يعمل في المستشفى الأميركي في الكويت: لماذا لم تبن سوراً حول الكويت، كان جوابه «أنا السور»<sup>(١)</sup>.

وسجل مراسل جريدة الأهرام المصرية في مسقط في ١٦ سبتمبر/ أيلول

---

(١) ستانلي ماليري: مذكرات د. س ستانلي ج ماليري (ترجمة محمد غانم الرميحي وباسم سرحان) تحت عنوان الكويت قبل النفط، مرجع سابق، ص ٢٨.

١٩٠٤ أن «الشيخ مبارك شيخ الكويت هو صديق حميم لجميع مشايخ العربان الضارين على طريقي الجزيرة العربية والعراق. وهو أيضاً الذي يمد جميع المشايخ الثائرين حتى ٥٠٠ كلم بكل ما يحتاجون اليه من السلاح والذخائر والمؤن».

---

## أولاً: نمط المراوحة بين الصراع والتحالف: العلاقة مع أمراء نجد

اتسمت العلاقات بين نجد والكويت بالتوتر والعداء في السنوات السابقة لتولي مبارك الحكم، وارتبط ذلك بالصراع بين آل سعود وآل رشيد حول حكم نجد. فعندما نجح عبد العزيز بن متعب آل رشيد في تقويض أركان الدولة السعودية الثانية وهزيمة آل سعود في معركة المليدة عام ١٨٩١ واحتلال عاصمتها في الرياض، اضطر الإمام عبد الرحمن الفيصل إلى مغادرة نجد، فعاش لفترة في قطر، ثم ذهب بعدها إلى الكويت انتظاراً لفرصة مناسبة لإحياء حكمه مصطحباً معه ابنه عبد العزيز، وكان عمره آنذاك ثماني سنوات.

وفي الكويت، نشأ الأمير عبد العزيز في ظل رعاية الشيخ مبارك الذي اهتم به شخصياً، وأشركه معه في كثير من الأمور مما أكسب الأمير الشاب خبرة ومهارة متميزتين. فيذكر خير الدين الزركلي أن الكويت كانت المدرسة الأولى للأمير التي تلقى فيها فنون ممارسة السياسة العملية، وأن «أيام الشيخ مبارك المليئة بالمناورات والمحاورات كانت تنطبع مقدماتها ونتائجها في ذهن عبد العزيز. وقد اشترك في بعضها حين أنس فيه مبارك صفات الأملعي اللبق. فقربه منه وفسح له المجال لحضور مجلسه والاستماع إلى أحاديثه مع ممثلي الحكومات الإنكليزية والروسية

والألمانية والتركية»<sup>(١)</sup>. ويضيف مؤلف آخر «أن مجالس الشيخ كانت بالنسبة إلى الشاب عبد العزيز مدرسة تضم، مما يدور فيها من أحاديث، خبرة وتجارب في طريقة التعامل مع العرب ومع الأجانب»<sup>(٢)</sup>. ففي مجلس الشيخ مبارك، التقى عبد العزيز «رجالاً من مختلف الأقطار والأديان: تجاراً ومساهمين في شركات، وعملاء بورصة، وصيارفة وموظفين، ورجال سياسة ومغامرين وعملاء للدول الكبرى»<sup>(٣)</sup>.

ويضيف ديكسون في كتابه عن تاريخ نجد أن ما قام به الشيخ مبارك كان له الفضل الأكبر في تنشئة الأمير عبد العزيز سياسياً على النحو الذي تمت به<sup>(٤)</sup>. ففي الكويت، اطلع عبد العزيز على الأوضاع السياسية المحلية والدولية، وتعرف من خلال مجلس الشيخ مبارك على سياسات بريطانيا في الخليج، وكذلك على سياسات الدول الأخرى المنافسة. كما ارتبطت علاقات التوتر والصراع بموقف آل رشيد المدعم لجهود يوسف الإبراهيم ضد الشيخ. فقد استغل يوسف الإبراهيم هذا الوضع لتشجيع آل رشيد، والتعاون معهم لغزو الكويت. وفي سبيل تحقيق ذلك، جرى التنسيق بين محمد بن عبد الله آل رشيد والشيخ جاسم بن ثاني أمير قطر للهجوم على الكويت، وهو ما لم يتحقق بسبب وفاة الأول عام ١٨٩٧. واستمرت علاقات العداء بين الشيخ مبارك وأمراء آل رشيد. لذلك،

(١) خير الدين الزركلي: الوجيز سيرة الملك عبد العزيز (بيروت: دار العلم للملايين)، ص ٢١.

(٢) جبران شامية: آل سعود. ماضيهم ومستقبلهم (لندن: دار رياض الريس)، ص ٩١.

(٣) بنوا نيشان: عبد العزيز آل سعود. سيرة بطل ومولد مملكة. نقله إلى العربية عبد الفتاح ياسين (بيروت: دار الكاتب العربي، دت)، ص ٦١.

(٤) H.R.P. Dickson, *Kuwait and her Neighbours* (London, George Allen & Unwin 1956) p. 136.

كان تفكير الشيخ في ضرورة إنهاء هذا المصدر الدائم لتهديد بلاده، الذي تحقق بدعمه لآل سعود من أجل استعادة ملكهم في الرياض، وهو ما تحقق في ١٥ يناير/ كانون الثاني عام ١٩٠٢ بدخول الأمير عبد العزيز مدينة الرياض. وبسيطرة آل سعود على الرياض، بدأت مرحلة من التحالف بين الكويت ونجد كانت له مظاهره العسكرية والسياسية والشخصية. وتمثل هذا الجانب الأخير في العلاقة الإنسانية التي ربطت بين الشيخ والأمير. فكان الشيخ مبارك ينادي الأمير عبد العزيز بكلمة «ولدي»، ويرد عليه الثاني بلقب «والدي». ولكن أمور السياسة وتدافعاتها لا تبقي شيئاً على حاله، فبدأت بعض الخلافات في الظهور بين «الولد» و«والده» نتيجة اختلاف المصالح السياسية، والاقتصادية، ولكنها لم تصل أبداً إلى حد الخلاف أو الصراع العلني.

لقد اتسمت السنوات الممتدة من ١٨٩٧-١٩٠٦ بحالة من العداء بين الأمير عبد العزيز بن متعب آل رشيد الذي تولى إمارة حائل خلفاً لعمه محمد بن عبد الله آل رشيد وبين الشيخ مبارك. وكانت الدولة العثمانية تشجع ابن الرشيد ضد الشيخ، وهو الأمر الذي دعمه تشجيع مماثل من يوسف الإبراهيم الذي لم يتوقف عن استخدام أي وسيلة لتقويض حكم مبارك.

في مواجهة ذلك، سعى مبارك إلى التفريق بين هذه الأطراف وإيجاد أسباب التنافس في ما بينها. فكسب صداقة متصرف الأحساء موعراً صدره ضد جاسم بن ثاني، ومنتهاً إياه بعدم الولاء للدولة العثمانية. وكان من شأن ذلك، أن أرسل والي البصرة سفينة لعقابه. ورد أمير قطر على ذلك بتشجيع ابن الرشيد على احتلال الكويت واعداء إياه بالدعم العسكري. ومع توتر العلاقات بين الشيخ مبارك والدولة العثمانية عام ١٨٩٩، أدرك ابن الرشيد أن إعلان العداء للشيخ مبارك سوف يجني من ورائه

دعم إسطنبول وتأييدها، وأن الدولة العثمانية يمكن أن توفر له السيطرة على ميناء الكويت حتى يكون لنجد منفذ بحري تستطيع من خلاله تنشيط تجارتها<sup>(١)</sup>. وبدأ ابن الرشيد في الاستعداد لمهاجمة الكويت عام ١٩٠٠ منتهزاً في ذلك الواقعة التي حدثت بين بعض رجال مبارك وعدد من تجار حائل، والتي ترتب عليها قتل بعض هؤلاء التجار.

كان الجيش الكويتي بقيادة الشيخ حمود الصباح والشيخ سالم الصباح يربط على الحدود الكويتية النجدية. وقبل أن يتحرك جيش عبد العزيز بن رشيد، قام الجيش الكويتي بالهجوم عليهم، وهزمهم هزيمة كبيرة أدت إلى عدول ابن الرشيد عن مهاجمة الكويت. وقاد جيشه نحو شيخ المنتفق سعدون باشا المنصور ليثأر منه عما وقع من قبيلته من تجاوزات، وأيضاً بسبب تأييده لشيخ الكويت، وهزمهم واستولى على كثير من أموالهم.

استنجد سعدون باشا بالشيخ مبارك طالباً منه النجدة، فجهز له جيشاً سار باتجاه السماوة داخل العراق بقيادة الشيخ حمود وابنه سالم. وسار الشيخ مبارك بجيش آخر على طريق الزبير، وكان يرافقه الأمير عبد العزيز بن سعود وشقيقه الأمير سعد. وعند وصوله إلى الخميسية، تلقى رسالة من محسن باشا والي البصرة يطلب منه فيها التوقف عن قتال ابن الرشيد، ويدعوه للحضور لمقابلته في الزبير. لم يكن أمام الشيخ مبارك سوى الاستجابة لطلب والي البصرة (ووصلته أيضاً برقية من مشير بغداد بالطلب نفسه) فعاد إلى الزبير لمقابلة محسن باشا متظاهراً أمامه بالولاء للسلطان العثماني، بعدما كان قد أمر جيشه باقتفاء أثر ابن الرشيد والاشتباك مع قواته. وبالفعل، تمكنت القوات الكويتية من

(١) جمال زكريا قاسم: الخليج العربي. دراسة لتاريخ الإمارات العربية، مرجع سابق، ص ص ٢٦٨-٢٦٩.

اللاحق بجيش ابن الرشيد، ودارت معركة قصيرة هزمت فيها قوات ابن الرشيد<sup>(١)</sup>.

أخذ حمدي باشا والي البصرة يحرص ابن الرشيد على مهاجمة الكويت، ووعده بالمساندة بالمال والسلاح، بل ووعده بحكم الكويت إذا تم الاستيلاء عليها. وفي مجال تشجيعه، أكد له أن الإنكليز لن يتدخلوا في خلاف داخلي في المناطق التابعة للسلطان العثماني. ومن جهته، كان ابن الرشيد يتطلع للسيطرة على الكويت باعتبارها مركزاً نشطاً للتجارة الآتية من نجد، وكذلك من مختلف بلاد العرب. كما قدر أن سيطرته على الكويت سوف تجلب لخزنته مصدراً كبيراً من حصيلة الجمارك المفروضة على البضائع والسلع. أضف إلى ذلك كله، أن امتداد نفوذه إلى الكويت سوف يفقد أعداءه من آل سعود أي أمل في استعادة حكمهم، وسوف يقضي على مبارك.

استمرت العداوة بين مبارك وابن الرشيد، وأخذت قبائل شمر تعتدي على أطراف الكويت، وتسعى للاستيلاء على القوافل الخارجة منها. وإزاء استمرار هذه الاعتداءات، حرك الشيخ مبارك جيشاً عام ١٩٠١ بقيادة أخيه الشيخ حمود وولده سالم، وأمرهم بالهجوم على إحدى القبائل التابعة لابن الرشيد، والتي كانت موجودة في منطقة الرخيمة، وحقق جيش الكويت النصر.

وأرسل الشيخ مبارك إلى صديقه خزعل حاكم المحمرة مبشراً إياه بنتيجة المعركة وأنه «لا شك في أن كل معتد الله ينتقم منه وبحمد الله تعالى أن آخر أمره إلى الدمار»<sup>(٢)</sup>. وسارع الشيخ خزعل بالرد عليه محذراً

(١) عبد الله سالم عبد الله محمد المزين: تاريخ وأجداد، مرجع سابق، ص ٩٨-٩٩. وكذلك حسين خلف الشيخ خزعل: تاريخ الكويت السياسي، ج ٢، مرجع سابق، ص ٣٥-٣٦.  
(٢) نص خطاب الشيخ مبارك في المرجع السابق، ص ٣٣.

إياه مما يخطط له الأمير عبد العزيز آل رشيد، وأن عليه أن يأخذ حذرته، ويعد العدة لجولة مقبلة. وأرسل له مدفعين من النوع الثقيل، وعدداً كبيراً من البنادق والعتاد.

وفي هذه الأثناء، كان الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود قد استشار الشيخ مبارك حول عزمه استرجاع الرياض من آل رشيد، فأشار عليه الشيخ بالتريث والانتظار بعض الوقت لأنه «أي مبارك» «عازم قريباً على السير للقضاء على نفوذ ابن الرشيد في كل نواحي نجد».

أدرك مبارك أن ابن الرشيد يستعد لغزو الكويت، فقرر استباق الأمر، وأن يقوم بضربة اجهاضية. وبدأ يعد العدة، فاجتمع بقيادة جيوشه المرابطة في الجهرة، وكتب إلى سعدون باشا يخبره فيه بعزمه على قتال ابن الرشيد، وطلب منه الحضور إليه بقواته. وبالفعل، التحقت قوات السعودون بجيوش الشيخ في الجهرة، ثم أرسل الشيخ رجاله إلى القبائل الموالية له يدعوها للمشاركة معه في الحرب. وسار الشيخ مبارك على رأس هذا الجيش ففتح العارض من دون قتال، وأسند أمورها إلى الأمير عبد العزيز بن سعود. ثم فتح كلاً من مدينتي عنيزة وبريدة من دون قتال تقريباً. وخلال هذه الأثناء، اتجه جزء من القوات بقيادة ابن سعود للسيطرة على الرياض. وبالفعل، نجح في دخول المدينة، ولكنه لم يتمكن من السيطرة على قصر الحاكم.

وعندما وصلت هذه المعلومات إلى ابن الرشيد، أدرك أن المصدر الرئيسي للخطر عليه هو قوات مبارك، وليس دخول ابن سعود مدينة الرياض، فجمع قواته من قبائل شمر. والتقى الجمعان في منطقة الصريف في مارس/ آذار ١٩٠١<sup>(١)</sup>. وانتهت الموقعة لمصلحة ابن الرشيد

(١) الصريف ماء قرب بلدة التنومة ما بين حائل والقصيم.

وهزيمة فادحة للقوات الكويتية، وكان من بين الذين أستشهدوا حمود شقيق الشيخ مبارك وابن عمه خليفة بن عبد الله الصباح، مما أشاع جواً عاماً من الحزن بين أبناء الكويت، وهو ما دعا الشيخ مبارك إلى التهوين عليهم، ومواساتهم، وتأكيد أنه سوف يعد العدة لإلحاق الهزيمة بابن الرشيد في المستقبل القريب.

وتتعدد الآراء حول أسباب هزيمة القوات الكويتية، فيذكر المؤرخ عبد العزيز الرشيد أن ذلك يرجع إلى عدم التقدير الصحيح لقوة ابن الرشيد قبل بدء القتال، واعتماد الشيخ مبارك على «الأعراب الذين لم يجاربوا لمبدأ أو عقيدة وطنية». ويرى آخرون أن السبب الرئيسي هو انقسام قوات مبارك رتلين هما رتل آل صباح ورتل آل سعود، وعدم وجود التنسيق الكامل بين الرتلين<sup>(١)</sup>.

ويضيف غيورغي بونداريفسكي، من واقع الوثائق الروسية، أن هزيمة مبارك ترجع «بالدرجة الأولى إلى تراجع جزء من حلفائه، غالبيتهم من قبائل نجد، في اللحظة الأخيرة عن المشاركة في المعركة. فمن وجهة نظر عربان المناطق الوسطى من نجد، طالت فترة القتال أكثر مما توقعوا، بينما استدعى الأمر مع حلول الجفاف الارتحال فوراً مع مواشيهم وأغنماهم... فضلاً عن نجاح وسطاء ابن رشيد في رشوة بعض الشيوخ قبل المعركة مباشرة فقاموا بسحب رجالهم... وأن ثلاثة آلاف محارب ينتمون إلى قبيلة شيبان انتقلوا خلال المعركة إلى صف ابن الرشيد، وهجموا من الخلف على قوات مبارك وأحدثوا في صفوفها الذعر والفوضى، مما ألحق بها ضرراً بليغاً»<sup>(٢)</sup>.

(١) قدرتي قلعجي: أضواء على تاريخ الكويت (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٢) ص ص ٧٨-٧٩.

(٢) غيورغي بونداريفسكي (ترجمة ماهر سلامة): الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، مرجع سابق، ص ١٨٥.

وسرت إشاعة بأن الشيخ مبارك قد قُتل في هذه المعركة، فسارعت بريطانيا إلى إرسال إحدى سفنها الحربية إلى الكويت لمواجهة ما قد يترتب على وفاة الشيخ من عدم استقرار. وفي ١٨ أبريل/ نيسان، زار الكويت الكولونيل كمبال المقيم البريطاني في الخليج ليتحقق بنفسه من بقاء الشيخ على قيد الحياة. ومن الطريف، وكما ذكر كمبال في تقريره، أن الشيخ مبارك لم يشر إلى ما حدث في موقعة الصريف بأي إشارة، وهو ما جعل الكولونيل كمبال يتردد في إثارة هذا الموضوع أو الإشارة إليه<sup>(١)</sup>.

واستغل ابن الرشيد نتيجة معركة الصريف، بأن حاصر في صيف عام ١٩٠١ مدينة الكويت مما أدى إلى إثارة الفزع والرعب بين سكانها. ولكنه فشل في تحقيق هدفه، فقد كان عليه أن يواجه تحالفاً يتكون من قوات شيخ الكويت، وقبيلة المنتفق تحت قيادة ناصر باشا السعدون، وشيوخ قبيلة المطير، وبنو مرة، وآل سعود. أضف إلى ذلك، أن وجود سفن عسكرية إنكليزية في ميناء الكويت كانت رادعاً لأي تقدم لابن الرشيد.

وفي أغسطس/ آب من العام نفسه، عاد كمبال مرة أخرى إلى الكويت مكلفاً من اللورد كيرزون بمهمة السعي لتحقيق نوع من الهدنة أو الصلح بين الشيخ وابن الرشيد. واقترح مبارك أن يقوم الشيخ خزعل بهذه المهمة. وبالفعل، جرى الاتصال بالقنصل البريطاني في البصرة لإبلاغه بذلك، وللتنسيق مع وكيل الأمير عبد العزيز الرشيد هناك.

تصور ابن الرشيد أن نصر الصريف سوف يفتح الباب واسعاً لتقدمه العسكري، وفرض نفوذه السياسي على الكويت. ولكن ذلك لم يحدث، لأن هذا الصراع المحتدم بين شيخ الكويت وأمير نجد أدى إلى تقارب بريطاني - عثماني من أجل المحافظة على الوضع القائم. فوعدت السلطات

From Political Resident Col Kembal, Bushire to Viceroy Governor of India, (١) April 18, 1901.

العثمانية بأنها لا تنوي احتلال الكويت، وأنها ستعمل لمنع أمير نجد من شن هجوم عليها. وفي مقابل ذلك، وعدت بريطانيا بأنها أيضاً لا تنوي احتلال الكويت أو إعلان الحماية عليها، وأنها سوف تعمل لإقناع الشيخ بعدم الهجوم على نجد.

وتتابعت الجهود الدبلوماسية الإنكليزية، فتدخلت لندن لدى الدولة العثمانية للتأكد من تنفيذها لما اتفق عليه. ففي مذكرة الصدر الأعظم سعيد باشا إلى السلطان في ٣١ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٠١، ورد أن السفير الإنكليزي في إسطنبول قابل وزير الخارجية العثماني وطلب منه التدخل لانسحاب قوات ابن الرشيد من نواحي الكويت، وأن السفير الألماني أيضاً ذكر لوزير الخارجية أن بقاء ابن الرشيد في هذه الأماكن قد يؤدي إلى نتائج ضارة<sup>(١)</sup>. ووافق السلطان العثماني على التدخل لإقناع ابن الرشيد بسحب قواته من نواحي الكويت.

وتضمنت البرقية التي أرسلتها السفارة العثمانية في لندن إلى وزارة الخارجية في ١ يناير/ كانون الثاني ١٩٠٢ مذكرة من اللورد لندسون وزير الخارجية البريطاني أشار فيها إلى «رغبة انكلترا في المحافظة على توازن القوى في الكويت، وأنها ستسحب مدافعها المنزلة إلى البر في الكويت فور انسحاب قوات أمير نجد»<sup>(٢)</sup>. ونتيجة لذلك، انسحب ابن الرشيد من دون أن يجني ثمار نصر الصريف. وكانت المعلومات التي وصلتته عن تمرد بعض القبائل ضده منتهزة فرصة غيابه، وانشغاله بالقتال ضد مبارك عاملاً إضافياً جعله يُسرع في العودة إلى الرياض.

غضب ابن الرشيد من الموقف العثماني المتخاذل من وجهة نظره. وعندما نفذ صبره مع العثمانيين، التقى القنصل البريطاني في البصرة،

(١) الأرشيف العثماني في إسطنبول بتاريخ ٣١ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٠١، رقم ٤٢٣/٢٩.

(٢) الأرشيف العثماني في إسطنبول بتاريخ ١ يناير/ كانون الثاني ١٩٠٢، رقم ٤٢٣/٦٠.

واقترح عليه إعلان الحماية البريطانية على نجد، ولكن الخارجية البريطانية لم توافق على ذلك<sup>(١)</sup>. وفي الاتجاه نفسه، سعى آل سعود إلى طلب الحماية البريطانية في مواجهة آل رشيد. ففي ١٨ أغسطس/ آب ١٩٠٤، أرسل عبد الرحمن بن فيصل آل سعود إلى الوكيل السياسي بالكويت نويس خطاباً يحيطه فيه علماً بتقرب آل رشيد إلى الدولة العثمانية، وأن هناك خطراً لتحريك قوات تركية من «المدينة» ضد آل سعود، وأنه لا استطاعة لقواته بمواجهة ذلك، وأنه يطلب دعم بريطانيا وأنه «داخلين دخالة على دولتكم البهية القيصرية بالحماية على ممالكنا ونحن نكون تحت أمركم»<sup>(٢)</sup>.

أدرك الشيخ مبارك بحنكته وخبرته أن الوقت قد حان لتوجيه ضربة قاتلة ضد ابن الرشيد في عقر داره، وبحيث ينتهي تماماً أي خطر يهدد به الكويت. وتمثلت خطته في شغل آل رشيد عسكرياً، في الوقت الذي يقوم فيه عبد العزيز بن سعود باقتحام الرياض. فخرج الشيخ مبارك إلى منطقة الجهرة على رأس جيشه لكي يضطر ابن الرشيد للبقاء في هذه المنطقة دفاعاً عن العشائر الموالية له فيها. في الوقت نفسه، دعم الشيخ الأمير عبد العزيز بن سعود بالرجال والعتاد لدخول الرياض وإعادة بناء الدولة السعودية. وكانت هذه هي المحاولة الثانية لغزو الرياض بعد المحاولة الأولى في بداية عام ١٩٠١.

خرج ابن سعود من الكويت في نهاية عام ١٩٠١ بعد أن زوده الشيخ مبارك بالجمال والسلاح والمال والزراد. وعندما نجح في مهمته في ١٥

(١) جمال زكريا قاسم: مرجع سابق، ص ٢٧٩.

(٢) Kuwait Political Agency, Arabic Documents 1899-1949, Vol, **Op.cit**, p 580. وجددير بالذكر أن الوكيل السياسي نويس رد على خطاب عبد الرحمن بن فيصل في ٥ سبتمبر/ أيلول ١٩٠٤ بأنه أرسل خطابه إلى المقيم البريطاني كوكس لإيصاله إلى الحكومة البريطانية.

يناير/ كانون الثاني ١٩٠٢، سارع إلى إرسال رسوله إلى الكويت ليلبغ الشيخ مبارك ووالده الإمام عبد الرحمن بهذا النصر. وتعتبر الوثائق البريطانية بوضوح عن دعم الشيخ مبارك لابن سعود، فيكتب راتسلاو القنصل البريطاني في البصرة إلى سفيره في الاستانة «أن مباركاً يساعد ابن سعود ويحرضه، ولم يكن باستطاعته (ابن سعود) أن يحقق شيئاً بدون مساعدته»، وخشي أن تتورط الكويت أكثر في أمور نجد. لذلك، سارعت لندن إلى تحذير الشيخ بالألا يتورط في ذلك، وأن يتجنب ما يمكن أن يورطه أو يدخله في مواجهة مع الأتراك.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تتخذ فيها الديبلوماسية الإنكليزية هذا الموقف، فقد دأب البريطانيون على تحذير الشيخ من التدخل في شؤون تتجاوز حدود إمارته. كان من أبرز هذه التحذيرات ما أرسله كمال القائم بأعمال المقيم السياسي إلى الشيخ في ١٠ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٠٠، والتي ورد فيها «أملّي ألا تتخذ أي خطوات قد تضطر الآخرين إلى اتخاذ تدخلات أكثر صرامة في شؤون بلادكم. بيدولي أنكم تمارسون سياسة خطيرة باستمراركم في إثارة أمير نجد. إنني أنصحكم مجدداً بالتوقف عن ذلك، والركون إلى الأمن والاستقرار»<sup>(١)</sup>.

لم يكتف الشيخ مبارك بدعم ابن سعود عسكرياً بالأسلحة والذخائر، واقتصادياً بالسلع والمؤن اللازمة لإعاشة قواته، بل سعى أيضاً لدعمه سياسياً لدى الدولة العثمانية. فخاطب الشيخ مصطفى نوري باشا والي البصرة لإحاطته علماً بسيطرة ابن سعود على مدينة الرياض، طالباً منه رفع الأمر إلى الباب العالي ناصحاً إياه بسرعة الاعتراف بإمارة ابن سعود.

(١) سلطان بن محمد القاسمي: بيان الكويت. سيرة حياة الشيخ مبارك الصباح، مرجع سابق، ص ١٢٦.

ويتفق المؤرخون والباحثون، العرب والأجانب، على أهمية الدور الذي قام به الشيخ مبارك في دعم جهود ابن سعود لإقامة دولة أجداده. فعندما سعى ابن رشيد لمواجهة ابن سعود لمنع تقدمه في نجد، سارع الشيخ مبارك إلى دعمه بالأسلحة والذخيرة والمؤن التي أرسلها إليه على شكل قوافل الواحدة تلو الأخرى. وهو ما أشار إليه الوكيل السياسي نوكس عندما أورد في أحد تقاريره «أن ابن سعود لا يستطيع تثبيت نفسه من دون مساعدة خارجية. وحيث أنه لا يستطيع طلب المعونة من الأتراك المتحالفين مع ابن رشيد، فليس له ملجأ إلا الشيخ مبارك»<sup>(١)</sup>. ولم يتوقف الشيخ عند حدود دعم قوات ابن سعود، بل استخدم قواته لتحقيق هذا الهدف، فعندما بلغه أن ابن الرشيد حصل على تأييد قبيلة الظفير لمهاجمة الرياض وبدأ في فرض حصار حولها، أرسل جيشاً من الكويت في ٥ أكتوبر/ تشرين الثاني بقيادة صقر الغانم لمواجهة هذا التطور.

وأشار القنصل البريطاني في البصرة راتسلاو في تقرير له إلى السفير البريطاني في الآستانة في أغسطس/ آب ١٩٠٢ أنه «من المعروف أن مبارك يدعم ويشجع ابن سعود منذ مدة طويلة، ولولا مساعدته لما تمكن الأخير من تحقيق هذه الانتصارات»<sup>(٢)</sup>.

المعنى نفسه أشار إليه أداموف القنصل الروسي في البصرة الذي أشار في تقرير له في ٢ أبريل/ نيسان ١٩٠٢ أن ما حققه ابن سعود من نجاح

(١) خالد حمود السعدون: العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩-١٣٤١ هـ ١٩٠٢-١٩٢٢م (الكويت: ذات السلاسل، ط ٢، ١٩٩٠)، ص ١٠٠. ويتفق كل الباحثين على دور الشيخ مبارك في الإعداد وتجهيز الأمير عبد العزيز. انظر على سبيل المثال: عبد الله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية (الرياض: دن، ١٩٩٩)، ج ٢، ص ٥٠، وصلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية ماضيها وحاضرها (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة)، ص ٣٣.

(٢) غيورغي بونداريفسكي: مرجع سابق، ص ٢٣١.

وانتصارات «يرتكز بالدرجة الأولى على ما قدمه له شيخ الكويت من مساعدات»<sup>(١)</sup>. ويصف عبد العزيز الرشيد الشيخ مباركاً بأنه «ركن ابن سعود الأعظم الذي عليه يعتمد، فتراه يبعث إليه الإمدادات بسخاء وكرم ويخرج إليه الحملات الواحدة تلو الثانية والقافلة في إثر أختها تحمل الأطعمة تارة والذخيرة تارة أخرى. وفوق ذلك فإن مباركاً كان يرسم الخطط الحربية له وهو في مدينته»<sup>(٢)</sup>.

وفي مستهل خطاب ألقاه د. ستانلي ماليري في الكويت عام ١٩٤٩، كان يسترجع فيه ذكرياته عن مرحلة مبارك قال «في تلك الأيام عندما أتيت إلى الكويت كانت الكويت هي الميناء الرئيسي للداخل العربي. كل شيء يرسل إلى نجد كان لا بد أن يمر من الكويت التي كانت تحكم في ذلك الوقت من واحد من أعظم رجال العرب في كل التاريخ. وكما سأوضح لكم أنه الشيخ مبارك الذي يدين له ابن سعود بقوته اليوم، حيث إنه تعلم من الشيخ مبارك فن إدارة الدولة العربية والطموحات العربية»<sup>(٣)</sup>.

واستمر التعاون بين الشيخ والأمير. ففي عام ١٩٠٣، سيرّ الشيخ مبارك حملة بقيادة عبد العزيز بن سعود والشيخ جابر بن مبارك ضد سلطان الدويش شيخ مطير، الذي كان قد تحالف مع ابن الرشيد، وتمركزت قواته في منطقة «جولبن» قرب الحدود استعداداً للهجوم على الكويت. وكانت خطة مبارك هي أخذ زمام المبادرة قبل استكمال الدويش استعداداته. وبالفعل، أدرك الكويتيون الدويش، وأنزلوا به خسائر فادحة.

(١) المرجع السابق: ص ٢٢٨.

(٢) عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ص ١٧٥.

(٣) زبيدة علي أشكناني (إعداد وترجمة): مرجع سابق، ص ١١.

وفي الوقت نفسه، عندما كان عبد العزيز بن سعود منشغلاً بهذه الحملة، بدأ ابن الرشيد في الإعداد لمهاجمة الرياض. وعندما وصل الخبر إلى ابن سعود، سارع إلى العودة إلى مدينة الكويت، وطلب النجدة من الشيخ مبارك الذي أصدر أوامره إلى الجيش العائد من معركة جولبن بالسير إلى الرياض. وعندما وصل ذلك إلى ابن الرشيد، تراجع عن مهاجمة المدينة<sup>(١)</sup>.

وتدريجياً، حدث فتور في العلاقة بين الشيخ المحنك والأمير الشاب. فمع نهاية ربيع ١٩٠٤، نجح عبد العزيز آل سعود في استعادة كل أراضي أجداده وإخضاع نجد لسيطرته، وأصبح واحداً من أبرز زعماء العرب وأكثرهم ثقة بأنفسهم بحكم الثقل السياسي والمادي الذي تمثله نجد في شبه الجزيرة العربية. وهو ما وصفه أحد الباحثين بالتحول من مرحلة «التحالف المطلق» إلى مرحلة «الاختلاف ضمن إطار التحالف»<sup>(٢)</sup>.

ففي عام ١٩٠٥، اتخذ ابن سعود قراراً أوجد جفوة في العلاقات مع الشيخ مبارك. فقد كانت القوافل النجدية التي تشتري حاجاتها من الكويت لا تدفع الرسوم المقررة عليها بسبب استخدامها طرقاً مختلفة عبر الصحراء. لذلك، اتخذ الأمير قراراً بمصاحبة ممثلين عنه مع تلك القوافل لاستيفاء الرسوم المقررة قبل مغادرتها الكويت، وذلك من دون استشارة الشيخ مبارك أو إبلاغه. ولم يستقبل الشيخ هذا القرار استقبالاً طيباً لأنه فوجئ به من ناحية، ولأنه - وهذا هو المهم - يتضمن ممارسة لسلطة أخرى غير سلطة شيخ الكويت على أراضيه. وأمر الشيخ مبارك عماله بعدم السماح بتنفيذ هذا القرار.

(١) عبد الله سالم عبد الله محمد المزين: مرجع سابق، ص ص ١٢٠-١٢١.

(٢) خالد حمود السعدون، مرجع سابق، ص ١٦٥.

وإزاء ذلك، أمر ابن سعود بمنع الاتجار مع أهالي الكويت، واشترط لإنهاء هذا المنع قبول واحد من ثلاثة شروط: أن يتم تخصيص راتب سنوي له، أو السماح لموظف سعودي بأن يُحصل الرسوم في سوق الكويت، أو أن يقوم الكويتيون بتحصيل هذه الرسوم وإرسالها إليه. وبالإضافة إلى الخلاف بشأن الرسوم التي تدفعها قوافل التجارة النجدية، فقد خالف ابن سعود نصيحة الشيخ في أكثر من مناسبة على النحو الذي شرحه المؤرخ عبد العزيز الرشيد بالتفصيل<sup>(١)</sup>.

وكرر فعل على ذلك، بدأ الشيخ في فتح قنوات اتصال مع ابن الرشيد، وهدف الشيخ من وراء ذلك إلى الضغط على ابن سعود حتى تعود العلاقة بينهما إلى سابق عهدها، وإلى زرع الفرقة بين ابن الرشيد ويوسف الإبراهيم. وكان من شأن هذا التطور تحسين علاقة الشيخ مع الدولة العثمانية التي كانت تعتبر ابن الرشيد حليفها في شبه الجزيرة العربية.

عام ١٩٠٥، طلب ابن سعود وساطة مبارك للوصول إلى تفاهم مع السلطات العثمانية. وكان ابن سعود على استعداد للوصول إلى اتفاق مع العثمانيين يتضمن اعترافه بالتبعية للدولة العثمانية، وقبوله لقب القائمقام، والموافقة على وجود قوات عثمانية في عنيزة وبريدة. ولكن سرعان ما تغير الموقف، ولم يجد ابن سعود سبباً للاستمرار في هذه السياسة، فبسبب الغارات المستمرة التي شنتها القبائل ضد القوات العثمانية في القصيم، قررت الدولة العثمانية في نهاية العام سحب قواتها، ولم يعد هناك منافس لحكم ابن سعود في نجد<sup>(٢)</sup>.

واستمرت علاقات التحالف بين الشيخ والأمير. وفي عام ١٩٠٦ أمد

(١) عبد العزيز الرشيد: مرجع سابق، ص ص ٢١١-٢١٧.

(٢) منيرة عبد الله العرينان: علاقات نجد بالقوى المحيطة ١٣١٩-١٣٢٣ هـ ١٩٠٢-١٩١٤ م (الكويت: ذات السلاسل، ١٩٩٠)، ص ص ١٩٥-١٩٧.

الشيخ مبارك قوات آل سعود بثلاثة آلاف بندقية قدرت قيمتها وقتذاك بمبلغ مائة وخمسين ألف دولار<sup>(١)</sup>.

زادت مكانة ابن سعود بعد احتلاله للأحساء في أبريل/ نيسان عام ١٩١٣، وبدأ بإجراء اتصالات مباشرة مع بريطانيا. فأخبر شكسبير الذي أصبح ممثلاً لحكومته لديه، أنه لم يعد يعمل حساباً لأحد من أمراء العرب. ومع تصاعد طموحات ابن سعود، أبلغ الإنكليز أن شرطه للاتفاق معهم أن يوافقوا له على احتلال قطر ومسقط وعمان، وأن يعود الشيخ مبارك إلى حدوده الأصلية. وقد أدى ذلك كله إلى ازدياد شكوك مبارك في مخططات ابن سعود.

شعر الشيخ مبارك الذي كان قد تجاوز السبعين، وأنهكته تصارييف الحياة، أن تصاعد نفوذ ابن سعود سوف يكون خصماً للدور الذي عمل طويلاً لكي تقوم به الكويت. ومن ناحية أخرى، فقد شعر الأمير عبد العزيز بن سعود أنه قد آن الأوان لكي يخرج من عباءة الشيخ مبارك، وأن تكون له دبلوماسيته الخاصة به. لذلك، اتبع الشيخ سياسة مزدوجة في علاقاته مع ابن السعود وابن الرشيد، وحاول الاستفادة من الصراع الناشب بينهما حتى يقوم كل منهما بإضعاف الآخر.

وعندما أراد العثمانيون التفاوض مع أمير نجد، طلب منه الشيخ مبارك أن يحصل ذلك في الكويت. وهدف الشيخ من وراء ذلك إلى إبراز دوره الإقليمي ونفوذه في المنطقة. وبالفعل، وافق الأمير ابن سعود على أن ينعقد المؤتمر في منطقة الصبيحة، وهي منطقة كويتية تقع بين نجد والكويت. وكان في حضور وفد كويتي للاجتماع تأكيد للمعنى نفسه. وعلى رغم وجود هذه الاختلافات بين الشيخ والأمير، لأسباب

(١) خالد حمود السعودون: مرجع سابق، ص ١١٨.

مختلفة، فقد كان كل منهما متمسكاً بعلاقات التحالف التي تربط بينهما. وفي عام ١٩١٤، وُقعت معاهدة رسم الحدود بين نجد والكويت التي اعترف بمقتضاها آل سعود بوضع الكويت وحدودها. كما تعاون الطرفان خلال الحرب العالمية الأولى، فأرسل الشيخ إلى ابن سعود في أكتوبر/ تشرين الأول ١٩١٤ داعياً إياه لإعلان تأييده لبريطانيا، لأنها دولة السلام بينما الأتراك هم أعداء العرب. ورد ابن سعود مؤكداً تعاونه مع بريطانيا، ووقوفه في الموقع نفسه الذي يتخذه مبارك<sup>(١)</sup>.

لم يتردد الشيخ أبداً في دعم ابن سعود عندما تعرّض لتهديد. واتضح ذلك بعد هزيمة ابن سعود في موقعة جراب أمام قوات ابن الرشيد عام ١٩١٥ الأمر الذي أدى إلى تدهور وضعه، واهتزاز مكانته، وإلى تمرد قبائل العجمان عليه، وحصارهم له في الهفوف، فأرسل مبارك جيشاً بقيادة ابنه سالم وحفيده أحمد الجابر لنجدة عبد العزيز ورجاله. ونجح الكويتيون في رفع الحصار، وهزيمة قوات العجمان بالقرب من القطيف.

---

(١) موضي بنت منصور بن عبد العزيز: الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت ١٩٢٣-١٩٢٤ (بيروت: دن، ط ٢، ١٩٩٢)، ص ٨٢.



## ثانياً: نمط التحالف: العلاقة مع شيخ المحمرة

تعتبر العلاقات بين شيوخ الكويت وأمراء المحمرة قديمة للغاية. فهذه المنطقة التي سمّيت بعربستان تقع جنوب شرق العراق، تحدها شمالاً جبال كردستان وشرقاً امتداد جبال البختيارية وغرباً شط العرب، وجنوباً الخليج العربي. ومع أنها كانت من الناحية النظرية تابعة للإمبراطورية الفارسية، فإن فارس لم تمتلك القدرة العسكرية اللازمة لممارسة سيادتها الفعلية عليها. وفي هذا السياق، حافظ أمراء المحمرة على استقلالهم الداخلي.

وحتى بداية القرن السابع عشر، كانت المنطقة الواقعة إلى شرق شط العرب تمثل إمارة عربية يحكمها الشيخ مبارك بن عبد المطلب، الذي حكم إمارته مستقلاً عن كل من الدولتين الفارسية والعثمانية. وفي فترة تالية، قاوم الشيخ منصور محاولة الشاه عباس الأول التدخل في الشؤون الداخلية لإمارته، كما رفض دعوة الشاه لانضمامه إلى القوات الفارسية التي حاصرت بغداد عام ١٦٢٣. وفي منتصف هذا القرن، هاجرت مجموعات من قبائل بني كعب العربية من العراق والكويت إلى عربستان. ومنذ أوائل القرن الثامن عشر، أدارت عربستان شؤونها الداخلية

في استقلال كامل عن الحكومة الفارسية، وسعت السلطات العثمانية، بالتعاون مع الإنكليز، لإضعاف شوكة قبائل بني كعب، فتوجهت حملة عثمانية - بريطانية مشتركة إلى الإمارة عام ١٧٦٣، انتهت بانتصار القبائل العربية. وبعدها بعامين، أرسلت فارس حملة عسكرية مارست أشد صنوف العنف والتدمير، مما أدى إلى هجر السكان العرب لعاصمتهم في «قبان» واللجوء إلى قرية «الفلاحية». وترتب على ذلك، أن فقدت الإمارة وحدتها، وانقسمت إلى مجموعة من العصبية المتناثرة كان أبرزها جماعة «المحيسن» التي تولى حكمها الشيخ جابر ١٨١٩-١٨٨١. ومن بعده ولداه مزعل (١٨٨١-١٨٩٧) وخزعل (١٨٩٧-١٩٢٥).

وخلال هذا التطور، انتقلت عاصمة الإمارة من قرية الفلاحية إلى مدينة المحمرة، التي بناها عرب بني كعب قرب مصب نهر قارون في شط العرب، واستمرت عاصمة لعربستان حتى عام ١٩٢٥. وقد سميت بهذا الاسم نظراً الى احمرار تربتها، وتسمى الآن بمدينة خرمشهر في إيران. وفي عام ١٨٢٧، طلب الشيخ غيث أمير عربستان من السلطان سعيد بن سلطان حاكم مسقط وعمان دعماً عسكرياً بهدف إيقاف الضغط الفارسي على استقلال بلاده. وتدعم الاتجاه الاستقلالي في عربستان في عهد الشيخ جابر ١٨٦٢-١٨٨١ الذي رفض فتح نهر الكارون لمرور السفن البريطانية.

في هذا السياق، تعتبر فترة حكم الشيخ خزعل التي امتدت من يونيو/ حزيران ١٨٩٧ حتى أبريل/ نيسان ١٩٢٥ من الفترات المهمة في تطور منطقة عربستان وعلاقتها بالدولة العثمانية من ناحية، وبالكويت من ناحية أخرى<sup>(١)</sup>.

(١) انظر العلاقة الوثيقة بين الشيخين مبارك وخزعل، عبد العزيز محمد المنصور: الكويت وعلاقتها بعربستان والبصرة ١٨٩٦-١٩١٥ (الكويت: دار ذات السلاسل، ١٩٨٠). وكذلك حسين خلف الشيخ خزعل، مرجع سابق، ص ص ٢٤٦-٢٦٠. وانظر أيضاً مجموعة من المؤلفين: الشيخ خزعل أمير المحمرة (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٩)، ص ص ٥٢-٥٦.

فقد توافقت وجهات نظر مبارك وخزعل بشكل واضح، إذ ربطت بين الرجلين وشائج عدة:

فوحّدت بينهما، أولاً، الرغبة في المحافظة على استقلال بلادهما وصون حرية إدارة شؤونهما الداخلية من دون تدخل خارجي. وكان من مظاهر ممارسة هذا الاستقلال ما نشرته جريدة المؤيد المصرية بتاريخ ١٩ مايو/ أيار ١٩١٠ بشأن امتناع الشيخ خزعل أمير المحمرة عن تسليم المتهمين الذين تطاردتهم الحكومة العثمانية، مما دعا إسطنبول إلى طلب تدخل حكومة فارس لاتخاذ التدابير اللازمة<sup>(١)</sup>.

وربط بينهما، ثانياً، الشعور بالخطر الذي تعرضت له السفن الكويتية في موانئ عربستان، وما كانت تتعرض له أيضاً من مضايقات من العاملين في الجمارك البلجيكية في المنطقة، وكذلك من نشاط القراصنة الذين نشطوا في مدخل شط العرب وسواحل عربستان. وزاد من ذلك احتدام التنافسات الحادة بين بريطانيا وروسيا وألمانيا، وإلى درجة أقل فرنسا، بهدف تكريس نفوذها وفرض هيمنتها في المنطقة.

كما ربط بينهما، ثالثاً، الشعور العربي، والرغبة في استقلال الولايات العربية عن الدولة العثمانية في حالة الكويت، وعن الدولة الفارسية في حالة المحمرة<sup>(٢)</sup>. وهو ما سوف نعرض له تفصيلاً في البند «رابعاً» من هذا الفصل.

ومن مظاهر هذه العلاقة الوثيقة بين الرجلين أن مباركاً بنى قصرًا للشيخ خزعل في الكويت، وبنى خزعل لشيخ الكويت قصرًا في الفيلية بجوار قصره. وتبادل الشيخان الزيارات، ورحلات الصيد. وبلغ من

(١) Kuwait Political Agency, Arabic Documents 1899-1949, Vol 1 (١) Op.cit, p. 112.

(٢) عبد العزيز محمد منصور: مرجع سابق، ص ص ٦٨-٧٣.

عمق هذه الصلة أن حسين خلف الشيخ خزعل (ابنه) كتب كتاباً من خمسة أجزاء عن تاريخ الكويت السياسي أورد فيه نصوص المراسلات والخطابات المتبادلة بين أبيه والشيخ مبارك.

ومما يدل على عمق الصلة بين الرجلين، قبول الشيخ خزعل عام ١٩٠٠ شفاعة الشيخ مبارك بشأن محمد اليعقوب. فقد كانت هناك محاولة لاغتيال الشيخ خزعل، وعندما كُشف عن المتآمرين، هرب أحدهم وهو محمد اليعقوب إلى البصرة ليجد من يستجير به ويحميه، فأشاروا عليه أن يستجير بشيخ الكويت لأنه الشخص الوحيد الذي لا يرد الشيخ خزعل وساطته. وبالفعل، ذهب اليعقوب إلى الكويت وطلب حماية شيخها. وعندما علم الشيخ خزعل بذلك، أرسل خطاباً يتضمن عتياً على قيام الشيخ مبارك بحماية من تأمر على قتله. فأجابه مبارك بأن «قبوله محمد اليعقوب لم يكن إلا بعد أن تحقق له ندم المذكور وتوبته. وقد عفا عنه بحكم مقتضيات الأخوية إذ لم يجد ما يحول دون ذلك لأن البلدين واحدة وخزعل ومبارك وإن كان اسمين إلا أنهما نفس واحدة لا يفرق بينهما مفرق»<sup>(١)</sup>. وعندما قرأ الشيخ خزعل هذه الرسالة، أقر مبارك على ما قام به.

ومرة أخرى، استجاب الشيخ خزعل لوساطة مبارك بشأن قبيلة النصار. ففي عام ١٩٠٣، امتنع أبناء هذه القبيلة عن دفع الرسوم المقررة عليهم، واستعدوا للتمرد والعصيان الأمر الذي دفع الشيخ خزعل إلى الإعداد لشن حملة عسكرية عليهم، وتأديبهم. فتوسط الشيخ مبارك في أمرهم، واستجاب خزعل بشرط أن ينزحوا إلى الكويت. وتعهد بأن يدفع لهم رواتب سنوية لمعيشتهم، فوافقوا على ذلك، ونزحوا بالفعل إلى الكويت.

(١) علي نعمة الحلو: الأهواز (عربستان) إمارة كعب العربية في المحمرة. الجزء الثالث (بغداد: دار البصري، ط ١، ١٩٦٩)، ص ١٣١.

وفي المقابل، كان الشيخ مبارك يستجيب لشفاعة خزعل. فعندما وقع اتفاق الحماية البريطانية عام ١٨٩٩، لم يوافق عليها الشيخ حمود الصباح، وقرر ترك الكويت مع أسرته للإقامة في منطقة الدواسر بالعراق. وعندما توفي حمود، طرد أولاده أخاهم سليمان وعائلته، فضاقت بهم سبل العيش، وقرر سليمان العودة إلى الكويت، فلم يجد شخصاً يشفع له عند الشيخ مبارك سوى الشيخ خزعل. وبالفعل، قبل مبارك الشفاعة، وعندما عاد ابن حمود إلى الكويت أكرمه الشيخ، وقربه إليه.

لذلك، لم يكن غريباً أن أياً من مبارك وخزعل لم يتردد في دعم الآخر عندما كان يتعرض لمشكلة أو لأزمة. ففي عام ١٩٠١، عندما زار القنصل الروسي في بوشهر الشيخ مبارك، وعرض عليه توثيق العلاقات بين الكويت وروسيا، كان أحد أسباب رفض مبارك لهذا العرض هو تأييد روسيا لسيطرة بلجيكا على جمرک المحمرة. وعندما ذكر القنصل الروسي أن ما يحدث في المحمرة يحدث في بقية المدن الفارسية، أجاب مبارك بأن المحمرة تختلف عن أي مدينة فارسية أخرى، لأنها لم تكن جزءاً من فارس، وإنما هي إحدى الممالك العثمانية التي يحكمها بنو كعب، وأن الشيخ خزعل هو صديقه الحميم الذي لا يمكن «أن يجري اتفاقاً مع أي دولة كانت ما لم يشترك معه في هذا الاتفاق، لأنها يد واحدة وبلد واحد، ولا يجري أمر على أحدهما ما لم يشمل الآخر»<sup>(١)</sup>. فوعد القنصل الروسي ببحث الموضوع. وفي العام نفسه، توسط الشيخ خزعل للصلح بين الشيخ مبارك وعبد العزيز آل سعود من جهة، والحكومة العثمانية من جهة أخرى<sup>(٢)</sup>.

ومن مظاهر هذه العلاقة الوثيقة أيضاً أنه عام ١٩٠٢، تعرضت سفينة

(١) المرجع السابق: ص ص ١٢٥-١٢٦.

(٢) محمود علي الداود: أحاديث عن الخليج العربي (بغداد: شركة التجارة والطباعة، ١٩٦٠)، ص ص ١٥-١٨.

كويتية محملة بالبضائع يملكها الحاج حمد المنيس لأعمال قرصنة عندما كانت في طريقها من البصرة إلى الكويت بالقرب من جزيرة بوبيان، وسُلب كل بضائعها وقتل بعض رجالها. وعندما عرف الشيخ مبارك بذلك، أسرع إلى منطقة «القصبه» للبحث عن هوية الجناة، وأبرق إلى الحاج عبد العزيز السالم وكيله في البصرة لعرض الأمر على واليها مصطفى نوري باشا، ولم تؤد هذه الجهود إلى نتيجة. وعندما علم الشيخ خزعل بما حدث، عاد من الأهواز إلى المحمرة، واجتمع بالشيخ مبارك، وتمكن من معرفة الجناة، والقبض عليهم، وتسليمهم إليه.

وعام ١٩٠٧، رست في ميناء المحمرة باخرة آتية من مسقط كانت تحمل بضائع يعود قسم منها إلى تجار الكويت. فأراد مدير الجمرك البلجيكي أن ينزل تلك الحمولة إلى البر لتفتيشها، فرفض ربان السفينة هذا الطلب، وعاد بها إلى مسقط. وعندما علم مبارك بما حدث غضب غضباً شديداً، وأرسل رسالة احتجاج إلى الوكيل البريطاني نوكس، كما كتب إلى الشيخ خزعل يخبره بما حدث، فأسرع الأخير بإنذار مدير الجمرك بعدم تكرار مثل هذا العمل، وأن عليه الاعتذار لشيخ الكويت، وهو ما حدث بالفعل.

وبعد موقعة هدية عام ١٩١٠، التي تعرضت فيها القوات الكويتية لخسائر كبيرة على يد قبائل المنتفق، احتاج الشيخ مبارك إلى شراء كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر. وعندما عرض خزعل على مبارك دعمه بالمال والرجال والسلاح، طلب مبارك أن يكون هذا الدعم في شكل تمور تباع في الهند لشراء الأسلحة المطلوبة. وهو ما قام به الشيخ خزعل من خلال الحاج سلطان عامله في القصبه.

ومع قيام الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤، وإعلان الشيخ خزعل دعمه للموقف البريطاني، تقدمت قوة من الجيش العثماني بقيادة محمد

فاضل الداغستاني مع عدد من رجال الدين إلى أطراف إمارة عربستان لإثارة القبائل ضد الشيخ خزعل متهمين إياه بالكفر لموقفه المعادي للدولة العثمانية. وترتب على ذلك، تصاعد حركة عصيان القبائل المدعومة من القوات العثمانية، فهبت قبائل بنو كعب تحت قيادة جابر بن السيد مشعل ومعهم بعض البدو، فأرسل إليهم الشيخ خزعل جيشاً بقيادة ابنه الشيخ جاسب، وانتصر عليهم.

عندما وصلت هذه الأخبار إلى الشيخ مبارك الذي كان في الفيلية، وخشي ألا يتمكن الشيخ خزعل من إخماد عصيان القبائل، كتب إلى ابنه جابر يطلب منه إرسال جنود من أهل الكويت لدعم الشيخ خزعل. ولم يلق ذلك الطلب استحساناً من جانب كثير من أهالي الكويت الذين تأثروا بالدعايات العثمانية وبأفكار الشيخين محمد أمين الشنقيطي وحافظ وهبة، وكان كلاهما من المؤيدين للدولة العثمانية، فأصدرا فتوى بأن عدم مناصرة الدولة العثمانية، التي هي دولة الخلافة والإسلام في هذه الحرب، يعد ارتداداً عن الدين. فكتب جابر إلى والده موضحاً له الموقف، وغضب الشيخ مبارك لذلك غضباً كبيراً مما دعا عدد من أعيان الكويت للذهاب إليه، وعلى رأسهم الحاج إبراهيم بن مضاف، وذلك للتخفيف من ثورة غضبه.

ووجه الشيخ لهم اللوم لعدم قيامهم بشرح الأمر على وجهه الصحيح لأهل الكويت، وقال «أنا لم أطلب من ابني جابر أن يرسل لي جيشاً ليحارب مع خزعل، وإنما الذي طلبته أن يرسل عدة سفن خالية لتكون جاهزة لنقل أثاث خزعل وأمواله إذا لزم الأمر». وأمرهم بالعودة إلى الكويت، والقيام فوراً بتجهيز هذه السفن، وهو ما حدث بعد أن تمكنوا من إقناع الكثير من الناس. وأرسلت، بالفعل، ست سفن كان عليها مائة وثمانون رجلاً، وربطوا أمام قصر الشيخ خزعل في الفيلية.

ولم يتطلب الأمر أي مشاركة كويتية، فقد نجح الشيخ خزعل في إخماد عصيان القبائل، كما شاركت قواته في دعم الجهد العسكري البريطاني في مدينة البصرة التي احتلتها القوات البريطانية عام ١٩١٥ (١).

وبوفاة الشيخ مبارك، فقد خزعل حليفاً قوياً، وتدهورت علاقته مع بريطانيا بسبب تحول تأييد الإنكليز إلى الشاه رضا خان، وقبولهم لسياسة فارس في فرض سيطرتها على عربستان. وتدرجياً، ضعفت سلطة الشيخ خزعل على قبائله، ولم تتوافر له القدرة العسكرية على استعادتها بسبب تأييد القوات الفارسية لتلك القبائل، كما تراجع سلطة عماله في جمع الضرائب والرسوم في الإمارة. وفرض الفرس نظامهم الإداري على المنطقة، وتأسست في الأحواز حامية عسكرية فارسية دائمة، ثم أصدرت طهران قراراً بتغيير اسم الإمارة من «عربستان» إلى «خوزستان». وأخيراً في ١٩ أبريل/ نيسان ١٩٢٥، ألقت قوة عسكرية فارسية القبض على الشيخ خزعل ونقلته إلى طهران، وعاش فيها حتى وفاته في ٣٠ يونيو/ حزيران ١٩٣٦ عن خمس وسبعين سنة (٢).

(١) علي نعمة الخلو: مرجع سابق، ص ص ١٢٥-١٤٣. وكذلك عبد العزيز الرشيد: مرجع سابق، ص ٣٤.

(٢) انظر في هذه التطورات وليام فيوضور ستمرك (ترجمة عبد الجبار ناجي): حكم الشيخ خزعل بن جابر واحتلال إمارة عربستان (جامعة البصرة: منشورات مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٣).

---

## ثالثاً: نمط التنافس والصدام العسكري: العلاقة مع شيخ قطر

اتسمت العلاقة بين شيوخ الكويت وشيوخ قطر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بالعداء والخصومة. ففي المرحلة السابقة على تولي الشيخ مبارك حكم الكويت، تعاون شيخ الكويت مع الدولة العثمانية ضد شيخ قطر. وفي مرحلة حكمه، أيد الشيخ جاسم بن ثاني شيخ قطر مؤامرات يوسف الإبراهيم ضده، كما كان هناك تنافس بين الشيخين القويين على النفوذ الإقليمي في شبه الجزيرة العربية.

في تسعينات القرن التاسع عشر، طلب العثمانيون من الشيخ محمد الصباح حاكم الكويت خلال الفترة ١٨٩٢-١٨٩٦ مساعدته في حملة عسكرية تقوم بها الدولة العثمانية ضد قطر. وبالفعل، وافق الشيخ، وكلف شقيقه الشيخ مبارك بقيادة قوة كبيرة من البدو وصلت إلى الأحساء في مارس/ آذار ١٨٩٣. وكما تذكر بعض المصادر التاريخية، فإن شيخ الكويت قام بمناورة سياسية مع العثمانيين فتظاهر بالمشاركة، ولكن من دون أن تدخل قواته في اشتباك فعلي أو أن تشارك في عمل عسكري ضد القطريين. لذلك، فقد تباطأت القوة الكويتية التي سافرت براً من الكويت، وبحيث وصلت إلى قطر بعدما كانت العمليات العسكرية قد انتهت تماماً. وكانت نتيجة هذه الحملة على قطر هزيمة الجيش العثماني

الذي قاده حافظ باشا والي البصرة هزيمة كبيرة، وفشلها في تحقيق هدفها<sup>(١)</sup>.

اتسمت العلاقة بين الشيخين مبارك وجاسم بمزيج من الخصومة والتنافس. وفي هذا السياق، أيد الشيخ جاسم جهود يوسف الإبراهيم ومؤامراته ضد مبارك لإبعاده عن الحكم. فبعد فشل محاولاته في تأليب الدولة العثمانية وبريطانيا ضد مبارك، اتجه الإبراهيم في أوائل عام ١٨٩٧ إلى الشيخ جاسم طلباً للعون والتأييد، مبرراً ذلك بدوره في دعم قطر في حربها مع أبو ظبي عام ١٨٨٨. وتلاققت الأهداف، واتفقا على تنفيذ خطة للهجوم على الكويت براً وبحراً، وعلى طلب الدعم من شيخ حائل، وكذلك من ابن الرشيد، والعمل على إبعاد قبيلة العجمان عن مناصرة مبارك. وكانت الخطة تقوم على أن يجري غزو الكويت من الشمال من جانب ابن الرشيد، ومن الجنوب من جانب ابن ثاني.

وبالفعل، في بداية نوفمبر/ تشرين الثاني ١٨٩٧، كانت الخطة في سبيلها إلى التنفيذ لولا معارضة الدولة العثمانية لهذا العمل، ووفاة محمد بن الرشيد في العام نفسه. فقد نجح مبارك في إقناع سعيد باشا متصرف الأحساء بخطورة الموقف، وهو ما دفع سعيد باشا إلى الكتابة إلى والي البصرة منبهاً إياه إلى أن ما يخطط له الشيخ جاسم بن ثاني سوف يؤدي إلى عدم الاستقرار وتهديد الأمن في المنطقة، وأنه يمثل اعتداءً واضحاً على مبارك «الخاضع المطيع للدولة العلية». فقامت الدولة العثمانية وفداً إلى ابن ثاني أبلغه تحذير والي البصرة له من القيام بأي إجراء ضد مبارك.

(١) عبد العزيز محمد المنصور: التطور السياسي لقطر في الفترة ما بين ١٨٦٨-١٩١٦ (الكويت: ذات السلاسل، ط ٢، ١٩٨٠)، ص ١٥١. انظر أيضاً في تفاصيل هذه المرحلة محمود حلمي مصطفى وآخرون: تطور قطر السياسي والاجتماعي في عهد الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني (الدوحة: دن، ١٩٨٠).

وتوضح وثائق الأرشيف العثماني في إسطنبول تطور الموقف الرسمي إزاء هذا الموضوع. فتتضمن تقريراً عن اجتماع اللجنة العسكرية للوزارة برئاسة سر عسكر (وزير الدفاع) رضا باشا عام ١٨٩٧ للبحث في أحوال قائم مقام قطر جاسم الثاني وتجهيزه قواته لغزو الكويت. وجاء في التقرير أن الفريق محسن باشا رئيس دائرة الأركان الحربية للجيش السادس في بغداد والمكلف بالبحث عن السبل المؤدية إلى تسوية مرضية لمسألة الكويت، بعث ببرقية ذكر فيها أن والي البصرة درج على التسوية وتعليق التسوية بغية الحصول على مال أو هدايا، وأنه تواتر عنه أنه لا ينهي عملاً حتى يقبض عنه أجراً. وأوصى التقرير بعدد من التدابير التي تضمنت تعيين الفريق محسن باشا والياً على البصرة، والإسراع في تسوية حقوق ورثة محمد باشا الصباح، وتعيين مبارك الصباح في قائم مقامية الكويت بصورة فخرية، ومنع جاسم الثاني من التصدي للكويت<sup>(١)</sup>. وأعقب ذلك قيام رضا باشا برفع مذكرة بشأن التوصيات التي انتهت إليها اللجنة إلى السلطان<sup>(٢)</sup>. وبعد أسبوع، عقدت اللجنة الوزارية الخاصة اجتماعاً بشأن متابعة موضوع استعداد جاسم بن ثاني قائم مقام قطر للاعتداء على الكويت، وذلك على ضوء البرقية التي أرسلها من بندر بوشير (بوشهر) والتي تضمنت مشاعره بالولاء للسلطان وللدولة العثمانية. وقررت اللجنة الرد عليه وتقدير مشاعره المخلصة، والتأكيد عليه بعدم التصدي للكويت لأن ذلك قد يؤدي إلى مضاعفات خطيرة. وأضافت أن «كل ما قاله في مبارك الصباح أخذته الدولة العلية في الاعتبار وعدلت عن كيفية تعيينه في قائم مقامية الكويت»<sup>(٣)</sup>.

(١) الأرشيف العثماني في إسطنبول بتاريخ ٢ رجب ١٣١٥ هـ، رقم ١٧٠/٤.

(٢) الأرشيف العثماني في إسطنبول بتاريخ ٢ رجب ١٣١٥ هـ، رقم ١٧٠/٤٨.

(٣) الأرشيف العثماني في إسطنبول بتاريخ ٩ رجب ١٣١٥ هـ، رقم ٩٠/٢٥.

ونحن لا نعرف مضمون برقية الشيخ جاسم، ولكن تحليل هذه الوثائق يشير إلى مدى الترهل الإداري والضعف التنظيمي الذي أصاب الدولة العثمانية. ففي برقية سابقة، وردت اتهامات مباشرة لوالي البصرة بالفساد. وفي هذه الوثيقة تعدل اللجنة الوزارية عن قرارها بتعيين مبارك في منصب قائم مقام الكويت بناء على برقية، ثم قررت تعيينه في العام نفسه. واستغرق الأمر ثلاثة أشهر في داخل أروقة اللجان العثمانية حتى وصل إلى اللجنة الوزارية الخاصة برئاسة الصدر الأعظم رفعت باشا التي أوصلت «بتكليف رجب افندي نقيب الأشراف في البصرة العمل من أجل جلب مبارك الصباح إلى البصرة»<sup>(١)</sup>.

وفي العام نفسه، تسلمت رئاسة الديوان الهمايوني برقية شفوية من ولاية البصرة حملت توقيع واليها، وتوقيع قائد قواتها الفريق محسن باشا جاء فيها أن الشيخ جاسم الثاني قائم مقام قطر مصر على الدفاع عن صيانة حقوق ورثة أخوي الشيخ مبارك، وأنه «لا يثنيه عن عزمه شيء إلا حصول الورثة على حقوقهم أو صدور أمر إليه من الباب العالي بالانسحاب». وأوصي كل من والي البصرة وقائدها العسكري بتعيين مبارك الصباح في قائم مقامية الكويت، وتأمين حقوق الورثة، واستخدام الوسائل السريعة لحمل جاسم الثاني «على التزام جانب الطاعة والانقياد لأوامر الدولة العلية وإعلامه أنه سيكون مسؤولاً أشد المسؤولية عن كل مخالفة يرتكبها»<sup>(٢)</sup>.

وانعقدت اللجنة الوزارية الخاصة للبحث في مضمون هذه البرقية وقررت «توجيه إنذار إلى الشيخ جاسم الثاني وتحذيره من التصدي للكويت، وإرسال قوة عسكرية إلى الكويت بقيادة الفريق محسن باشا وإخفاء الهدف المقصود من إرسالها والتظاهر بأن ذلك من جملة

(١) الأرشيف العثماني في إسطنبول بتاريخ ٩ شوال ١٣١٥ هـ، رقم ٢٩/٩١.

(٢) الأرشيف العثماني في إسطنبول بتاريخ ٢٢ رجب ١٣١٥ هـ، رقم ٥٦/٩٠.

التدابير العسكرية المتخذة إزاء ما يبتهه جاسم الثاني من مهاجمة الكويت وغزوها»<sup>(١)</sup>.

ولم يتوقف الشيخ جاسم الثاني عن خصومته مع الشيخ مبارك. ففي ٢٧ يناير/ كانون الثاني ١٨٩٨، أرسل شيخ قطر إلى السلطان برقية يعلن فيها تبعيته وتأييده لجناب صاحب الخلافة، ويتهم مشير الجيش السادس بتلقي رشاوى من مبارك الصباح، وتقديم صورة خاطئة عما يحدث في الكويت. وحضّ الشيخ جاسم السلطات العثمانية على التدخل العسكري في الكويت مضيفاً أن الكويت «بلد معمور ومستقل عن إدارة الدولة العلية وسياستها، فتقتضي المصلحة اغتنام هذه الفرصة لضبطه وتسخيره»<sup>(٢)</sup>.

ولم يقف مبارك ساكناً إزاء تلك التطورات، وأراد أن يث الرعب والخوف بين أنصار جاسم بما يثنيهم عن القيام بأي عمل ضد الكويت وقبائلها مستقبلاً. لذلك، فقد هاجم في أبريل/ نيسان ١٨٩٨ إحدى القبائل التي كانت تحت حماية الشيخ جاسم، وهي قبيلة «الحوير»، واستولى على عدد كبير من ماشيتها ودوابها. وتصور جاسم أن مباركاً لم يقدم على هذا الفعل إلا بدعم من العثمانيين، فقامت قواته بالهجوم على الحامية العثمانية في قطر مما أسفر عن وقوع عدد من القتلى من الجانبين.

كما قام الشيخ مبارك في يوليو/ تموز من العام نفسه بحملة عسكرية ضد قبيلة «بني هاجر» لقيامهم بعمليات السطو والنهب، وكانت هي أيضاً من القبائل التي تدين بالولاء للشيخ جاسم. واشتكى شيخ قطر إلى الدولة العثمانية باعتبار أن الغنائم التي استولت عليها قوات شيخ الكويت من بني هاجر تتضمن بعض ممتلكاته. ورفض العثمانيون التدخل

(١) الأرشيف العثماني في إسطنبول بتاريخ ٢٤ رجب ١٣١٥هـ، رقم ٥٦ / ٩٠.

(٢) الأرشيف العثماني في إسطنبول بتاريخ ٢٧ يناير/ كانون الثاني ١٨٩٨ d، رقم ٢٩ / ٩١.

في البداية مما يشير إلى أن تحركات الشيخ مبارك خدمت مصالحهم في قطر. وفي مرحلة تالية، سعت السلطات العثمانية إلى التقريب بين شيخي الكويت وقطر من دون نجاح يذكر<sup>(١)</sup>.

واستمرت حالة العداء بين الشيخين. ففي عام ١٩٠٨، دعم الشيخ مبارك العصيان الذي قامت به قبيلة البوعينين في مدينة الوكرة في قطر التي اتهمت الشيخ جاسم وابنه عبد الرحمن شيخ الوكرة وأنصارهما بأنهم يسعون إلى إبعادهم عن أراضيهم التي عاشوا فيها أباً عن جد. وفي نوفمبر/ تشرين الثاني من العام نفسه، أرسلوا إلى والي البصرة يطلبون منه إرسال حامية عثمانية لحماية وجودهم في أراضيهم. وتدخل المعتمد البريطاني في البصرة، بناء على التعليمات التي جاءت من السير إدوارد جراي وزير الخارجية في ١٥ ديسمبر/ كانون الأول، وأبلغ الحكومة العثمانية بعدم اعتراف لندن بحق الدولة العثمانية في التدخل. وبالفعل، تُرسل أي حامية عسكرية لحماية القبيلة.

وإزاء هذا التطور، شعر قادة القبيلة أنه لم يعد من الممكن الاستمرار في إقامتهم في قطر، فطلبوا الرحيل إلى المناطق التي يسيطر عليها شيخ البحرين عيسى آل الخليفة فلم يستجب لمطلبهم، فوجهوا الطلب إلى الشيخ مبارك الذي رحب بهم، وأسكنهم منطقة «قصر الصبية» التي انتقلوا إليها في أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٠٩، وكان عددهم أكثر من ألف رجل. وبعد فترة اتجهوا إلى ساحل الأحساء وأسسوا مدينة الجليل سنة ١٩١١(٢).

(١) نورية محمد ناصر الصالح: علاقات الكويت السياسية بشرق الجزيرة العربية والعراق العثماني ١٨٦٦-١٩٠٢ (الكويت: منشورات دار السلاسل، ط ١، ١٩٧٧)، ص ص ٥٧-٥٨.

(٢) عبد العزيز محمد المنصور: مرجع سابق، ص ص ١٦٢-١٦٥.

## رابعاً: الدعوة لاستقلال العرب

ارتبطت العلاقات العثمانية - الكويتية، وبصفة عامة العثمانية - العربية، بالتطورات السياسية التي شهدتها الدولة العثمانية في السنوات الأولى من القرن العشرين. فمع تنامي حركة الإصلاح والرغبة في تجديد دماء الإمبراطورية على يد جماعة الاتحاد والترقي التي قامت بانقلابها الدستوري عام ١٩٠٧، وتولي ما عرف وقتذاك باسم «الأترك الجدد» السلطة، وإعلانهم دستوراً جديداً عام ١٩٠٨، وخلع السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٩ وتولي أخيه محمد رشاد الحكم، ازدادت مخاوف العرب وهو اجسهم.

فمن قبل، نظر جمهرة العرب إلى الدولة العثمانية باعتبارها «حاضرة الخلافة» والدولة الوريثة للخلافة الإسلامية، والتي يمتد سلطانها المعنوي على كل أرجاء بلاد العرب. ولكن مع وصول جماعة الاتحاد والترقي إلى السلطة، أدرك العرب وجهاً جديداً لإسطنبول بعث فيهم مزيداً من الخوف، فقد لجأت الدولة العثمانية إلى اتباع سياسة مركزية تهدف إلى ممارسة السيطرة الفعلية على الولايات والمناطق التابعة لها في الخليج، وعدم الاكتفاء بالسيادة القانونية أو الرمزية. كما سعى حزب الاتحاد والترقي الحاكم إلى القضاء على أي نفوذ محلي غير تركي يكون من شأنه الحد من سلطة الولاية في الولايات التابعة للدولة.

وازدادت العلاقة مع العرب تدهوراً عندما تطورت حركة الجامعة العثمانية إلى «الحركة الطورانية»، التي دعت صراحة إلى تفوق «الجنس التركي»، وإلى جعل اللغة التركية هي اللغة الرسمية الوحيدة في الأقاليم العثمانية. وهو ما أثار ثائرة القيادات السياسية والفكرية العربية، وزاد من معاداتهم لسياسات الدولة العثمانية في عهد أنصار «تركيا الفتاة». وقد أدت هذه السياسات إلى صراع مباشر مع الشيخ مبارك ومع كل القيادات العربية التي هدفت إلى استقلال العرب.

لقد كان الشيخ مبارك يعتقد أن العرب هم أصحاب الخلافة الإسلامية، وأنهم أحق بها من بقية الشعوب والأمم. ومع ذلك، فمحافظة على وحدة المسلمين حرص على بقاء علاقات المودة مع الدولة العلية، وكان يدعو إلى وحدة العرب والأتراك. تكشف عن ذلك مبكراً مجموعة المقالات التي كتبها تاجر السلاح الفرنسي جوجيه - الذي أشرنا إلى دوره في الفصل الأول - في أبريل / نيسان ١٩٠٥، والتي أشار فيها إلى مناقشاته مع الشيخ مبارك حول مستقبل العرب وإلى سياسة الشيخ من أجل تحجيم كل من التدخل العثماني والبريطاني في الكويت<sup>(١)</sup>.

وفي حديث للشيخ مع عبد المسيح إنطاكي عام ١٩٠٧، انتقد مبارك تشجيع الدولة العثمانية للنزاعات بين شيوخ العرب وأمرائهم، وذكر أن الأتراك ربما «يخافون من اتحاد العرب لئلا يطالبونهم بالخلافة» وأن هذه المخاوف ليس لها أساس «وهي من جهلهم بحقيقة العرب. وهؤلاء آل سعود حاربوا الدولة مدة طويلة حتى دخلوا المدينة المنورة ومكة المكرمة ومع ذلك لم ينادوا بالخلافة بل لم يخطر ذكرها على قلب واحد منهم. وأنا جميعاً نعرف أن لكل زمان دولة ورجالاً، وأن دولة ورجال هذا الزمان هم

B. j. Slot, Mubarak Al -Sabah. Founder of Modern Kuwait 1896-1915, (١) Op.cit, p. 279, p 383.

الأتراك، فبقاء الخلافة فيهم مما يعز راية الإسلام ويؤيد كلمة المسلمين». وأضاف الشيخ أن اتحاد العرب مع الأتراك «ليس ممكناً فقط بل هو واجب محتم والمسلم الحقيقي الصادق في إيمانه هو الذي يسعى في التوفيق بين الأمتين»، وأن سبيل ذلك يكون «قبل كل شيء بإصلاح الدولة العثمانية حتى لا يبقى فيها أثر لهؤلاء الخائنين المرتشين الذين يبيعون حقوق عباد الله ويضحون بمصالح الدولة لمنافعهم»، وأنه «إذا تولى شؤون الدولة المصلحون الحقيقيون الذين يضحون بمصالحهم في سبيل مصلحة الخلافة والإسلام حينئذ يمدون لنا يد الولاء فنصافحهم على السراء والضراء وحينئذ يرون من أمراء العرب قوى لا تقهر وسياجاً لا يخترق بإذن الله، ووالله ما منا أمير أو شيخ أو كبير إلا يبذل نفسه وأمواله ونفوذه في سبيل الدفاع عن الخلافة العثمانية والإسلام. وها أنا إذا لو أصفت لي الدولة الإخلاص والود لأغنيتها عن الفيلق الهمايوني السادس المخيم في بغداد بجملته إذا شاءت ذلك». وأنهى الشيخ حديثه بقوله «وإني أؤكد لك ولكل إنسان بأن العرب بجملتهم أشد إخلاصاً للخليفة من الترك أنفسهم وإذا كان بعضهم منحرفين عن الدولة فذلك لمظالم عمالها أصلحهم الله»<sup>(١)</sup>.

المعنى نفسه أكده الشيخ مبارك للشيخ رشيد رضا عند زيارته الكويت عام ١٩١٣، فذكر له أن الدولة العثمانية أساءت إليه وسعت إلى فرض سيطرتها على الكويت وإخراجه منها. ويذكر الشيخ رضا أن مباركاً «سألهم ما هو ذنبه الذي استحق به النفي من بلده وعشيرته؟ وذكر نقيب البصرة بما يعرفه من إخلاصه (أي إخلاص مبارك) وإعانتها لها بالمال عند كل حادثة. فما كان من تدخل الإنكليز في أمر الكويت لم يكن بطلب مني بل كان هذا سببه. وقد عرضوا علي أن أختار لنفسي راية أرفعها على البلد

(١) عبد المسيح إنطاكي بك: الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة، مرجع سابق، ص ص

وأعلن الاستقلال تحت حمايتهم فأبیت ذلك وهذه الراية العثمانية تراها كل يوم مرفوعة فوق رأسي»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الاتجاه، كتب إبراهيم حلمي من بغداد مقالاً في جريدة فتى العرب البيروتية عام ١٩١٤ عن ماضي الجزيرة ومستقبلها، أشار فيه إلى توتر العلاقات بين أمراء العرب والسلطة العثمانية، وأنه «لا سبيل إلى الخروج من هذا المأزق إلا باتباع سياسة رشيدة في إدارة الأمصار العربية والتشهير عن ساعد الجدل لنشر لواء التمدين في هاتيك الربوع وتوحيد المساعي بين الأمراء والزعماء وتأليف قلوبهم واستجلاب رضاهم، حتى إذا نهضت البلاد نهضة علمية وعرفت الشعوب العربية ما لها وما عليها من الحقوق والواجبات استطاعت الدولة أن تؤلف قطعة عربية كبرى تحت سلطتها فتوحد تلك الإمارات، ومتى لاقى هذا الاقتراح استحساناً وقامت به ثلة من رجال الدولة فقل إن مستقبل الجزيرة سيكون باهراً زاهراً»<sup>(٢)</sup>.

مثلت هذه البيئة المناخ السياسي والفكري الذي نشأت في إطاره الحركات السياسية والتيارات الفكرية المطالبة بالإصلاح، وتحقيق اللامركزية في الحكم، واستقلال العرب عن الدولة العثمانية. كان أول رد فعل لزعماء المنطقة مبارك وخزعل وطالب النقيب هو السعي إلى مهادنة الحكام الجدد في إسطنبول، وكسب ثقتهم. ومن أجل هذا الهدف انضم الشيخان مبارك وخزعل إلى جمعية الاتحاد والترقي. ومن واقع الممارسة العملية، والسياسات التي اتبعتها ولاية البصرة، اتضح للشيخين استحالة نجاح سياسة المهادنة<sup>(٣)</sup>.

(١) المنار، مجلد ١٦ (١٩١٣)، ص ٣٩٦-٣٩٩ يوسف أيبش (جمع وتحقيق): رحلات الإمام محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ص ٧٢.

(٢) إبراهيم حلمي: ماضي الجزيرة ومستقبلها، فتى العرب (بيروت: ٢٦ أبريل/ نيسان ١٩١٤).

(٣) حسين خلف الشيخ خزعل: مرجع سابق، ص ٨٠-٨١، و ص ٢٢٨.

واتسمت علاقة الشيخ مبارك بولاية البصرة من القادة الجدد بتوتر كبير أدى إلى شن جريدة «طنين» المعبرة عن توجهات حزب الاتحاد والترقي حملات هجوم عنيفة ضده بقلم إسماعيل حقي الذي اقترح ضرورة إرغام الشيخ بالقوة على إعلان ولائه للدولة العلية. ولم يكتف الاتحاديون بذلك، بل استخدموا سعدون باشا شيخ قبائل المنتفق لشن هجوم عسكري على قوات مبارك، وذلك في موقعة هدية في يونيو/ حزيران ١٩١٠، والتي انتهت بهزيمة الكويتيين.

ومع أن غالبية البحوث والدراسات ربطت بين وصول حزب الاتحاد والترقي إلى السلطة في الدولة العثمانية، وبين بروز الاتجاهات الاتحادية العربية من ناحية أخرى، فإن الشيخ مباركاً أفصح عن هذا التوجه مبكراً. ففي يونيو/ حزيران ١٨٩٨، أرسل الشيخ خطاباً إلى جاسكن يخبره فيه أن أسرة السعدون في المنتفق ترغب في تحرير نفسها من سلطة الأتراك. وعلق جاسكن على ذلك بأنه ربما يكون الشيخ مبارك هو الذي يروج لأفكار عن تكوين «ائتلاف عربي كبير» في ظل النفوذ البريطاني. وذكر أن الشيخ مباركاً رجل طموح جداً، وأنه بعد توقيعه اتفاق الحماية مع بريطانيا «يحاول إقامة اتحاد بين القبائل العربية الكبرى تحت سلطته ليكون اتحاداً قوياً بدرجة كافية لمواجهة الاعتداءات التركية. وأنه إذا كان الأمر كذلك، فإن عليه أن يقدم لهؤلاء الناس مبررات كافية تجعلهم يصدقون أن هناك قوة خلفه تدعمه وتقوم بطرد الأتراك، وذلك حتى يشجعهم على الدخول معه».

وساهم الشيخ مبارك في الحركة العربية ضد سياسة التتريك، فاشترك مع السيد طالب النقيب والشيخ خزعل في إنشاء فرع لحزب «الحرية والائتلاف» الذي دافع عن سياسة اللامركزية، وعارض توجهات حزب «الاتحاد والترقي» الداعم لسياسة تشديد قبضة الدولة العثمانية

على المناطق العربية وطبعها بالطابع التركي، وقد تأسس هذا الفرع في البصرة في أغسطس/ آب ١٩١١. كما أيد مبارك جمعية البصرة الإصلاحية التي أسسها السيد طالب النقيب في فبراير/ شباط ١٩١٢ والتي هدفت إلى تطبيق نظام اللامركزية الإدارية في الولايات العثمانية. ويصل المؤرخ محمود علي الداود من تحليله لتلك التطورات إلى أنه «ويمكن القول من دون مبالغة إن الدور السياسي البارع الذي أحسن القيام به كل من الشخصيتين العظيمتين، خزعل ومبارك، كانت بداية بالغة الخطورة بالنسبة إلى ظهور الدول والإمارات الحديثة ومن ثم الحركات القومية العربية في حوض الخليج العربي».

وفي هذا السياق، اشترك الشيخ مبارك في عدد من المؤتمرات مثل مؤتمر الفيلية (عاصمة المحمرة) في مارس/ آذار ١٩٠٩، والذي انعقد في قصر الشيخ خزعل، وحضره الشيخ خزعل وسعدون باشا زعيم قبائل المنتفق وعدد من رؤساء عشائر العمارة والقرنة من عشائر العراق، كما حضره أيضاً عبد الوهاب القرطاس عضو مجلس إدارة لواء البصرة والسيد يوسف رجب النقيب، وذلك بهدف جمع كلمة هؤلاء الزعماء العرب، والمطالبة بحقوقهم في ولاية البصرة. وكرد فعل لذلك، عينت الدولة العثمانية سليمان بك نظيف والياً على البصرة في نوفمبر/ تشرين الثاني من العام نفسه، وكان من أكثر الولاة معاداة للعرب.

وعندما ذاع خبر نية عباس حلمي خديوي مصر تأدية فريضة الحج عام ١٩٠٩، أجرى الشيخ مبارك مع عبد العزيز بن سعود والشيخ خزعل وغيرهما من الشيوخ والأمراء العرب مشاورات بشأن اقتراح مقابلته للخديوي ومناقشة فكرة نزع الخلافة من الأتراك وإعادةها إلى العرب. كما ناقشوا إمكان عرض الخلافة الإسلامية عليه بحكم أنه يرأس أكبر البلاد العربية، ولكنهم وجدوا أنه ينقصه شرط رئيسي، وهو أنه ليس قرشياً

عربياً. لذلك، اتجهت أنظارهم نحو الشريف حسين بن علي أمير مكة، والذي كان الشيخ مبارك يرأسه، ويكن له مشاعر الود والاحترام<sup>(١)</sup>. كما شارك الشيخ مبارك في مؤتمر المحمرة عام ١٩١٣ الذي انعقد خلال انهماك الدولة العثمانية في حرب البلقان، وبحضور خزعل والنقيب أيضاً، وذلك للبحث في مستقبل العراق والمطالبة باستقلاله، وللتخطيط لمستقبل السياسة العربية بعد تردي العلاقات العربية التركية. وتصدت الصحافة العثمانية لهذه الاجتماعات بالهجوم، واتهمت المشاركين فيها بالعمل على إضعاف نفوذ الدولة العثمانية.

استمرت السلطات العثمانية في سياستها، وأصدرت قانون الولايات الذي دعم الاتجاه المركزي، وفرض سلطة الدولة بشكل فعلي عليها. وأعلن السيد طالب النقيب رفضه للقانون، وطلب من والي البصرة إبعاد الموظفين العثمانيين المعادين للعرب، وأرسل لحليفه مبارك وخزعل لنجدته بالسلاح والعتاد، وهو ما استجاب إليه مبارك بسرعة. وتدهور الموقف الأمني في البصرة مما دعا السيد النقيب إلى التخطيط لعقد مؤتمر الكويت يجمع زعماء الجزيرة العربية لبحث مستقبل العرب وحل مشكلاتهم.

وفي بداية عام ١٩١٤، وُجّهت الدعوة إلى الشريف حسين، والأمير عبد العزيز آل سعود، والأمير سعود الرشيد، وعجمي باشا السعودون، والشيخ خزعل، والسيد طالب النقيب لحضور المؤتمر. وبسبب اعتذار عبد العزيز آل سعود عن عدم الحضور، وكذلك عدد من المدعوين، لم ينعقد المؤتمر<sup>(٢)</sup>.

ويؤكد ما تقدم أن الكويت لم تكن منعزلة أو بعيدة عن الحركات

(١) حسين خلف الشيخ خزعل: مرجع سابق، ص ص ١٧٠-١٧١.

(٢) المرجع السابق، ص ص ٢٧٥-٢٧٦.

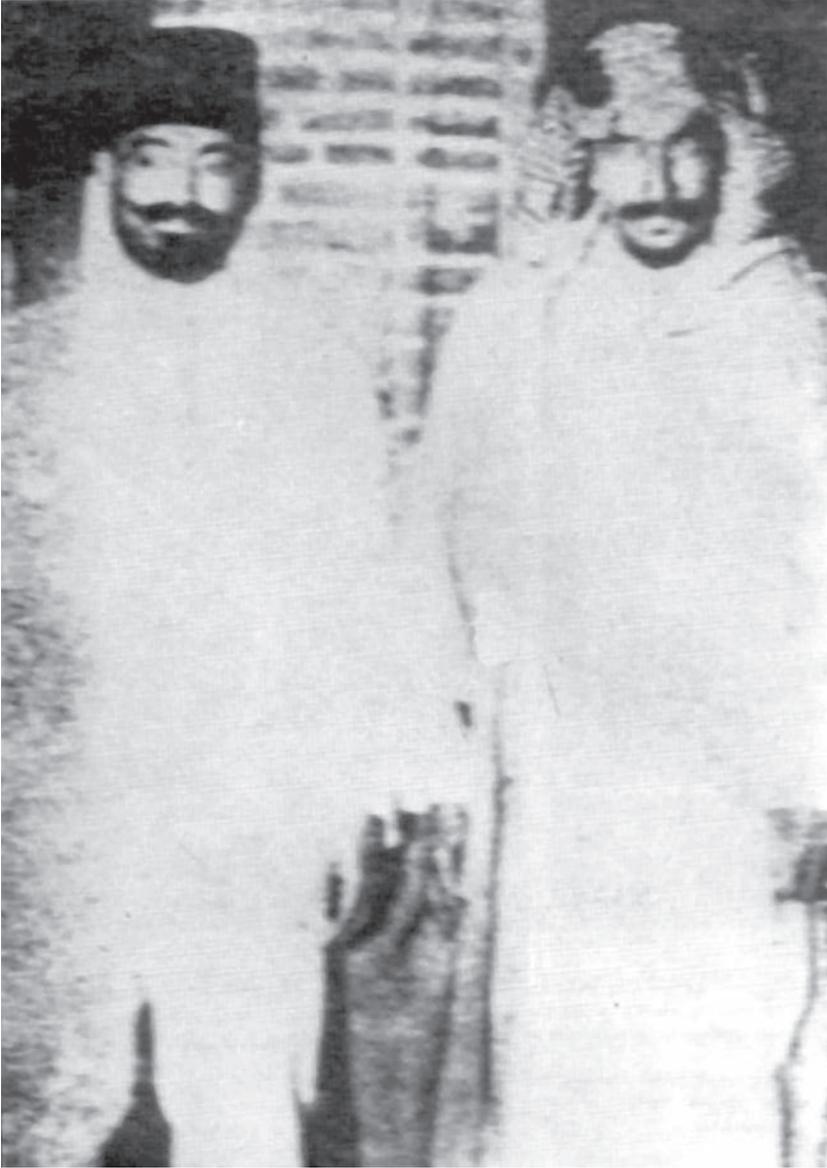
العربية التي ظهرت في المشرق العربي مدافعة عن حقوق العرب، ومطالبة الدولة العثمانية بمزيد من اللامركزية وحق العرب في حكم أنفسهم، وأن الشيخ مباركاً كان أحد رموز هذا الاتجاه.



الشيخ مبارك على صهوة جواده في استقبال اللورد كيرزن عام ١٩٠٣. وأحد جنوده يرفع أول علم يحمل اسم الكويت.



قصر السيف الذي بناه الشيخ مبارك عام ١٩٠٧.



الشيخ مبارك مع طالب النقيب - نقيب أشراف البصرة عام ١٩١٤.



صورة للشيخ مبارك والى يمينه الامير عبد العزيز آل سعود مع مجموعة من الأسرتين عام ١٩١٠.

منفصل حائل هذه الورقة عبد الله بن محمد الخليل بن اهل بلدتنا الكويت اباع محمد بن ابي  
 وسكن في الكويت وضمته التجاره والعبانة فخر له هذه الشهادة وسلمت بها كيدتي  
 ١٣٢٩ هـ  
 حاكم الكويت  
 مبارك  
 الصاع  


صورة من الشهادة التي اصدرها الشيخ لاثبات هوية التجار الكويتيين.

الواقفون على مرسومنا هذا من الساكنين بالبحار  
 والساكنين بالبنادر من جميع الدول العضام المتحابه  
 منخصوص البفلة السماء السامي ملك عبد اللطيف  
 ابن عيسى ابن حجي هومن جماعتنا اهل الكويت ونابعنا  
 توكل من حكم درابن الدول العضام المتحابه اذا نظر  
 اليه ووقفو عليه ان يعاملوه بالمعاملة اللائمه  
 كما جرت به اصول وفوائن وشرائط وروابط  
 الدول المتحابه هذا واصدرناه وبينا نقله لمانه  
 كيدتي ٢٠ ذي القعدة ١٣٣١ هـ  
 حاكم الكويت  
 مبارك الصاع  


صورة من الشهادة التي أصدرها الشيخ مبارك للسفن الكويتية.

تعهد الشيخ مبارك بن صباح حاكم الكويت

اني قد قبلت ان ا منع كلينه دخول الاسلحة في الكويت والمخروج منها  
 وادخل اجسادكم هذا المنع قد صدرت اعلانا واشتهارا الى كافة  
 المباشرين بهذا الامر تخبروا باليوم الرابع والعشرين من شهر محرم الحرام ١٣١٨  
 مطابق ليوم الرابع والعشرين من شهر ربيع سنة ١٩٠٠ (صلى الله عليه وسلم)

تعهد الشيخ بمنع التعامل بالأسلحة في الكويت.

## من شيخ مبارك بروجي حاكم الكويت

فلعلكم الواقفون على كتابنا هذا ان مناورد الدولة بالهيئة القيصرية انكليس  
 ومناورد الدولة العلية الايران لهم اجازة ان يفتشوا السفن التي عليها بيرة الملك  
 الفخيمتين المذكورين ويرقنا في البحر المتعلق على الكويت وان يقبضوا  
 بطريق بيت المال جميع التفقاك وساير الاسلحة الحربية الموجودة فيها  
 اذ كانت الاسلحة الموجودة محمولة الى بنادر الهند ومالك العجم فجميع سفن  
 اهالي الكويت من مصادقهم في البحر المتعلق بالهند وبالايران بمناورد  
 الدولتين الفخيمتين انكليس والايران اذا اُظن فيها حمل الاسلحة الى بنادر  
 الهند ومالك الايران والكويت تكون معرضا لتفتيش المناورد المذكور  
 وجميع الاسلحة التي توجد فيها ستقبض بطريق بيت المال تحريماً اليوم الرابع  
 من شهر محرم الحرام سنة ١٢١٨ مطابقاً ليوم الرابع من شهر ربيع الثاني سنة ١٩٠٠  
 (سنة الصاع)

وثيقة موافقة الشيخ للسفن البريطانية والايرانية بتفتيش السفن بحثاً عن السلاح المهرب.

ورقة الأجازة للأخشاب في حمل الأسلحة لأجل عا فظة نفيهم

- (١) شكل الخشبة  
 (٢) اسم مالك الخشبة (مع اسم أبيه)  
 (٣) رعيتة من صاحب الخشبة  
 (٤) اسم النخلة (مع اسم أبيه)  
 (٥) عدد الجارية  
 (٦) عدد الأسلحة لأجل المحافظة واتساعها

انتم اعطي التصديق بأن الخشبة المذكور لفا صيها فرق نضد بقينا هذا  
 متعلقة الى

احد عا يا  
 والشروحات المذكورة اعلاه صحيحة

مصحيح الشيخ  
 تاريخ

عمل

صورة من الشهادة التي اصدها الشيخ مبارك لاثبات الأسلحة المصرح بها على السفن للدفاع عن النفس.

## من شيخ مبارك بن صباح حاكم الكويت

فليعلم الواقفون على كتابنا هذا بان معاملات الاسلحة في ممالك  
 الهند واليران ممنوعة فلذلك اردنا نعمل انما ما حد المقدور ان  
 نساعد الدولة اليمنية القيصرية الزكليس والدولة العلوية اليران في قطع  
 هذه المعاملة المخالفة للقانون فبموجب هذه الورقة نصح بان من  
 تايخ هذا الاملان دخول التفوق والفسق وسائر الاسلحة وخرجهما  
 مطلقا ممنوع في الكويت وتوابعه وجميع التفقان وسائر الاسلحة التي  
 تجلب في المستقبل في الكويت او تخرج منه سبقيض بغير بيت المال  
 تحريراً باليوم الرابع والعشرون من شهر محرم الحرام سنة ١٢١٨ مطابق للاربع والعشرين من شهر رجب سنة ١٢١٧  
 (الصادق)

تعهد الشيخ بمحاربة تجارة الاسلحة.

---

## الفصل الخامس

# الصراع الدولي حول الكويت

«...واستغل مبارك في سياسته بحنكة وبراعة التناقضات الإنكليزية - التركية، والإنكليزية - الروسية، والإنكليزية - الألمانية، بل ولم يغفل الرجل عن استغلال أيضاً الخلافات بين السلطات الإنكليزية الهندية بزعامة اللورد كيرزون والحكومة البريطانية في لندن، وبين السلطات المدنية والعسكرية في البصرة وبغداد، وكذلك بينها وبين الحكومة في الاستانة».

غيورغي بونداريفسكي:  
الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن  
التاسع عشر وأوائل القرن العشرين



---

## الفصل الخامس

# الصراع الدولي حول الكويت

مثلت فترة حكم الشيخ مبارك للكويت مرحلة فاصلة ونقطة تحول في تاريخ منطقة الخليج. فمن ناحية، شهدت هذه المرحلة تعاظماً للتنافس بين الدول الأوروبية لتكريس نفوذها في المنطقة، وتوضح المراسلات الدبلوماسية لممثلي هذه الدول في إمارات الخليج جو التنافس المحموم بينها. ومن ناحية أخرى، شهدت هذه الفترة محاولة إحياء مؤسسات الدولة العثمانية التي بدأها مدحت باشا رئيس الوزراء. ولكن هذه الجهود لم تنجح في وقف تدهور أحوال الإمبراطورية، ولم توقف سعي الدول الأوروبية إلى تقسيم تركية رجل أوروبا المريض. وفي العام السابق على وفاة الشيخ، نشبت الحرب العالمية الأولى التي انتهت بتفكك أوصال الدولة العثمانية.

وانعكست هذه التحولات الدولية على الوضع في الكويت، فالدولة العثمانية لم تملك من القدرة الاقتصادية او العسكرية ما يمكنها من فرض نفوذها على أقاليمها. وفي المقابل، برزت أدوار دول أوروبية صاعدة لها مصالحها في منطقة الخليج، وفي الكويت خصوصاً، كان أبرزها بريطانيا التي نجحت في عقد سلسلة من الاتفاقيات مع شيوخ الساحل الغربي

من الخليج، وسيطر أسطولها البحري على مياهه، وسعت للحد من نشاط الدبلوماسية الألمانية والفرنسية والروسية لإيجاد مناطق نفوذ لها في الخليج.

فألمانيا التي حققت وحدتها القومية متأخراً في عام ١٨٧٠، طمحت في توسيع مصالحها الاقتصادية في مناطق الدولة العثمانية، فسعى زعيمها بسمارك إلى توثيق علاقاته مع إسطنبول بهدف الحصول على امتيازات مالية وتجارية فيها. وواصلت روسيا سعيها للوصول الى المياه الدافئة في الخليج. اما فرنسا والتي كانت قد نجحت في إبعاد النفوذ الإنكليزي عن عملية حفر قناة السويس وإدارتها بعد افتتاحها عام ١٨٦٩، فقد حرصت على أن يكون لها نصيبها في تركة الرجل المريض. وفي خضم هذا التنافس، تغيرت المواقف وتبدلت، ففي العقد الأخير من القرن التاسع عشر، تقاربت مصالح روسيا وفرنسا مما أفقد بريطانيا سيطرتها البحرية في البحر الأبيض المتوسط، كما حدث تقارب آخر بين ألمانيا والدولة العثمانية.

في هذا السياق، برزت الأهمية الاستراتيجية للكويت. وكانت كل المشاريع الأوروبية لإقامة خط سكة حديد يصل إلى الخليج ينتهي في الكويت. وحسب وصف مندوب جريدة الأهرام المصرية في مسقط في عددها الصادر في ١٦ سبتمبر/أيلول ١٩٠٤، فإن «الكويت مهمة جداً لأنها هي مدخل المنطقة بأسرها، فمنها يمتد الطريق الوحيد إلى داخل الجزيرة العربية، ومن الكويت أيضاً يخرج الطريق إلى العراق وبلاد ما بين النهرين، فالطريق من الكويت إلى العراق يتلافى العقبات الموجودة في شط العرب وفروعه».

وعبر عن المعنى نفسه المبعوث الدنماركي رونكير في مذكراته بقوله «إن القوة الرئيسية التي تتحكم في الكويت ستبقى هي القوة

التي تتحكم بشط العرب»<sup>(١)</sup>.

كان على مبارك أن يتعامل مع هذه التطورات، وان يبق على خطوط الاتصال مع أكثر من طرف في الوقت نفسه، وخصوصاً إسطنبول ولندن، وأن يراهن على الجواد الرابع في كل مرحلة، وأن يستفيد من هذا التكالب الأوروبي على ممتلكات الدولة العثمانية بهدف المحافظة على استقلال بلاده وعدم تدخل القوى الأجنبية في إدارة الشؤون الداخلية للكويت. وعبر عن ذلك الكاتب البريطاني غريفز مؤلف الكتاب الرئيسي عن قصة حياة السير بيرسي كوكس المقيم السياسي البريطاني في الخليج بقوله «إن الشيخ مباركاً كان سياسياً وديبلوماسياً وجندياً استطاع التصدي للضغط الممارس عليه، سواء من القوى العسكرية المتصارعة في شبه الجزيرة العربية أو من الأتراك في العراق»<sup>(٢)</sup>.

لقد شرحنا في الفصل الأول تطور التنافس العثماني - البريطاني، وكيف أن الشيخ مباركاً سعى إلى الاستفادة منه بحيث يتقرب أحياناً إلى هذا الطرف، وأحياناً أخرى إلى الطرف الآخر، وأن توافق المصالح بين الشيخ والإنكليز أدى إلى توقيع اتفاق ١٨٩٩، والذي كان آخر الاتفاقات التي وقعت مع إمارات الخليج العربي ومشيوخه. وكان هدف بريطانيا من هذه الاتفاقات المحافظة على سيطرة أسطولها البحري في الخليج، وامتلاك

(١) باركلي رونكير (نقله من الإنكليزية إلى العربية منصور محمد الخريجي): عبر الجزيرة العربية على ظهر جمل، مرجع سابق، ص ٧٣. وكذلك محمد بن إبراهيم الشيباني (إعداد): الكويت كما رأها السياسي الدنماركي باركلي رونكير، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٢) غانم سلطان: جوانب من شخصية الكويت (الكويت: مؤسسة علي الصباح للنشر والتوزيع، ١٩٩٠)، ص ١٢٠. انظر كذلك في هذه التطورات لفتنانت كولونيل سير أرنولد ت. ويلسون (ترجمة محمد أمين عبد الله): تاريخ الخليج (مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨١)، ص ١٧٩-٢٠٣. وفي سياسات الدول الأوربية تجاه الخليج، وخصوصاً الكويت انظر بدر الدين عباس الخصوصي: دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر (الكويت: منشورات ذات السلاسل، ١٩٨٨)، ص ١٥-١٧٧.

القدرة على إغلاق موانئه أمام أساطيل الدول الغربية المنافسة. وكان من الطبيعي أن تبرر بريطانيا هذه السياسة في شكل أهداف نبيلة وعبارات ديبلوماسية مثل تحقيق «السلام البحري في مياه الخليج»، ومكافحة أعمال السلب والقرصنة التي هددت حركة التجارة في مياهه.

ظلت الكويت بعيدة عن السعي البريطاني لإبرام هذه المعاهدات حتى نهاية القرن التاسع عشر عندما اتضح توجه الدولة العثمانية إلى بناء خط سكة حديد تنفذه شركات ألمانية، وأنها أعطت امتيازاً بهذا الشأن للكونت الروسي كابنست، وأنه في كلا المشروعين كانت الكويت هي نقطة النهاية له.

أما مشروع كابنست، فقد تمثل في منح الحكومة العثمانية في ٣٠ ديسمبر/ كانون الأول ١٨٩٨ امتياز إنشاء خط للسكك الحديدية يمتد من ميناء طرابلس على البحر الأبيض المتوسط، ويمر عبر مدينتي حمص وبغداد، وصولاً إلى الكويت. وكان من شأن هذا المشروع، في حال تنفيذه أن يوفر للدولة العثمانية القدرة على النقل السريع لقواتها العسكرية إلى الكويت ومنطقة الخليج.

المشروع الآخر الذي أوجب التنافس الأوروبي الاستعماري هو خط سكة حديد برلين-بغداد، الذي كان ثمرة للتقارب العثماني - الألماني في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، والذي هدفت منه ألمانيا إلى الحصول على مصالح اقتصادية وتجارية في المناطق التابعة للدولة العثمانية وأن تفتح أسواق هذه المناطق للسلع الألمانية. في هذا السياق، عرض الألمان على السلطان عبد الحميد فكرة إنشاء خط سكة حديد يربط ميناء البوسفور بالخليج العربي، وذلك بعد أن تم ربط برلين باسطنبول بخط حديد مماثل.

## أولاً: تكريس النفوذ البريطاني في الخليج

يعود الاهتمام البريطاني بالكويت إلى الربع الأخير من القرن الثامن عشر، فعندما استولى الفرس على البصرة تحولت السفن البريطانية الآتية إلى الخليج إلى ميناء الكويت، ومنه تُنقل بضائعها عن طريق البر إلى بلدان المشرق العربي، واستمر ذلك حتى عام ١٧٧٩. وتكرر الموقف في ديسمبر/ كانون الأول ١٨٢١ عندما انتقل مركز المقيم البريطاني، بصفة مؤقتة، من البصرة إلى الكويت بسبب العلاقات المتوترة مع السلطات العثمانية.

كانت بريطانيا ترى أن نشاطها في الخليج العربي جزء متمم لوجودها الاستعماري في مصر والسودان ولضمان نفوذها على قناة السويس، وأن الطريق البري من الكويت والعراق إلى ساحل المتوسط يمثل أفضل طريق لمواصلاتها البرية. وحيال ذلك، كان القرار الدبلوماسي البريطاني بالسعي لتثبيت نفوذها وبسط حمايتها على الكويت. وانصبت سياسة بريطانيا على الاهتمام بتدعيم نفوذها على سواحل شبه الجزيرة العربية، والتحكم في مداخل الخليج، وأن تتجنب بقدر الإمكان الاصطدام

بالقوى الداخلية في شبه الجزيرة<sup>(١)</sup>.

في هذا الإطار، سعت بريطانيا إلى عقد اتفاق مع الشيخ مبارك، وهو ما تحقق في ٢٢ يناير/ كانون الثاني ١٨٩٩ عندما وقع مالكولم جون ميد المقيم السياسي البريطاني في الخليج اتفاقاً، جاء على وتيرة اتفاقات الحماية الأخرى، بالألا يستقبل الشيخ وكيلاً أو ممثلاً لأي دولة أخرى، وألا يتنازل ولا يبيع ولا يرهن ولا يؤجر أي جزء من أراضيه إلى حكومة أو رعايا أي دولة أخرى، من دون موافقة الحكومة البريطانية.

وكان هذا الاتفاق فاتحة لعدد من الالتزامات والاتفاقات التي أعطت لبريطانيا وضعاً متميزاً في الكويت، مثل التعهد بحظر تجارة الأسلحة الذي أعلنه الشيخ في الرابع والعشرين من شهر مايو/ ايار ١٩٠٠ عندما أصدر ثلاثة إعلانات منفصلة:

تضمن أولها تعهداً من جانب الشيخ «أني قد قبلت أن أمنع كلية دخول الأسلحة الى الكويت والخروج منها ولأجل إجراء هذا المنع قد أصدرت إعلاناً واشتهاراً إلى جميع المباشرين بهذا الأمر».

وتضمن، ثانيها، إعلاناً يعطي السفن البريطانية والإيرانية حق تفتيش السفن المملوكة لرعايا كويتيين وترفع بيرق الشيخ، وأن تقوم بمصادرة أي أسلحة توجد عليها من دون رخصة قانونية. ونص الإعلان الذي حمل عنوان: من الشيخ مبارك بن صباح حاكم الكويت «فليعلم الواقفون

(١) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: السلام البريطاني في الخليج العربي ١٨٩٩-١٩٤٧. دراسة وثائقية (الرياض: دار المريخ، ١٩٨١)، ص ١٣-١٥٨. ولنفس المؤلف أمراء وغزاة. قضية الحدود والسيادة الإقليمية في الخليج. دراسة وثائقية (بيروت: دار الساقى، ١٩٩٥). وانظر أيضاً Brian Cooper Busch, : Britain and The Persian Gulf 1894 -1914, Op.cit, pp. 95-132, 187-234, 304-347.

Frederick F. Anscombe: The Ottman Gulf . The Creation of Kuwait, Saudi Arabi and Qatar (New York: Colombia University Press, 1997), pp. 91-112.

على كتابنا هذا أن مناور الدولة البهية القيصرية الإنكليسي ومناور الدولة العلية الايران لهم اجازة أن يفتشوا السفن التي عليها بيرق الدولتين الفخيمتين المذكورتين وبيرقنا في البحر (المتعق) على الكويت وأن يقبضوا بطريق بيت المال جميع التفقان (البنادق) وسائر الأسلحة الحربية الموجودة فيها...» وذلك في حالة الاشتباه بأنها تحمل أسلحة سواء «كانت الأسلحة الموجودة محمولة إلى بنادر الهند أو ممالك العجم».

أما الإعلان الثالث فأشار إلى أن «معاملات الأسلحة في ممالك الهند والاييران ممنوعة»، وأن «دخول التفق (البنادق) والفشق (الطلقات) وسائر الأسلحة وخروجها مطلقاً ممنوع في الكويت وتوابعه». وكما يذكر البيان، فإن هدفه هو مساعدة بريطانيا وإيران في منع هذه المعاملة المخالفة للقانون<sup>(١)</sup>.

وتشير الوقائع - كما سبق شرحه في الفصل الأول - إلى أن الشيخ لم يلتزم بهذا التعهد الذي تعارض مع هدفه في إنشاء قوة عسكرية كويتية لحماية بلاده، ولدعم أنصاره في شبه الجزيرة، وعلى رأسهم عبد العزيز آل سعود. ورغم ما ورد في عديد من المراسلات الدبلوماسية الإنكليزية حول متابعتها لمنع تجارة السلاح، فالحقيقة إما أنها لم تكن حريصة على ذلك، أو أنها لم تتمكن من حصار الشيخ بالدرجة الكافية التي تمنع تجارة السلاح في الكويت، أو أنها لم ترغب في إغضابه<sup>(٢)</sup>.

وفي السياق نفسه، وافق الشيخ على تحريم تجارة الرقيق. وتشير وثائق الوكالة البريطانية في الكويت إلى خطاب من المقيم السياسي كوكس إلى الشيخ بتاريخ ٦ سبتمبر/ أيلول ١٩١٠ يأسف فيه لإبلاغه حادثة لا يمكن غض النظر عنها، وهي قيام ثلاثة من الكويتيين وهم سالم تابع محمد بن

(١) Kuwait Political Agency, Arabic Documents, Vol 1, Op.cit, pp. 726-728.

(٢) B. j. Slot, Mubarak Al -Sabah. Founder of Modern Kuwait 1896-1915,

عبد الله الحجازي، ومحمد الحويج، وأحمد بن محمد بوزينة باستقدام سبعة من الخدام (خمسة ذكور، وأنثيين) من الكويت إلى دبي لبيعهم في سوق الرقيق، وأن ذلك يخالف اتفاق تحريم تجارة الرقيق الذي سبق ان وافق الشيخ عليه.

ورد الشيخ في ١٠ سبتمبر/ أيلول بأنه يلتزم هو ورعاياه بكل الاتفاقات و«منع كل ما هو منافٍ للقوانين ومغاير للوجدان». وأن الأشخاص المذكورين في خطاب المقيم السياسي ليسوا من أهل الكويت، ولا يخضعون لسلطته، وأنه «ما تجوز طلب مجازة غير المتوطنين منا وهم في ديار بعيدة عنا». وأضاف الشيخ أنه أصدر أوامره بترقب وصول أي من هؤلاء الثلاثة إلى الكويت، وأنه سوف يلحق بهم عقاباً صارماً<sup>(١)</sup>.

والتزم الشيخ في ٢٨ فبراير/ شباط عام ١٩٠٤ بعدم السماح لأي حكومة أخرى بإنشاء مكتب بريد. فورد في البيان الذي أصدره «إني من ناحيتي أوافق على عدم السماح بتأسيس أي دائرة بريد من قبل حكومة أخرى هاهنا وعليه أكتب هذا التعهد بالنيابة عن نفسي وعن خلفائي من بعدي»<sup>(٢)</sup>.

كما وافق الشيخ عام ١٩٠٧ على تأجير قطعة من الأرض جنوب بندر الشويخ إلى الحكومة البريطانية وذلك لاستخدامها كمرسى لاستقبال السفن الإنكليزية. وتم توقيع عقد الإيجار في ١٥ أكتوبر/ تشرين أول ١٩٠٧ وذلك في مقابل ستين ألف روية سنوياً. وهي المنطقة نفسها التي

(١) من المقيم السياسي كوكس إلى الشيخ مبارك في ٦ سبتمبر/ أيلول ١٩١٠، ورد الشيخ في ١٠ سبتمبر/ أيلول في المرجع السابق، ص ص ٥٨-٦٢. وأنظر أيضاً المراسلات الدبلوماسية البريطانية بشأن موضوع الرق في الكويت ومنطقة الخليج في **Records of Kuwait**, Vol 4, pp. 277- 284.

(٢) حسين خلف الشيخ خزعل: تاريخ الكويت السياسي، مرجع سابق، ص ١٣٨.

سبق أن رغبت ألمانيا في شرائها من الدولة العثمانية عام ١٩٠٠، ورفض الشيخ ذلك<sup>(١)</sup>. والأرجح أن بريطانيا هدفت من ذلك إلى قطع الطريق أمام المشروع الألماني بإنشاء خط سكة حديد بغداد تكون نهايته في الكويت، مندون مشاركة بريطانية فيه. بينما يفسر عبد العزيز الرشيد قرار الشيخ مبارك بأنه نبع من خشيته على هذه المنطقة من احتلال العثمانيين لها كما حدث في جزيرة بوبيان<sup>(٢)</sup>.

ويوضح التلغراف المرسل من الوكيل السياسي نوكس إلى مساعد المقيم السياسي في بوشهر بيل في ٢٣ أغسطس/ آب ١٩٠٧، الذي رفعه بدوره إلى لويس دين سكرتير حكومة الهند الإنكليزية، تفاصيل محادثاته مع الشيخ مبارك بشأن تأجير هذه المنطقة. فذكر نوكس أن الشيخ أكد التزامه بتنفيذ ما تم الاتفاق عليه، وذلك بثلاثة شروط: أولها، أن تمنح الحكومة البريطانية تفويضاً صريحاً لممثليها بالتوقيع على الاتفاق، وأن تكون هناك مصادقة رسمية على مضمونها. وثانيها، عدم قيام الحكومة البريطانية بفرض أي ضرائب أو جمارك في داخل حدود الكويت، وفي المنطقة التي يتم تأجيرها، وأن الشيخ يحتفظ لنفسه بسلطة فرض الضرائب وجمعها، وأنه سوف يطبق على الرعايا البريطانيين نظاماً جمركياً مماثلاً لذلك الذي يطبقه على رعاياه، وأن الجمارك سوف تفرض على أساس نسبة من ثمن السلعة، وأن هذه النسبة لا تتم زيادتها من دون موافقة الطرفين. وثالثها، ترحيب الشيخ بتأكيد الحكومة البريطانية بأنها لا ترغب في التدخل في الشؤون الداخلية للكويت، وأنها ترغب في أن ترى شيخ الكويت «قوياً ومستقلاً وليس مسؤولاً أمام أحد».

ونصح الوكيل السياسي رؤساءه بضرورة الإسراع في إصدار الموافقة

(١) تم إنهاء هذا العقد عام ١٩٢٢.

(٢) عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٩٨-١٩٩.

الرسمية وتفويضه التوقيع على هذا الاتفاق. وأضاف إن حاكم الكويت وابنه جابر رحبا بهذا الاتفاق ليس للمنافع المادية التي سوف تعود عليهما فحسب، ولكن باعتباره «مؤشراً للسياسة التي سوف تتبع في المستقبل»، وضمناً بأن سكة حديد بغداد سوف تكون تحت سيطرة الإنكليز، وأن نهاية الخط ستكون في بندر الشويخ<sup>(١)</sup>.

وتعهد الشيخ في ٢٩ يوليو/ تموز ١٩١١ بألا يستجيب للطلبات المقدمة من أي دول أخرى للبحث عن اللؤلؤ أو صيد الاسفنج إلا بعد مشورة المقيم السياسي البريطاني. ووافق الشيخ مبارك في ٢٦ يوليو/ تموز ١٩١٢ على إقامة محطة تلغراف لاسلكي.

إضافة إلى ذلك، وبناء على طلب المقيم السياسي البريطاني كوكس - تعهد الشيخ في ٢٧ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩١٣ بألا يمنح حق استغلال النفط في أراضيه إلا لمن تزكيه الحكومة البريطانية. وكان هذا الاتفاق يدخل ضمن نمط «الاتفاقات المانعة»، والذي بمقتضاه أصبح لبريطانيا وحدها حق البحث والتنقيب عن النفط. وسعت بريطانيا من وراء ذلك إلى الحيلولة دون قيام دول أوروبية أخرى بالبحث عن النفط في الكويت<sup>(٢)</sup>. ففي هذا الوقت المبكر، ازداد الإدراك البريطاني بأهمية السيطرة على منابع النفط، وشهد مجلس العموم البريطاني في يوليو/ تموز ١٩١٣ مناقشات صاحبة حول هذا الموضوع الأمر الذي دفع كوكس المقيم السياسي البريطاني في بوشهر إلى مخاطبة الشيخ مبارك طالباً منه التعهد كتابة بعدم إعطاء حق التنقيب عن النفط في

(١) From Knox to Bill, August 23, 1907 in Arabic Documents, **Op.cit.**, pp. 396-

397.

(٢) انظر المراسلات الدبلوماسية البريطانية بشأن التنقيب عن النفط في الكويت في

**Records of Kuwait**, Vol 5, Petroleum Affairs, pp.3-14.

بلاده إلا لمن ترشحه الحكومة البريطانية.

وعقب حصول بريطانيا على هذا التعهد، وافق الشيخ مبارك على إجراء مسح جيولوجي لتحديد المناطق التي يحتمل وجود النفط فيها. وفي عام ١٩١٤، أوفدت بريطانيا بعثة من المهندسين والجيولوجيين المزودين بمعدات البحث والاستكشاف اللازمة لهذا الغرض. وقدم الشيخ من جانبه التسهيلات اللازمة لتحقيق مهمة البعثة، وكلف ابنه سالم بإرشاد البريطانيين إلى موقع النفط في منطقة البرقان، والذي قام بدوره بتوفير الإمكانات المطلوبة لإتمام البحث والتنقيب.

ومع أن شركة النفط الإنكليزية - الفارسية التي تأسست عام ١٩٠٩<sup>(١)</sup>، وحصلت على امتياز البحث عن النفط في الكويت، كانت شركة مساهمة تتكون من رؤوس أموال خاصة، فقد حرصت الحكومة البريطانية على أن يكون لها نصيب في هذه الشركة. لذلك، اشترت نسبة من أسهمها مما أعطاهها حق تعيين عضوين في مجلس الإدارة، كما كانت قرارات مجلس إدارة الشركة خاضعة لمراجعة من وزارتي الخزانة والبحرية<sup>(٢)</sup>.

وعام ١٩٠١، أي بعد مرور عامين على توقيع الاتفاق مع شيخ الكويت، عقدت بريطانيا اتفاقاً سرياً مع العثمانيين تعهدت بموجبه بالمحافظة على الأمر الواقع في شبه الجزيرة العربية والخليج، وأن تسعى لدى الشيخ مبارك حتى لا يقوم بهجوم عسكري على ابن الرشيد الموالي للعثمانيين. وفي مقابل ذلك، تسعى إسطنبول لدى ابن الرشيد لمنعه من مهاجمة الكويت. ولم يكن الشيخ مبارك على معرفة بهذا الاتفاق.

(١) تغير اسمها عام ١٩٣٥ إلى شركة النفط الإنكليزية - الإيرانية.

(٢) نجاة عبد القادر الجاسم: التطور السياسي والاقتصادي للكويت بين الحربين ١٩١٤-١٩٣٩، مرجع سابق، ص ص ١٩٧-١٩٨. أنظر في تفاصيل ذلك

Chisholm, Archibald H. T., **The First Kuwait Oil Concession Agreement. A Record of The Negotiations, 1911-1934** (London: Frank Cass, 1975).

تعرض النفوذ البريطاني في الخليج في عام ١٩٠٢ لتحديات جسام، فقد سعى السلطان لتأكيد الوجود العثماني في الكويت والبحرين والعراق، ووطد النفوذ الألماني أركانه في إيران، وأعلن الديبلوماسيون الروس أنهم لا يعترفون لبريطانيا بأي موقع متميز في جنوب إيران أو الخليج. وأدى التحالف الروسي - الفرنسي في هذا العام إلى تصاعد قلق السلطات البريطانية حول مستقبل نفوذها في منطقة الخليج.

في يونيو/ حزيران ١٩٠٣، اقترح السفير البريطاني في إسطنبول أوكنور فتح دار وكالة بريطانية في الكويت، وذلك كجزء من اتباع سياسة بريطانية نشطة في الخليج. ومع أن حكومة الهند أيدت الاقتراح، لكن وزارة الخارجية في لندن رفضته على أساس أنه يمثل خروجاً على الالتزام باحترام الوضع القائم الذي تعهدت به بريطانيا مع الدولة العثمانية عام ١٩٠١. وكان تقدير وزارة الخارجية أن الموافقة على هذا الاقتراح قد تُفهم على أنها دعم بريطاني لاستقلال الكويت. وكحل وسط، تم الاتفاق على قيام المسؤولين البريطانيين بزيارات دورية للكويت لتأكيد العلاقة الخاصة بين البلدين.

وفي ٢٨ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٠٣، قام اللورد كيرزون نائب الملك وحاكم الهند بزيارة إلى منطقة الخليج شملت عدداً من الإمارات العربية، منها الكويت. وهدفت هذه الزيارة إلى توثيق الروابط بين بريطانيا وشيوخ هذه المناطق الذين تربطهم بها معاهدات، ومتابعة نفوذ بريطانيا السياسي والتجاري فيها<sup>(١)</sup>. والحقيقة، أن هذه الزيارة كانت بمنزلة تظاهرة عسكرية بحرية لتأكيد النفوذ البريطاني في الخليج.

وصل كيرزون الى الكويت يصاحبه أسطول حربي كبير. ونظم الشيخ

(١) ج ج لوريمر: دليل الخليج، ج ٧، مرجع سابق، ص ص ٣٨٣٣-٣٨٣٤.

مبارك له استقبلاً حافلاً لم يكن للكويت عهد بمثله. ووصف الأستاذ عبد العزيز الرشيد، الذي حضر هذه المناسبة، هذا الاستقبال بأنه كان في «منتهى الروعة والذوق»، وسخر الشيخ مبارك لهذا الاستقبال كل الإمكانيات حتى تظهر الكويت بمظهر مهيب أمام الإنكليز. وكان مما فعله أن أحضر عربة تجرها أربعة خيول من الهند، وذلك لاستخدام الضيف البريطاني<sup>(١)</sup>.

كان وصول اللورد كيرزون في الساعة العاشرة من صباح يوم ٢٨ نوفمبر/ تشرين الثاني مستقلاً السفينة «هاردنغ» ترافقها السفينة الحربية «هياسنت» والسفينة «بومين» وتظاهرة بحرية من عدد من السفن الكبيرة. وكان رسوها في بندر الشويخ على بعد حوالي ثلاثة أميال من المدينة. وعند وصولها، أطلقت المدافع المنصوبة أمام بيت الشيخ مبارك ٢١ طلقة تحية، ثم صعد الشيخ مبارك إلى السفينة للترحيب بالضيف البريطاني يرافقه المقيم السياسي كمبال لمعرفة تفاصيل الزيارة. وعاد الشيخ مرة ثانية في الثالثة بعد الظهر بصحبة ابنه الشيخ جابر، وتم تبادل الهدايا. وعند مغادرته السفينة أطلقت مدافعها له خمس طلقات تحية.

وفي الساعة العاشرة من صباح اليوم الثاني، نزل اللورد كيرزون على الأرض في بندر الشويخ، حيث كان في انتظاره الشيخ مبارك وأولاده على رأس مجموعة من الفرسان. واستقل نائب الملك العربة المعدة له، بينما امتطى المرافقون له الجياد. وتحرك الموكب وسط إطلاق العيارات النارية التي أطلقها الفرسان للتعبير عن ترحيبهم بالضيف الكبير. وأحاط بالعربة، وفق وصف لوريمر «كوكبة من الخيالة يركضون بعنف إلى الأمام مشرعين حراهم مطلقين عيارات طبنجاتهم في الهواء وهم يقفزون مستديرين حول أنفسهم». ويصف لوريمر المنظر بأنه كان «أخاذاً بجماهله،

(١) عبد الله خالد الحاتم: من هنا بدأت الكويت، مرجع سابق، ص ص ٤٢-٤٣.

إذ كان الفرسان بألبستهم الفضفاضة البراقة الألوان من برتقالية وحمراء أو ذهبية يلوحها الهواء من على ظهور خيولهم العربية الرشيقة»<sup>(١)</sup>. وُرُفعت الرايات على جدران بيوت المدينة البيضاء لتضفي على المناسبة بهجة وفرحاً. وفي الوقت نفسه، ارتفعت أصوات الأهالي «بالأراجيز الحماسية (العرضات) وزغرودة النساء وعلا الهتاف بتحية الضيف»<sup>(٢)</sup>.

لقد أراد الشيخ مبارك أن يبهر الضيف البريطاني، وأن يعطيه صورة طيبة عن العرب والكويتيين. واشترك في هذا الاستقبال أكثر من مائتين من الفرسان وعشرين من الهجانة وحوالي أربعة آلاف من المترجلين. وبهذه المناسبة، تم رفع علم لونه أحمر عليه عبارة «توكلنا على الله».

توجه اللورد كيرزون عبر شوارع المدينة التي اصطف الناس على جوانبها للترحيب به حتى وصل إلى بيت الشيخ المطل على البحر، حيث أطلقت له المدافع ٣١ طلقة أخرى. وعُقد اجتماع في غرفة الاستقبال في منزل الشيخ، وقد زينها بصور ملونة لهذه المناسبة تحوي صور ملك ومملكة انكلترا والملكة السابقة فيكتوريا. وقدم الشيخ مبارك لنائب الملك أبناءه، كما تم تقديم فناجين القهوة العربية، وتبادل الرجال بعض الأحاديث، ثم انصرف اللورد عائداً إلى سفينته.

وفي الساعة الثانية بعد الظهر، زار الشيخ مبارك اللورد كيرزون، وأكد له أنه أنهى كل علاقة له مع العثمانيين مفضلاً الحماية البريطانية، وأنه رفض كل العروض التي قدمتها فرنسا وروسيا لتغيير موقفه. كما دار حديث عن قضية وكيل الشيخ في البصرة الذي اعتقلته السلطات العثمانية بتهمة الخيانة العظمى. ودعا اللورد الشيخ إلى الامتناع عن التدخل في شؤون وسط الجزيرة العربية. وحضر المقابلة وزير الخارجية

(١) ج ج لوريمر: دليل الخليج، ج ٧، مرجع سابق، ص ص ٣٨٧٤-٣٨٧٥.

(٢) حسين خلف الشيخ خزعل: مرجع سابق، ص ١٣٨.

البريطاني والمقيم السياسي في الخليج. وبعد انتهاء المقابلة اصطحب وزير الخارجية الشيخ لزيارة البارجة الحربية «هياسنت»، التي كانت مرافقة للسفينة «هاردنغ». وكانت هذه هي المرة الأولى التي يتفقد فيها الشيخ باخرة حربية كبيرة. لذلك، أظهر اهتماماً كبيراً بها وبآلاتها ومدافعها، وعند مغادرته أطلقت البارجة خمس طلقات تحية له<sup>(١)</sup>.

وبعد الزيارة، وافقت الحكومة البريطانية على إرسال وكيل لها إلى الكويت. وبالفعل، تم تعيين الكولونيل نويس كأول وكيل بريطاني في يونيو/حزيران ١٩٠٤. وعند وصوله إليها في ٥ أغسطس/آب، استقبله مبارك، ودعاه إلى الإقامة في قصره بصفة موقته حتى يجد مكاناً ملائماً لسكنه. واستأجر نويس مبنى في منطقة الشرق في فريج شمالان على ساحل البحر (في مواجهة المقر الجديد لوزارة الخارجية الآن) كان بمنزلة مقر الوكيل السياسي، وهو البيت الذي سماه الكويتيون بيت ديكسون (أم سعود الآن) وهي زوجة الوكيل السياسي ديكسون الذي عين عام ١٩٢٩.

وتمثلت مسؤوليات الوكيل السياسي، كما عبرت عنها رسالة حكومة الهند إلى المقيم السياسي في بوشهر بتاريخ ٧ سبتمبر/أيلول ١٩٠٤، في أن «يكون هدفه الأول هو تهيئة وإقامة علاقات صداقة مع الشيخ مبارك والشخصيات الرئيسية في الكويت، وتأمين المصالح التجارية الإنكليزية في الكويت والمناطق المجاورة، وأن يقوم بمراقبة العمليات التركية على حدود الكويت والإبلاغ عن أي نوايا تركية أو لقوة أخرى للتدخل أو تغيير الوضع القائم أو أي تطور يقود إلى الاعتقاد أن ثمة قوى تسعى إلى انتهاك الحدود الكويتية». ويضيف الخطاب أن على

(١) ج ج لوريمر: دليل الخليج، ج ٧، مرجع سابق، ص ص ٣٨٧٦-٣٨٧٧.

الكابتن نو كس «أن يسعى للحصول على معلومات سرية ودقيقة بشأن الصراع بين أسرتي ابن سعود وابن الرشيد بشأن السيطرة على نجد، كما أن حكومة الهند ترغب في الحصول على معلومات بشأن تجارة السلاح مع الكويت، وإلى أي مدى يتم استيراد أسلحة لحساب ابن سعود من خلال الكويت»<sup>(١)</sup>.

ومن الطريف متابعة وثائق الأرشيف العثماني في ما يتعلق بموضوع الوكيل السياسي البريطاني في الكويت. ففي ١١ شعبان ١٣٢٢ الموافق ٢٠ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٠٤، أرسل فخري باشا وكيل والي البصرة برقية شفرية إلى الباب العالي يقول فيها «ضابط إنكليزي يدعى نوقص - المقصود نو كس - كان يعمل في جيش الهند فأرسلته الحكومة الإنكليزية إلى الكويت مأموراً سياسياً مع ثمانية من جنود الجيش الهندي النظامي. ويقيم الآن في دار خصصت لإقامته، ويجلس في المقاهي، ويختلط بالناس، ويتدخل في الشؤون الإدارية والمعاملات في الكويت»<sup>(٢)</sup>.

وفي اليوم التالي، قابل السفير العثماني في لندن اللورد لندسون وزير الخارجية البريطاني وأخبره بهذه المعلومات، فأنكر لندسون ذلك قائلاً «إنه مأمور مدني أرسلته حكومة الهند إلى الكويت بصورة مؤقتة»، وسجل اسمه لكي يبحث هذا الأمر<sup>(٣)</sup>. وفي ٤ نوفمبر/ تشرين الثاني قابله مرة أخرى، وأكد له من جديد طلب حكومته سحب «المأمور السياسي الإنكليزي» حالاً، فرد عليه وزير خارجية بريطانيا بأن حكومة الهند أرسلت هذا المأمور إلى الكويت بشكل مؤقت، وذلك من أجل بحث بعض المسائل

(١) بنلوب توزون: سجلات المعتمد البريطاني والوكالات التابعة له في الخليج (الكويت):

منشورات مركز المخطوطات والتراث والتوثيق، ط ١، ١٩٩٣، ص ص ١٣-١٤.

(٢) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ١١ شعبان ١٣٢٢ هـ، رقم ١١٣/ ٤٨٠.

(٣) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ٢١ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٠٤، رقم ١١٣/ ٤٨٠.

مع الشيخ، فرد عليه السفير بأن ذلك مغاير لأحكام القوانين الدولية، سواء كان إرساله بصورة موقته أو دائمة. وعلق الوزير بأن لديه أولويات واهتمامات أخرى، وأنه لا يمكنه أن يشغل نفسه دائماً بالكويت<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من أن حكومة الهند اعتبرت هذا التعيين دائماً، فإن وزارة الخارجية اعتبرته أمراً موقتاً. ونظرت الحكومة العثمانية إلى أن وجوده يمثل أمراً غير مرغوب فيه، لأن شيخ الكويت لا يملك حق استقبال ممثلين دبلوماسيين. ونتيجة لهذا الاحتجاج العثماني، وبسبب مرضه، غادر نوكس الكويت في ١٩ يناير/ كانون الثاني ١٩٠٥، ولم يعين شخص آخر. وتولى تسيير الأعمال الاعتيادية للوكالة معاونه الطبيب داود الرحمان حتى عودة نوكس مرة ثانية في ٢٥ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٠٥. واستمر في عمله حتى عام ١٩٠٩.

وكانت إحدى مهمات نوكس زيارة مناطق العشائر وتفقدتها، وإعداد التقارير عن أوضاعها الاجتماعية والسياسية، فقام عام ١٩٠٤ بجولة إلى الحدود العثمانية، وزار الجهرة وسفوان وأم القصر. وفي يناير/ كانون الثاني من عام ١٩٠٦، وصل إلى منطقة حفار وكان أول رحالة أوروبي يزور هذه المنطقة<sup>(٢)</sup>، وفي مارس من العام نفسه، قام برحلة في مناطق جنوب الكويت<sup>(٣)</sup>.

وخلف نوكس في منصبه الكابتن وليام شكسبير، وهو الذي جمع بين

(١) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ٥ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٠٤، رقم ٤٨٠/ ١١٣.  
(٢) انظر نص التقرير الذي كتبه نوكس عن هذه الرحلة في فبراير/ شباط ١٩٠٦، والذي يتضمن قائمة بأسماء المناطق التي زارها في

Report on Tour of Political Agent at Kuwait to Hafar al Batin in February 1906 with glossary of vernacular words used in report, January 1906 in Records of

(٣) انظر نص تقرير الوكيل السياسي نوكس إلى المقيم البريطاني كوكس في Political Agent, Kuwait to Political Resident, Bushire inclosing notes of Agent's tour in March 1906 of southern Kuwait, 28 March 1906 in *Ibid.*, pp. 29-31.

Kuwait 1899-1961, Vol 1, *Op. cit* pp. 6-28.

الديبلوماسية والحرب والعلم والجغرافيا، وكان يتقن فن مسح الأرض ورسم الخرائط الطبوغرافية. وقام بعدد من الرحلات الاستكشافية كان أطولها تلك التي قام بها عام ١٩١٤، واخترق فيها شبه الجزيرة العربية من الكويت إلى الرياض، فالجوف فالعقبة وسيناء حتى مدينة السويس في مصر. وأقام علاقات وثيقة مع ابن سعود، وقُتل في معركة جراب ضد قوات ابن الرشيد في يناير/كانون الثاني ١٩١٥.

كانت الحكومة العثمانية تراقب، بقلق، ازدياد النفوذ السياسي لبريطانيا في الكويت. ومع أنها لم تكن قادرة على تبني أي سياسة لوقف هذا النفوذ أو حصاره، فقد كانت حريصة على طرح وجهة نظرها والاحتجاج على ما تقوم به بريطانيا. ومن مظاهر ذلك أنها لم تعترف بالوكيل السياسي نوكس باعتباره مبعوثاً دبلوماسياً، ورفضت تطبيق التسهيلات الجمركية الممنوحة لحقائب الممثلين الديبلوماسيين عليه. فعندما وصلت حقيبة له في ميناء الفاو، تم تطبيق الإجراءات الجمركية العادية، والتأكد من عدم وجود بضائع تستوجب دفع الرسوم عنها<sup>(١)</sup>.

وتكررت هذه الاحتجاجات مرة أخرى، ففي نهاية عام ١٩٠٤ تضمن الأرشيف العثماني في اسطنبول مذكرة الصدر الأعظم فريد باشا إلى الديوان الهمايوني، يعرض فيها على السلطان مذكرة الاحتجاج التي تقدم بها وزير الخارجية العثماني إلى الحكومة البريطانية بمناسبة «ورود خمس سفن إنكليزية إلى الكويت ورفع العلم الإنكليزي على قصر جهرا المبارك الصباح». وجاء فيها «أنه إذا لم تُسفر ما يبذله الباب العالي من محاولات دبلوماسية عن نتائج

(١) نجاة عبد القادر جاسم: العثمانيون وشمال شبه جزيرة العرب ١٨٤٠-١٩٠٩ (رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث - جامعة عين شمس - كلية الآداب، ١٩٧٦)، ص ٢١٢.

(٢) الأرشيف العثماني في اسطنبول بتاريخ ٢٢ شوال ١٣٢٢ هـ، رقم ١٢٩ / ٤٨٢.

إيجابية، فسيتم اللجوء إلى تحكيم دولي بهذا الشأن»<sup>(٢)</sup>.  
 وإزاء استمرار احتجاجات الدولة العثمانية، وخصوصاً اعتراضها على وجود وكيل سياسي دائم في الكويت، بدأت مفاوضات بين الطرفين أدت إلى توقيع الاتفاق البريطاني - العثماني عام ١٩١٣، تضمن اعتراف الدولة العثمانية بالاتفاقات الكويتية - البريطانية، كما تضمن اعتراف بريطانيا بتبعية الكويت القانونية للدولة العثمانية. ولكن هذا الاتفاق لم يتم التصديق عليه بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى<sup>(١)</sup>.  
 وترتب على اندلاع هذه الحرب، ومشاركة الدولة العثمانية فيها ضد بريطانيا، تغيير الوضع السياسي للكويت. ففي ١٨ أغسطس/ آب ١٩١٤، أبلغ المقيم البريطاني في الخليج الشيخ مبارك بنشوب الحرب بين بريطانيا وألمانيا. وجاء رد الشيخ في ٢١ أغسطس/ آب مجدداً تأييده للحكومة البريطانية، وأنه سيحرك قواته لإخلاء المواقع العسكرية في الجزر والأراضي الكويتية من الجنود الأتراك، وكذلك من الجزر الواقعة في مدخل شط العرب التي يطالب بها والتي هي جزء من الكويت.  
 وفي ٣ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١٤، وجه المقيم السياسي البريطاني في الخليج خطاباً إلى الشيخ مبارك طلب فيه أن يقوم شيخ الكويت، بالتعاون مع مشايخ العرب، وتحديدًا مع ابن سعود أمير نجد، والشيخ خزعل شيخ المحمرة، بالعمل على تحرير البصرة من السيطرة التركية وذلك بالهجوم على أم قصر وسفوان وبوبيان، ومنع الإمدادات التركية من الوصول إلى البصرة، وتأمين المعدات البريطانية في المنطقة، وحماية البريطانيين المقيمين في البصرة وأملاكهم<sup>(٢)</sup>.

(١) د. وليد حمدي الأعظمي: الكويت في الوثائق البريطانية، مرجع سابق، ص ص ١٤-١٥.  
 (٢) د. جمال زكريا قاسم: بريطانيا والخليج العربي في الحرب العالمية الأولى، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية (السنة الأولى، العدد الثالث، يوليو/تموز ١٩٧٥)، ص ص ٨٨-٩٥.

وتضمن الخطاب شكر شيخ الكويت على مساعدته لبريطانيا، والتعهد بعدم إعادة البصرة بعد تحريرها إلى الحكومة التركية، وضمان أن تبقى حدائق النخيل المملوكة لشيخ الكويت، التي تقع بين منطقتي الفاو والقرنة، في حيازته وحيازة أبنائه، معفاة من الضرائب. كما تضمن الحكومة البريطانية حماية شيخ الكويت من أي تداعيات أو آثار تترتب على الهجوم الذي يقوم به ضد الدولة العثمانية، والاعتراف بأن «مشيخة الكويت» هي حكومة مستقلة تحت الحماية البريطانية<sup>(١)</sup>. وتم إدخال الكويت ضمن المنطقة التي تمت إدارتها من القوة «D» لقوات الحملة الهندية في الخليج. وفي الوقت نفسه، سارعت بريطانيا باحتلال البصرة في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١٤. وترتبت على ذلك سيطرتها البحرية على مدخل الخليج. وقامت بإغلاق شواطئ الكويت لإحكام الحصار على الدولة العثمانية.

لم تكن هذه الإجراءات يسيرة أو سهلة، وكان مبارك يدرك أنها ستلاقي مقاومة من جانب بعض أهالي الكويت، فعندما طلب منهم تقديم المساعدة للشيخ خزعل ضد الثائرين عليه لقيامه بمساعدة الإنكليز في احتلال البصرة، رفض الأهالي تنفيذ طلب الشيخ، وشجعهم في ذلك كل من الشيخين الشنقيطي وحافظ وهبة اللذين شرحا للأهالي أن مساعدتهم لشيخ المحمرة يمثل مخالفة لتعاليم الإسلام. تعامل الشيخ مع هذا الموقف - كما سبق شرحه - بذكاء وديبلوماسية، فأعلن للأهالي أنه لم يطلب منهم المشاركة في أي قتال، بل طلب توفير السفن اللازمة لنقل المؤن التي يحتاج إليها الشيخ خزعل عند الضرورة. ووفقاً لهذا الفهم، استجاب الأهالي، ووضعوا السفن تحت تصرفه<sup>(٢)</sup>.

(١) د. سيد نوفل: الخليج العربي...، مرجع سابق، ص ص ١٨٥-١٨٦.

(٢) عبد العزيز الرشيد، مرجع سابق، ص ص ٢٠٣-٢٠٥.

انتهاز الشيخ مبارك فرصة قيام الحرب العالمية لتأكيد مطالبه بشأن حدود الكويت. فحاصرت قواته الحاميات العثمانية الموجودة في سفوان وأم قصر، وكذلك القوات الموجودة في الجزء الجنوبي لجزيرة بوبيان. ومع أن قواته لم تتمكن من دخول البصرة، فإن وجودها بالقرب منها كان عاملاً مساعداً للقوات البريطانية التي احتلت الفاو في ٦ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١٤، ثم واصلت مسيرتها نحو البصرة التي احتلتها في ٢٢ من الشهر نفسه. وأبلغ المقيم البريطاني كوكس الذي رافق الحملة شيخ الكويت بهذا النصر، وذلك لنشره بين رعاياه. فرد الشيخ ببرقية ذكر فيها «انشرحة - المقصود انشرحت - صدورنا وصرنا في غاية الفرح والسرور والاستبشار من هذه البشارة السارة وبوقته أشهرنا في غاية ذاك عند جميع رعايانا، القريب منهم والبعيد، وعند جميع المحبين من رؤساء العشائر فحصل عند الجميع كمال الفرح والسرور»<sup>(١)</sup>.

وأرسل الشيخ ببرقية أخرى في ٢٥ نوفمبر/ تشرين الثاني لتأكيد المعنى نفسه. وعبر عن موقفه عملياً بالتبرع بمبلغ خمسين ألف روبية، وذلك لدعم جمعية سانت جون الخيرية التي تأسست في الهند بهدف جمع الإعانات لمساعدة المصابين والجرحى من الجيش البريطاني<sup>(٢)</sup>. ولإظهار حسن نواياها والتزام الحكومة البريطانية بتعهداتها، أرسل المقيم السياسي كوكس إلى الشيخ مبارك خطاباً يطلب فيه بياناً بما يملكه من مزارع النخيل في البصرة للنظر في إعفائها من الضرائب.

واستغل الشيخ مبارك هذه الفرصة لحل المشكلات التي أثارها بعض ولاية البصرة والعراقيل التي وضعوها للحيلولة دون تسجيل بعض

(١) حسين خلف الشيخ خزعل: مرجع سابق، ص ص ١٥٥-١٦٠.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦١.

أملاكه باسمه في دائرة تسجيل الأملاك في البصرة. فأرسل إلى المقيم السياسي خطاباً أشار فيه إلى الإعلان الصادر عن الأوقاف البصرية بتاريخ ١٣ أبريل/ نيسان ١٩١٥ بخصوص إصدار سندات «الطابو»، وطلب منه التدخل لإنهاء تسجيل أملاكه.

وبعد أن استقر الأمر للحكومة البريطانية في البصرة، قرر اللورد هاردنغ نائب الملك وحاكم الهند زيارة إمارات الخليج للتعرف بشكل مباشر على أوضاعها واتجاهات أمرائها وشيوخها. وبالفعل قام في يناير/ كانون الثاني ١٩١٥ بزيارة للبحرين، وحدد لبقية الشيوخ موعداً لمقابلته في الكويت، ولكن بسبب ظروف عدم الاستقرار في غالبية مناطق الخليج، لم يتمكن من الحضور سوى الشيخ حمد بن عيسى أمير البحرين.

وعند وصول موكبه البحري ميناء الكويت، صعد الشيخ جابر إلى بارجته للترحيب به. وفي اليوم التالي التقاه الشيخ مبارك، ودعاه لزيارة مدينة الكويت، فزار اللورد قصر الشيخ في «السيف». وخلال اللقاء، قال له الشيخ مبارك «إننا لم نعاد الأتراك وهم مثلنا مسلمون إلا خوفاً على استقلالنا». ثم استشهد ببيت الشعر العربي الشهير:

المستجير بعمره عند كربته  
كالمستجير من الرمضاء بالنار

وكان مبارك يقصد أن العرب لا يريدون أن يستبدلوا مستعمراً بآخر. وفهم هاردنغ الرسالة ورد قائلاً «لا يا حضرة الأمير ليس للحكومة طمع فيك ولا في بلدك ولم نأت إلا لصد المعتدي عليكم. وإذا بدا من أحد معتمديها شيء تكرهه فما عليك إلا أن ترفع الأمر إليها وهي ستصرفك»<sup>(١)</sup>.

(١) عبد العزيز الرشيد: مرجع سابق، ص ٢٠٣.

---

## ثانياً: المناوءة الفرنسية لبريطانيا في الخليج

لم تعتبر السياسة الخارجية الفرنسية منطقة الخليج عموماً من أولويات نشاطها الاستعماري، فقد تركز جهدها على الولايات العثمانية في المغرب العربي وفي القارة الأفريقية. مع ذلك، فقد نشط المبعوثون الدبلوماسيون الفرنسيون في منطقة الخليج بهدف مناوءة النفوذ البريطاني، وكانعكاس للتنافس بين البلدين على بسط النفوذ والسيطرة. واستمر هذا التنافس حتى توقيع «الاتفاق الودي» بين البلدين عام ١٩٠٤. وترتب على ذلك التراجع التدريجي للجهود الفرنسية.

لقد اهتمت فرنسا بالخليج في نهايات القرن التاسع عشر، وثار خلاف حاد مع بريطانيا عام ١٨٩٨ بسبب سعي فرنسا للحصول على قاعدة لها في سلطنة مسقط. كما أنشأت الحكومة الفرنسية قنصليات لها في عدد من إمارات الخليج، وبدأت سفنها العسكرية تجوب موانئ الساحلين الشرقي والغربي للمنطقة. وفي العام نفسه، سعى الفرنسيون إلى إجراء مفاوضات مع الشيخ مبارك لإبرام اتفاق تعاون سياسي<sup>(١)</sup>.

---

(١) غيورغي بونداريفسكي (ترجمة د. ماهر سلامة): الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، مرجع سابق، ص ص ١٢٦-١٢٧.

كان من الشخصيات التي لعبت دوراً مهماً في هذا المجال تاجر السلاح الفرنسي جوجيه الذي أشرنا إليه من قبل، والذي تفصح الوثائق الفرنسية والبريطانية عن أنه لم يكن مجرد تاجر، فقد تمتع بنفوذ كبير لدى السلطات الفرنسية في منطقة الخليج، وكان يرفع إليها تقارير دورية عن أنشطة الديبلوماسية البريطانية وتأثيرها في المصالح الفرنسية، وإنه سعى لمناوئة النفوذ البريطاني في الكويت. فكما ذكرنا سلفاً، أنه نشر مجموعة من المقالات في أبريل/ نيسان ١٩٠٥ أشار فيها إلى تحوف الشيخ المستمر من محاولة البريطانيين والعثمانيين التدخل في شؤون الكويت، وإنه يهدف إلى الحيلولة دون ذلك.

في مواجهة ذلك، حاول البريطانيون الوقيعة بين الشيخ وجوجيه، واتهموا الأخير بأنه كان وراء المقالة التي نشرتها جريدة الأهرام القاهرية في ١٦ سبتمبر/ أيلول ١٩٠٤ بقلم مراسلها في مسقط، والتي تضمنت معلومات معادية للإنكليز. فاتهم غراي الوكيل البريطاني في مسقط جوجيه بأنه وراء هذه المقالة، وأنها تتضمن معلومات عن الكويت لا يمكن مراسل الأهرام في مسقط معرفتها من دون مصدر مباشر له في الكويت. وعرض الوكيل السياسي نو كس المقالة على الشيخ متهماً جوجيه بأنه مصدر هذه المعلومات أملاً في إحداث وقعة بين الشيخ والرجل الفرنسي، ولكنه لم ينجح في ذلك.

وفي نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٠٤، كتب جوجيه إلى الشيخ مقترحاً أن تقوم فرنسا وروسيا بالوساطة بينه وبين السلطان العثماني لإزالة الخلافات بينهما، ولكن الشيخ لم يستجب لهذه الدعوة، ورد مذكراً جوجيه بسياسة السلطات العثمانية المعادية له وسعيها للتدخل في شؤون الكويت الداخلية، وهو الأمر الذي لا يسمح به ولا يوافق عليه. وعاد نو كس، مرة أخرى، للاحتجاج في ٢٨ فبراير/ شباط ١٩٠٥ على

دور جوجيه في تجارة السلاح إلى الكويت، فأنكر مبارك أي علم له بها، بل وأخبره بأنه أصدر قراراً بطرد جوجيه من الكويت لأنه نشر مقالات تسيء إليه<sup>(١)</sup>.

---

(١) B. j. Slot, **Op.cit**, p 280, pp. 284-285.



---

## ثالثاً: السعي الألماني لوطئ قدم

من بين الدول الأوروبية المتنافسة، اتجهت السياسة الألمانية إلى التوسع شرقاً. وتمثلت العقبة الرئيسية أمام هذه السياسة في سيطرة الإنكليز على كل الطرق للوصول إلى الهند، ماعدا الطريق الذي يمر في آسيا الصغرى عبر البلاد العربية إلى الخليج. وأدى ذلك إلى التقارب بين القيصر الألماني والسلطان العثماني، وإعلان القيصر نفسه «صديقاً مخلصاً» لخليفة المسلمين. وبعث بخبراء إلى إسطنبول لاقتراح مشاريع إعادة تنظيم الإدارة العثمانية وإصلاحها. وشهدت منطقة الخليج في الفترة ١٩١١-١٩١٤ تنافساً اقتصادياً بين بريطانيا وألمانيا<sup>(١)</sup>.

برز النشاط الألماني في مجالين رئيسيين، كان أولهما، مشروع سكة حديد بغداد الذي أصبح محورياً للصراع الألماني - الإنكليزي لسنوات عدة. وكان ثانيهما، سعي الشركات الألمانية إلى الدخول في تجارة الشحن سواء من أوروبا إلى الخليج أو بين موانئ الخليج نفسه. واعتبرت بريطانيا الشركات الألمانية أداة لبسط النفوذ الألماني، وذكر

---

(١) د. ميمونة الخليفة الصباح: الكويت في ظل الحماية البريطانية ( الكويت: دن، ١٩٨٨)، ص ص ٢٩-٣٢.

اللورد كيرزون أن المشروعات الاقتصادية الألمانية سوف تشكل في ما بعد أساساً للمطالب السياسية<sup>(١)</sup>.

أما بشأن مشروع سكة حديد بغداد، فقد بدأ بتأسيس شركة سكة حديد الأناضول عام ١٨٩٩ بدعم من عدد من الشركات المالية الألمانية، التي منحها السلطان عبد الحميد في ٢٧ نوفمبر/ تشرين الثاني من العام نفسه امتياز مد السكة الحديدية التي وصلت بغداد بالبصرة. ورد الإمبراطور الألماني برقية شكر للسلطان العثماني، وكان التقييم الروسي لفرمان السلطان أنه يعتبر «انتصاراً كبيراً للسياسة الألمانية»<sup>(٢)</sup>.

لقد انطلقت الدبلوماسية الألمانية من النظر إلى الكويت باعتبارها إقليمياً تابعاً للدولة العثمانية، وأن حاكمها يمثل لأوامر حكومتها وتوجيهاتها، وأنها لا تعترف بأي اتفاقات ربما تكون قد وقعت بين الشيخ والحكومة البريطانية لأنه لا يملك الحق في ذلك. كما اعتبرت أن إقامة «محمية بريطانية» في الكويت تمثل عملاً مناهضاً لما تم الاتفاق عليه في مؤتمر برلين عام ١٨٨٨، وأن برلين تعتبر مثل هذا الإجراء تصرفاً غير ودي.

وفي هذا السياق، ذكر الكونت ميترنيخ السفير الألماني في لندن بتاريخ ٣ سبتمبر/ أيلول ١٩٠٠ أنه «إذا منعت حكومة صاحبة الجلالة، بالتهديد وباستخدام القوة، السلطان العثماني من إنزال القوات في الكويت، فإنها بذلك ترفض الاعتراف بسلطة السلطان» التي سبق للحكومة البريطانية الاعتراف بها في مذكرة أرسلها الملك إلى الإمبراطور الألماني، أكد فيها أن

(١) د. جمال زكريا قاسم: تاريخ الإمارات العربية دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠-١٩١٤، مرجع سابق، ص ٤٢٤. انظر تفاصيل صراع القوى الأوروبية حول هذا المشروع في Mead, Merle, Edward: *Turkey. the Great Powers and the Baghdad Railway. A Study in Imperialism* (New York, 1923).

(٢) غيورغي بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ص ١٤٣-١٤٤.

بريطانيا لا ترغب في التدخل في شؤون هذه المنطقة<sup>(١)</sup>. وفي يناير/ كانون الثاني ١٩٠٠، وصلت بعثة من المساحين الألمان إلى بغداد لتفقد المنطقة، واتخاذ القرار بشأن مد الخط، وتحديد محطته النهائية. وترأس هذه اللجنة مترنيخ القنصل الألماني في الاستانة يرافقه بعض أعضاء السفارة والملحق العسكري.

وخلال زيارة اللجنة للبصرة، التقى القنصل البريطاني راتسلاو ومترنيخ، ويبدو أن القنصل البريطاني تساءل عما إذا كانت البعثة قد حصلت على موافقة من الشيخ. فأجابه مترنيخ بأن «شركة الأناضول ليست في حاجة إلى موافقة الشيخ على مد خط بغداد إلى منطقة الكويت، لأن الدبلوماسيين الألمان قادرون في لحظة على الاتفاق حول هذه المسائل مع السلطان مباشرة». وأضاف مترنيخ بأن «اللجنة لم تقر بعد ما إذا كانت هناك ضرورة للالتقاء بمبارك خلال زيارتها للكويت أم لا، وذلك لأن كل الأمور ستقرر في الاستانة، وليس معه»<sup>(٢)</sup>.

ولكن الحقيقة لم تكن كذلك، فقد حرص مترنيخ على الكتابة إلى الشيخ مبارك في ١٧ يناير/ كانون الثاني ١٩٠٠ يخبره بعمل اللجنة وبرغبتها في زيارة الكويت والالتقاء به. وربما أراد مترنيخ إعطاء الانطباع للدبلوماسي البريطاني بأن الألمان لا يقيمون صلة مباشرة مع الشيخ.

وتوضح الوثائق البريطانية حجم اهتمام لندن بهذه البعثة<sup>(٣)</sup>. ففي ٩ يناير/ كانون الثاني، أبرق المقيم البريطاني ميد في الخليج إلى حكومة الهند بقرب وصول البعثة إلى الكويت، وردت حكومة الهند بأنه لا مانع من

(١) الإشارة هنا إلى اتفاق برلين عام ١٨٧٨، انظر تفاصيل الاتصالات الدبلوماسية بين لندن وبرلين حول هذا الشأن في د. وليد حمدي الأعظمي، مرجع سابق، ص ص ٢٨-٣٠.

(٢) غيورغي بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ص ١٤٦-١٤٧.

(٣) سلطان بن محمد القاسمي: بيان الكويت، مرجع سابق، ص ١٠٧.

دخول البعثة إلى الكويت، إذ لا توجد أسباب مقنعة لمنعها من ذلك، وأن على المقيم البريطاني الاتصال بالشيخ مبارك والتأكيد عليه بعدم عقد أي اتفاق مع هذه البعثة.

وأبرق المقيم في اليوم التالي إلى الهند بأنه سيرسل مساعده جاسكن على ظهر السفينة «ملبومني» إلى الكويت لإيصال الرسالة إلى الشيخ. وبالفعل، التقى القبطان دينسون ومعه جاسكن مع الشيخ في يوم ١٣ يناير/ كانون الثاني، وحذراه من مغبة قبول العرض الذي يحمله القنصل الألماني مترنيخ والخاص بجعل الكويت محطة نهائية لخط حديد بغداد، وأن عليه إبلاغ ما يعرضه الألمان عليه إلى الحكومة البريطانية. وكان رد مبارك موجزاً وهو «سوف أنظر إلى توصياتكم في الاعتبار». وفي ١٥ يناير/ كانون الثاني، أبرق المقيم البريطاني بعودة السفينة إلى بوشهر، وبأن شيخ الكويت تعهد بالالتزامات المتضمنة في اتفاق الحماية<sup>(١)</sup>.

وتكررت زيارات جاسكن إلى الكويت. فزارها مرة ثانية في ٢٠ يناير/ كانون الثاني، وهو يوم مغادرة البعثة الألمانية للكويت لمعرفة ما حدث مع الشيخ. وكتب الشيخ خطاباً إلى المقيم السياسي أحاطه فيه علماً بطلبات البعثة الألمانية بشأن سكة حديد بغداد، والمزايا التي تعود على الكويت من قبول ذلك. ثم ذكر الشيخ «لم أعطه إجابة فيما رغب فيه، وقلت له إن العمل لم يتأكد نفعه لأهلي وقبيلتي، ولا يمكنني إعطاء موافقة في أمر لا يكون مقبولاً لديهم. رد عليّ بأنني أملك السلطة على

(١) انظر المراسلات البريطانية الدبلوماسية بشأن خط حديد بغداد، وتطور هذا الموقف في Records of Kuwait 1899-1961, Vol 1, Op.cit, pp. 427-482.

From Sheikh Mubarak to Political Resident Mead, Bushire, January 13, 1900 وكذلك غيورغي بونداريفسكي: مرجع سابق، ص ١٤٧.

كل رعاياي في البر والبحر وكاظمة هي من ضمن إقليمي، وأنه سوف يفعل كل ما يرضيني ويرضي قبيلتي»<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن السلطات البريطانية كان لديها ما يدعوها إلى معرفة ما هو أكثر عن زيارة البعثة الألمانية. فعاد جاسكن مرة ثالثة في ٢٨ يناير/ كانون الثاني للحصول على مزيد من المعلومات. وجدير بالذكر أنه التقى في هذه الزيارة علي بن غلوم رضا الوكيل الإخباري السري لبريطانيا في الكويت، وحصل منه على الكثير من المعلومات قبل أن يلتقي الشيخ مبارك.

وفي التقرير الذي كتبه جاسكن بتاريخ ٥ فبراير/ شباط ورد فيه أن الشيخ مبارك أخبره بأن البعثة الألمانية أرسلت له خطابين تحظره بموعد وصولها وتطلب لقاء بها. وأن البعثة وصلت في تمام الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر يوم ١٩ يناير/ كانون الثاني، وأنها نزلت في ضيافة الشيخ، وأنها تكونت، إلى جانب الشخصيات السياسية التي سبق ذكرها، من المساح فون كاب ومهندس ومترجم وثمانية مرافقين كما صحبهم عبد الكريم بن حسين المشري من أهل البصرة، ولم يكن في صحبتهم مندوب عثماني، كما لم يكن معهم خطاب من الباب العالي أو من والي بغداد أو البصرة، وإنما كان معهم خطاب من مشير الجيش الثالث والقائد العسكري العام في بغداد جاء فيه «لقد جاء القنصل العام للإمبراطورية الألمانية إلى هنا بهدف إجراء مسح لطريق حديد، وهو يتجه الآن إلى نواحيكم لأداء مهمته. عاملوه بالاحترام اللازم لتنالوا منه الشناء»<sup>(٢)</sup>.

(١) سلطان بن محمد القاسمي: مرجع سابق، ص ١٠٨.

(٢) From Mead Politacal Resident Mead, Bushire, to Viceroy governmer of India, January 23, 1900.

ويضيف التقرير إن البعثة التقت الشيخ فور وصولها، كما التقى بها مرة أخرى في المساء في حضور عدد من أعيان الكويت. وأن مترنيخ أخطر الشيخ بأن المشروع يهدف إلى إقامة خط سكة حديد ينتهي عند الكويت، وأنه إذا تحقق ذلك فإن البلاد سوف تشهد عصراً من الرخاء الاقتصادي وازدهار التجارة وعموم الفائدة.

وفي الصباح التالي - كما يذكر تقرير جاسكن - التقى أعضاء البعثة بشيخ الكويت منفرداً وأخبروه بأنهم حصلوا من السلطان على امتياز لإنشاء هذا الخط الحديدي، وأن السلطان ضمن لهم إقامته، وأنهم اختاروا كاظمة كنقطة لنهاية الخط. وطلبوا منه أن يبيعهم هذه المنطقة، وأن يؤجر لهم بعض الأراضي المجاورة لها. وذكروا أن الهدف من زيارتهم الحالية هي نقل تحيات السفير الألماني وبحث موضوع هذه الأرض معه، وأنهم يتطلعون إلى عونه ومساعدته، وأن يستغل صداقته بالشيخ الآخرين على ساحل الفرات، الذي سيقيم الخط الحديد على أراض تابعة لهم أو بقرها. وفي سبيل إغراء الشيخ وكسب تأييده، أخطرت البعثة مباركاً بأنها ستدفع له ثمناً باهظاً للأراضي التي ستشترها أو تستأجرها، مؤكدة له أن الكويت ستصبح من المراكز التجارية المرموقة، وأنها قد تصبح «بومباي أخرى»، وأن إيراد الشيخ الخاص سوف يزداد، وسوف ترتفع قيمة الأرض في الكويت، وسوف تكون هناك فرص عمل متوافرة للجميع، وأن الملاحة سوف تزدهر لأن الناقلات البحرية الضخمة سوف تبحر إلى ميناء الكويت لتفريغ حمولاتها حتى تُنقل بالقطار.

ورغم أن معاهدة الحماية البريطانية الكويتية كانت لا تزال طبي الكتمان، فإن مختلف الدوائر الديبلوماسية كانت قد لاحظت تبلور علاقة خاصة بين شيخ الكويت وبريطانيا. لذلك، حرصت البعثة على التأكيد لمبارك أنه في حالة موافقته على هذا العرض، فإنها ستضمن له ولورثته

من بعده دعم ألمانيا براً وبحراً، وانها سوف ترسل بارجة حربية ألمانية لحماية الكويت.

لم يكن الشيخ يريد أن يغضب الدولة العثمانية أو بريطانيا على حد سواء. لذلك، رد عليهم بأنه لم يتسلم منهم خطاباً موقعاً من السلطان يبلغه بهدف البعثة، مؤكداً أن السلطان هو خليفة المسلمين ورأس العالم الإسلامي. كان الشيخ يريد بذلك تأكيد الصلة الروحية والمعنوية التي تربط المسلمين بالخلافة من دون أن تكون لها آثار من الناحية السياسية. لذلك، أكد أيضاً أنه لا يعتبر نفسه من رعايا الدولة العثمانية، ولا يعترف بسيادتها على الكويت.

وأضاف الشيخ إنه عربي، وإنه لن يوافق، شأنه في ذلك شأن بقية العرب، على أن يجد الأجانب لأنفسهم موقع قدم في الأراضي العربية، وأن شيوخ العرب الآخرين لن يوافقوا على التنازل عن أماكن الكلاء لخط سكة حديد أجنبي، وأنه لا يستطيع ضمان سلامة الخط وحفظ دماء المسافرين عليه، فالعرب في المنطقة أحرار مستقلون ولا نفوذ له عليهم، فنفوذه قاصر على الكويت. واختتم مبارك حديثه لجاسكن - كما ورد في تقريره - بأن البعثة أخبرته انها ستعود إلى إسطنبول لمراجعة بعض شؤونهم، ثم ترجع إليه بالعرض النهائي للصفقة. وذكر له مبارك أن البعثة قدمت له بعض الهدايا، ولكنه رفضها بحجة أنه لا يقبل الهدايا من ضيوفه<sup>(١)</sup>.

أما الوثائق الألمانية فإنها تعطي انطباعاً مختلفاً عما حدث. فحسب الخطاب الذي وجهه مترنيخ إلى ريهارتس القنصل الألماني في بغداد لإرساله برقية إلى برلين، فإن استقبال البعثة في الكويت كان «استقبالاً حسناً للغاية»، وإن حديثه مع الشيخ ولد لديه الانطباع بأن مباركاً لا يعترض من حيث

From Gaskin, Memo of an interview with sk Mubarak, Bushire (1) February 5, 1900.

المبدأ على فكرة مد الخط الحديدي، ولكنه لم يتمكن من مناقشته في موضوع استئجار جزء من الأراضي الكويتية. وأشار مترنيخ إلى أن الشيخ انتقد الأتراك لعدم تقديرهم له كما ينبغي، وأنه قام بالكثير من أجل دعم الدولة العثمانية «ولم أحصد سوى الجحود». مع ذلك، كان الشيخ حريصاً في إشارته إلى السلطان العثماني فذكر مترنيخ أنه «تحدث عن السلطان بكثير من التحية والاحترام معترفاً بأنه مولاه وسيده الروحي»<sup>(١)</sup>. وعبر عن شعوره بأن الشيخ لم يأخذ موقف الانحياز إلى بريطانيا.

أما الوثائق الروسية فتشير إلى قيام القنصل الروسي في بغداد كروغولوف بزيارة إلى الكويت في مارس/آذار ١٩٠٠ التقى خلالها الشيخ مبارك الذي أخبره بإعجاب المهندسين الألمان بكازمة كمحطة نهائية لسكة حديد بغداد، وأنه رفض الاقتراح بشكل ديبلوماسي قائلاً «نحن بدو بسطاء، لا نزرع ولا نقيم البساتين، وليس لدينا أي مداخيل، فما لزوم هذا الخط الحديدي لنا وسط الصحراء؟». وأضاف كروغولوف أنه ومن خلال أحاديثه مع آخرين، عرف أن مباركاً لم يكن مرحباً بزيارة البعثة، وأنه لن يوافق على هذا المشروع<sup>(٢)</sup>.

وفي مواجهة هذه الاحتجاجات العثمانية والضغط الألمانية، وجه وزير الخارجية البريطاني خطاباً إلى السفير العثماني في لندن بتاريخ ١١ سبتمبر/أيلول ١٩٠١ يؤكد فيه الالتزامات البريطانية السابقة بشأن عدم تغيير الوضع القائم، وأنه «يسرني أن أؤكد الضمان الذي أُعطي لسعادتكم من سفير حكومة صاحبة الجلالة في إسطنبول، بشرط أن لا تقوم الحكومة التركية بإرسال قوات إلى الكويت، وتحترم الوضع القائم هناك، فإن حكومة صاحبة الجلالة بالمقابل لن تحتل ذلك المكان أو تقيم

(١) سلطان بن محمد القاسمي: مرجع سابق، ص ١١٤.

(٢) غيورغي بونداريفسكي: مرجع سابق، ص ص ١٤٨-١٤٩.

فيه محمية بريطانية». والجدير بالذكر أن وزير الخارجية البريطاني كان يقدم هذه الضمانات بعد مرور أكثر من عامين على إبرام اتفاق ١٨٩٩ . وفي ٩ سبتمبر/ أيلول، أرسل وزير الخارجية البريطاني خطاباً إلى نظيره الألماني يؤكد فيه الالتزامات السابقة نفسها، وحرص لندن على الإبقاء على الوضع القائم في الكويت، وأن حكومة صاحبة الجلالة «لا ترغب في التدخل في سلطة السلطان القائمة كما هي في هذه الموانئ. ولا شك في أن مثل هذه السلطة لها وضع محدود جداً، وإن الشيخ يعود إلى طبقة من زعماء القبائل والشيوخ الذين يتمتعون بدرجة كبيرة من الاستقلال العملي، وقد وجدت حكومة صاحبة الجلالة أن العلاقة المباشرة معه ضرورية من أجل المحافظة على الهدوء وحماية التجارة البريطانية».

وأضاف الخطاب، «إنه، وعلى الرغم من أن لندن مستعدة للمحافظة على الوضع القائم، فإن حكومة صاحبة الجلالة لا تستطيع القبول بالمحاولات المبذولة من تركيا لفرض الشروط على الشيخ في الوقت الذي هو متحرر منها إلى الآن. لذا، فقد اعتبرت القضية خاضعة لمناقشة ودية ومباشرة مع السلطان الذي اعتبر بدوره القضية منتهية، إذ تم إبلاغ الكونت مترنيخ بالضمانات التي تم تبادلها»<sup>(١)</sup>.

وأشارت الخارجية الألمانية إلى أهمية موقع الكويت بالنسبة إلى ألمانيا، فهو المحطة النهائية لخط سكة حديد بغداد، وإنها تتعهد بإصدار التعليمات اللازمة إلى مدير شركة السكك الحديدية، للتوصل إلى تفاهم مع الحكومة البريطانية في الوقت الملائم لشراء الأرض اللازمة للمحطة المذكورة، ولإنزال المواد اللازمة في الكويت. وأجاب سالزبري أن بريطانيا لن تعترض على اعتبار الكويت نهاية لسكة حديد بغداد، ولكنه

(١) د. وليد حمدي الأعظمي: مرجع سابق، ص ص ٣١-٣٢.

اشترط أن تسبق ذلك مباحثات بين الحكومتين، لأن بريطانيا تحكمها علاقات خاصة بالإمارة.

وبعد ذلك بفترة قصيرة، أكد وزير الخارجية الألماني الكونت مترنيخ هذا الضمان للورد لنسدون، مضيفاً إن الخط الحديدي إما أن يكتمل مده خلال خمس سنوات أو خمسين سنة من الآن، أو لا يتم على الإطلاق، وإنه من المهم من وجهة نظر ألمانيا أن تكون الظروف مستقرة في ذلك الجزء من الخليج، عندما يتم العمل في مد الخط المذكور<sup>(١)</sup>.

وكان موضوع سكة حديد بغداد هو أحد بنود الاتفاق الأنغلو-عثماني الموقع عام ١٩١٣. فوفقاً للمادة الثامنة، وافقت بريطانيا على مد الخط إلى الخليج واعتبار الكويت نهاية له أو أي مكان آخر يتم الاتفاق عليه مستقبلاً. كما وافقت بريطانيا على السماح بإنشاء دوائر للجمارك، وأي دوائر ومؤسسات أخرى تكون لها علاقة بإنشاء الخط. ويبدو أن بريطانيا أدركت الأهمية الاقتصادية لهذا الخط، وحرصت على أن يكون لها دور في إنشائه. ففي الوقت الذي توصلت فيه إلى اتفاق بشأنه مع الدولة العثمانية، فإنها دخلت في محادثات مع ألمانيا وافقت فيها بريطانيا على أن يكون مد الخط في المنطقة ما بعد البصرة باتفاق بين الحكومتين البريطانية والألمانية، على أن تشارك بريطانيا مالياً في إقامة الخط بنسبة ٤٠٪، وأن يدخل في مجلس إدارة الشركة عضوان بريطانيان.

وبالتوازي مع الجهود الألمانية لإنشاء الخط الحديدي، بدأت السفن الألمانية في الظهور في الخليج منذ عام ١٨٩٩، وكانت السفينة «أركونا» من طلائع هذه السفن. وفي بداية عام ١٩٠٠ تقدم جورج ماكنزي، أحد ملاك شركة الهند البريطانية البخارية، بتقرير إلى حكومة الهند تضمن أن

(١) المرجع السابق، ص ٣٣.

الشركة الألمانية لشرق أفريقيا للبخار سوف تنظم رحلات إلى موانئ الخليج. وطلب ماكنزي أن تمتد رحلات الشركة التابعة له إلى الكويت ليكون لها وجودها في المنطقة قبل وصول الألمان، كما طالب الحكومة بأن تحصل له على موافقة شيخ الكويت<sup>(١)</sup>.

وعند عرض الأمر على الشيخ مبارك وافق، أولاً، ثم عاد وتراجع عن موافقته خشية أن تمتد خدمات الحجر الصحي إلى ميناء الكويت، وطالب بعدم إنشاء حجر صحي في الميناء إذا أرادت الشركة العمل فيه. ولم يكن ذلك ممكناً لأنه من دون حجر صحي في الميناء، فإنه لن يُسمح للسفن الآتية منه أن تبحر إلى ميناء البصرة<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا المجال، نشطت شركة فوركهوس الألمانية في مجال الشحن مع موانئ الخليج، وكان مركزها الرئيسي في البحرين. وكانت هذه الشركة إحدى الشركات النشطة في مجال إنشاء خط حديد بغداد، ومثلت سفنها البخارية منافسة حقيقية لشركة لنش Lynch البريطانية التي قامت بالدور الأساسي في مجال نقل البضائع بين الخليج وأوروبا. وتضمنت التقارير الدبلوماسية البريطانية الكثير من الإشارات إلى الضغوط التجارية التي مثلتها شركة فوركهوس على المصالح البريطانية<sup>(٣)</sup>. ففي سبتمبر/ أيلول ١٩٠٥، زار يوهانسون ممثل الشركة الكويت «لبحث أحوالها التجارية».

(١) انظر المراسلات الدبلوماسية البريطانية بشأن شركة الملاحة البريطانية - الهندية ومصالح بريطانيا التجارية في الكويت في

Records of Kuwait, Vol 4, **Op.cit.** pp. 161-180.

From Mubarak to Lyle, Rabi Sani 4, 1318 h. (٢)

(٣) انظر التقرير الذي أرسله الوكيل السياسي نوكس إلى المقيم السياسي في بوشهر بتاريخ ٣ سبتمبر/ أيلول ١٩٠٧ حول نشاط تلك الشركة في

Major S G Knox, Political Agent, Kuwait to Political Resident, Bushire, 3 September 1907 in **Records of Kuwait**, Vol 4, pp. 699-700.

والمراسلات المرتبطة الموضوع نفسه، المرجع السابق، ص ص ٧٠٤-٧٠١.

غير أن الشيخ لم يسمح له بأن يقيم فيها طويلاً، وذلك حسب ما سجله لوريمر<sup>(١)</sup>. وقابل السيد روبرت فوركهافوس الشيخ مبارك عام ١٩٠٧، وعرض عليه استخدام شركته في شحن البضائع، فأجابته الشيخ أن رعاياه يتعاملون مع شركة الشحن البريطانية منذ مدة<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ج ج لوريمر: دليل الخليج، ج ٣، مرجع سابق، ص ١٥٦٥.

(٢) نجاهة عبد القادر الجاسم: التطور السياسي والاقتصادي للكويت بين الحربين ١٩١٤-١٩٣٩، مرجع سابق، ص ٢٦.

---

## رابعاً: التطلع الروسي الى المياه الدافئة

أما روسيا القيصرية، فقد سعت إلى الوصول الى المياه الدافئة. وفي ديسمبر/ كانون الأول ١٨٩٨، منحت الحكومة العثمانية الكونت فلاديمير كابنست، أحد كبار رجال الأعمال الروس وشقيق السفير الروسي لدى الإمبراطورية النمساوية المجرية في فيينا، امتيازاً لإنشاء خط حديد يربط طرابلس على البحر الأبيض المتوسط بالكويت عبر حمص والشام، تمتد فروع منه إلى بغداد و خانقين<sup>(١)</sup>.

لقد كان هذا القرار ثمرة جهد روسي في فارس تمثل في إقامة العديد من المشروعات الاقتصادية، وتبادل الزيارات العسكرية، وفتح القنصليات الروسية، وإرسال البعثات الطبية. وكان الموقف البريطاني واضحاً، فسعت لندن إلى الضغط على فارس، وتحذيرها من التنازل لروسيا عن أي ميناء في منطقة الخليج.

وأثار المشروع قلقاً بالغاً لدى المسؤولين البريطانيين الذين تابعوا خطوات دراسة تنفيذه أولاً بأول. وكان على رأس هؤلاء المسؤولين

---

(١) انظر في تطور النظرة الروسية إلى منطقة الخليج

A. Lutsky; **Modern History of the Arab Countries** (Moscow, 1969).

اللورد كيرزون نائب الملك في الهند، الذي كان مدركاً - من قبل توليه هذا المنصب - لخطورة النفوذ الروسي في الخليج، فأشار في كتابه المعنون «فارس والمسألة الفارسية» الصادر عام ١٨٩٢ إلى أنه يعتبر منطقة الخليج بمكانة منطقة بريطانية مغلقة لا ينبغي أن يسمح لأي دولة بأن تحصل على قاعدة تجارية أو بحرية على سواحلها. وقاده هذا التفكير إلى اعتبار أن السماح لدولة أخرى بالحصول على ميناء في الخليج يعتبر إهانة مقصودة موجهة إلى بريطانيا. وأضاف إن إنشاء ميناء روسي على الخليج «هو حلم الوطنيين المتحمسين من أهل الفولجا»، ولكن إنشاء مثل هذا المرفق سوف يمثل عنصر اضطراب في الخليج، ويهز توازن القوى الذي أقامته بريطانيا بعد جهد جهيد<sup>(١)</sup>.

وانعكست هذه الخلفية على أداء اللورد كيرزون في منصبه كنائب للملك في الهند، وفي السياسات التي أوصى بها تجاه سعي روسيا للحصول على تسهيلات بحرية في أحد موانئ الخليج<sup>(٢)</sup>. وكان من دلائل هذا الموقف تعقيبه على توقيع الكويت اتفاق الحماية البريطانية بأنه يمثل إنجازاً عظيماً، ويوجه ضربة إلى الروس.

وعندما عُرض المشروع على السلطان عبد الحميد الثاني، أحاله إلى وزير الأشغال العمومية لدراسته وتقديم تقرير عنه. وفي الوقت نفسه، بحث الروس فكرة تسيير خط ملاحى عبر منطقة الخليج تقوم بإدارته «شركة البحر الأسود الروسية للملاحة البحرية»<sup>(٣)</sup>، وعهدوا إلى

(١) Lord Curzon; **Persia and The Persian Question** (London, 1892), p. 465. انظر كذلك: د. السيد رجب حراز: الدولة العثمانية وشبه الجزيرة العربية ١٨٤٠-١٩٠٩ (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٠)، ص ص ١٧٢-١٧٣.

(٢) Government of India to Lord Hamilton, February 14, 1899.

(٣) د. بدر الدين الخصوصي: «النشاط الروسي في الخليج العربي ١٨٨٧-١٩٠٧» في مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، السنة الخامسة، العدد ١٨ (أبريل/ نيسان ١٩٧٩)، ص ١١٨.

المختصين للقيام بجولات لمعاينة موانئ الخليج، فزار سير و امياتيكوف في ١٩ يونيو/ حزيران ١٩٠٠ بوشهر، ومنها اتجه إلى بغداد في الشهر التالي، ووصل الكويت في ١٢ أغسطس/ آب.

كانت إمارة الكويت محط اهتمام الروس لاستخدامها محطة لتخزين الفحم. واستنتج البريطانيون أن الروس يخططون لكي تصبح الكويت الميناء الطبيعي للسفن الروسية المتجهة نحو الخليج، خصوصاً أن روسيا لها وجود على الجانب الفارسي من شواطئ الخليج. وأدى هذا الاستنتاج إلى تغيير وجهة النظر البريطانية تجاه فكرة توقيع اتفاق حماية مع الشيخ مبارك الذي كان قد أعرب عن رغبته في إبرامها.

فعند بحث هذه الفكرة في بداية عام ١٨٩٧، أيدها ميد المقيم الإنكليزي في بوشهر، بينما تحفظ رؤساؤه على هذا الرأي خشية أن يؤثر ذلك على العلاقات البريطانية العثمانية. لذلك، وكما ذكرنا في الفصل الأول من الكتاب، تغير اتجاه حكومة الهند ولندن، وصدرت التوجيهات لميد في يناير/ كانون الثاني ١٨٩٩ بزيارة الكويت وتوقيع الاتفاق.

لقد أدرك الروس أهمية موقع الكويت، وسعوا إلى جمع بيانات أكثر عنها وأرسلوا سلسلة من المبعوثين تحت دعاوى التجارة، أو مكافحة مرض الطاعون، ولكنهم كانوا في الحقيقة رُسلًا حكوميين على اتصال بالسلطات العثمانية في البصرة والاستانة. وكان الهدف من هذه الزيارات كسب ود شيخ الكويت، والتقرب منه، وكسب دعمه. لذلك، وعدوا بتقديم كل المساعدات الممكنة باسم الحكومة الروسية للمحافظة على استقلاله. وعلى سبيل المثال، ففي أعقاب تسرب أخبار الاتفاق البريطاني - الكويتي إلى الروس، قرر كروجلوف القنصل الروسي في بغداد إرسال التاجر الروسي ارتين اوفانسيان إلى الكويت - وهو تاجر أرمني حصل على الجنسية الروسية وكان يعيش في بغداد - بحجة شراء فرو الحملان.

وبالفعل، زار اوفانسيان، ومعه تاجر آخر، هو عباس علييف، الكويت في مارس/ آذار ١٨٩٩، والتقيا الشيخ مبارك الذي أبدى في حديثه معها اهتماماً بالغاً بالتطورات الدولية وما يثار بشأن مد خط سكة حديد بغداد. وترتب على هذه الزيارة أن أصبحت للروس معرفة مباشرة بأمور الكويت<sup>(١)</sup>.

وتشير المصادر إلى زيارة القناصل الروس في بوشهر وبغداد للشيخ مبارك لإبلاغه قلق روسيا إزاء النشاط البريطاني المتزايد في الكويت، واستعداد القيصر الروسي لمعاونته ومساعدته. وعندما علم الروس بأمر اتفاق ١٨٩٩، احتجوا على ذلك لأنه كان من شأنه إحباط خطط روسيا، ومنها مشروع الكونت كابنست. واتهمت روسيا الحكومة البريطانية بانتهاكها سياسة احترام الوضع القائم في الخليج. ومن ناحيتهم، احتج الإنكليز على مشروع كابنست الذي اعتبره تهديداً لمصالحهم ونفوذهم. وكان مشروع سكة حديد بغداد جزءاً من دبلوماسية روسية نشطة في السنوات الأولى من القرن العشرين شهدت نشاطات عسكرية ملحوظة. وتكشف مواد أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي السوفياتي في لينينغراد، والذي نشرت بعض وثائقه عام ١٩٩٠، تفاصيل دخول السفن الروسية في منطقة الخليج، وقيامها بزيارات لعدد من مدنه كان من بينها ثغر الكويت<sup>(٢)</sup>.

ففي مارس/ آذار ١٩٠٠، قامت سفينة خفر السواحل «جلياك»، التي كان يستقلها كروجلوف ونائبه أوسنيكو بزيارة إلى موانئ الخليج. وفي

(١) غيورغي بونداريفسكي: مرجع سابق، ص ١٩٣.

(٢) سفن روسية في الخليج العربي ١٨٩٩-١٩٠٣. مواد من أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي: مرجع سابق. وانظر كذلك

Efim Rezvan, *Russian Ships in The Gulf 1899-1903* (London: Ithaca Press, 1993).

مجال ترتيب زيارتها للكويت، اتصل كروجلوف بنقيب البصرة السيد رجب للتأكد من حسن استقبال السفينة في الكويت، فأخبره النقيب بأنه قد تلقى خطاباً من الشيخ مبارك يخبره فيه بتطلعه إلى استقبال الضيوف الروس على خير وجه. وعندما وصلت السفينة ميناء الكويت في ١٦ مارس/ آذار، رحب بها الشيخ جابر ثم استقبل الشيخ مبارك ركبها، وأخبرهم بأنه عاد خصيصاً من الصحراء لمقابلتهم، وأن قبطان سفينة سفنكس البريطانية حاول إقناعه بالبقاء في الصحراء وعدم تنظيم أي احتفالات بمناسبة وصولهم، وحذره منهم لأن الروس - حسب زعمه - يدبرون للاستيلاء على الكويت، ولكنه لم يأخذ بهذه النصيحة<sup>(١)</sup>.

وحسب الوثائق الدبلوماسية الروسية عن هذه الزيارة، فإن الشيخ انتقد بريطانيا وديبلوماسيةها، وكشف لهم عن الضغوط التي يمارسها البريطانيون عليه من أجل الحصول على موافقته على تسيير خط بحري منتظم لشركة بريتش إنديا بين الكويت وموانئ الخليج وبومباي. كما تشير هذه الوثائق إلى أن أعوان الشيخ أخبروا الوفد بأن الشيخ لديه من الأسباب ما يكفيه لعدم الثقة بالديبلوماسيين البريطانيين.

ويفصح ذلك عن سياسة الشيخ مبارك الذي كان يوازن بمهارة بين بريطانيا والدولة العثمانية بهدف المحافظة على استقلاله. ورأى في روسيا صديقاً يمكن أن يكون عوناً له. لذلك، لم يكتف الشيخ مبارك باستقبالهم بل دعاهم إلى قصره، وأعد لهم رحلة صيد لكنها لم تتحقق لأنه كان ينبغي على سفينتهم المغادرة فوراً. وعندما عرف الشيخ برغبة القنصل الروسي

(١) المرجع السابق، ص ص ٥٤-٥٥. وكذلك غيورغي بونداريفسكي: مرجع سابق، ص ص ٢١٤-٢١٨. وجددير بالذكر أن المصادر العربية تختلف حول طريقة كتابة اسم نائب القنصل الروسي في بوشهر. فيشار إليه مرة باسم أوفسينكو ومرة باسم أوسنيكو، وهي الطريقة المستخدمة في هذا الكتاب.

في العودة إلى البصرة براً، أمر بإعداد قافلة وحراسة خاصة لمرافقته، وفور عودته تبادل كروجلوف مع مبارك رسائل الشكر والمودة.

وفي مارس/ آذار ١٩٠١، عاد التاجر عباس علييف مكلفاً من أوسنيكو استطلاع آخر المعلومات حول المواجهات العسكرية بين قوات مبارك وابن الرشيد. ونظراً إلى أن مبارك كان يخوض الحرب خارج الكويت، فقد ترك له علييف رسالة يبلغه فيها تحياته. وبمجرد عودة مبارك، أرسل مبعوثاً إلى البصرة برسالة يطلب فيها من علييف زيارة الكويت في أسرع وقت، وذلك لأمر «ضروري جداً». عاد علييف إلى الكويت، والتقى الشيخ الذي بعث معه برسالتين إلى كل من كروجلوف وأوسنيكو.

وتضمنت الرسالتان عبارات الصداقة والمودة مثل «إنني صديقكم المخلص إلى حد كبير أتم لا تتصورونه»، وأنه مستعد «بكل سرور لتنفيذ كل ما تحتاجون إليه في بلادكم». ونقل علييف رسالة شفوية مؤداها أن مبارك يطلب الحماية الروسية، وأنه على استعداد «لتمكين الروس من اتخاذ الإجراءات اللازمة لضمان أمن الكويت، وإذا تطلب الأمر فإنه مستعد حتى لرفع العلم الروسي فوق أراضي الكويت التي تؤول ملكيتها منذ غابر الزمان إلى آل صباح، المستقلة وغير المربوطة بأي اتفاقات».

كان من الطبيعي أن يسعى كروجلوف وأوسنيكو إلى التأكد من صحة هذه الرسالة الشفهية، وأن يحصلوا على مضمونها في صيغة مكتوبة. لذلك، تقرر أن يسافر علييف إلى الكويت مرة ثالثة ليعود منها في ٢٣ أبريل/ نيسان بخطاب مكتوب ورد فيه أن الشيخ لا يستطيع أن يسجل كتابة كل أفكاره لأنه غير متأكد من نجاح مساعيه، وأنه يخشى من استخدام مثل هذا الخطاب المكتوب ضده مستقبلاً.

وأرسل مبارك خطاباً إلى كروجلوف أكد فيه على استقلال الكويت، وأن ما يربطه بتركيا هو علاقات عادية. وأشار في ختام خطابه إلى زيارة

كروجلوف قائلاً «عندما شرفتم طرفنا في العام الماضي، وهو ما كنت أتمناه، قدمت لكم الخدمة والمراعاة حياً لدولتكم العلية وسيرتها الحسنة، ولنقاء دولتكم لكل من يعمل معكم بإخلاص واحترام، وإني أيضاً قد بلغت حضرتكم شفاهة بأنني ليس لي غنى عن وقوع أنظاركم، والآن أيضاً بكتابي هذا ألتمس وقوع أنظاركم علينا».

فهم الروس مضمون رسالة مبارك، وأرسل كروجلوف إلى وزارة الخارجية الروسية تقريراً ورد فيه أن «شيخ الكويت يطلب حمايتنا». وفي ١٠ مايو/ أيار، رفع كروجلوف تقريراً آخر عن الوضع في الكويت، وعن مقابله مع وكيل الشيخ في بغداد الذي طلب الحماية الروسية رفع العلم الروسي في الكويت.

كان كروجلوف متحمساً لدور روسي أكبر في الكويت. وكتب إلى رؤسائه تقريراً في يونيو/ حزيران ١٩٠١ ورد فيه «نحن أمام أمر واقع وحقيقة تاريخية جديدة تطرح أمام سياستنا طلباً يستوجب تقييمه الفوري والرد عليه، يطالبنا بذلك الشيخ مبارك، الأمير الحر الثري، المالك العربي لجون القرين، المفتاح إلى صحراء الجزيرة العربية، وإلى وادي دجلة والفرات، الأمير الذي دافع حتى الآن بكل هذا النجاح عن بلاده وحرته من تطاول أعدائه، سواء الإنكليز أو الأتراك الذين قدروا من زمن طويل أهمية الكويت». وحضّ كروجلوف حكومته على التخلي عن دور المراقب لما يحدث في الخليج والكويت، وضرورة اتباع دبلوماسية نشطة لمواجهة الخطط الإنكليزية والألمانية والتركية للسيطرة على الكويت<sup>(١)</sup>.

(١) غيورغي بونداريفسكي: مرجع سابق، ص ص ٢٦٧-٢٦٨. انظر نص البرقية السرية لكروجلوف في ١٣ أبريل/ نيسان ١٩٠١ وتقرير أوسنيكو بتاريخ ٢٠ أبريل/ نيسان حول هذا الموضوع في المرجع السابق، ص ص ٤٦٠-٤٦٢.

دار حوار واسع داخل وزارة الخارجية الروسية بشأن طلب الشيخ، ومدى جديته، والعواقب المترتبة على قبوله. ووصل مسؤولو الوزارة إلى نتيجة مؤداها أنه لا يفضل التدخل في موضوع الكويت بأي شكل من الأشكال، وذلك بسبب الغموض الذي يكتنف الوضع هناك. ويمكن تفسير هذا الموقف بعدم رغبة روسيا في الدخول في مواجهة صريحة مع بريطانيا في الخليج، علاوة على شكوك الروس بشأن جدية طلب الشيخ، وذلك في ضوء معرفتهم بالاتفاق المبرم مع بريطانيا. مع ذلك، لم تشأ روسيا أن تقطع كل صلة لها بالشيخ، فكلفت أداموف القنصل الروسي في البصرة بأن يبلغ الشيخ رسمياً بأننا «سوف نستخدم نفوذنا في الآستانة من أجل أن نكون مستعدين دائماً للدفاع عن مصالحه المشروعة وعن مطالبه من الحكومة التركية، وسوف نمنع الأخيرة من التناول على الاستقلال الذي تتمتع به الكويت». وانهزت الدبلوماسية الروسية هذه الفرصة لتوجه النصيحة للشيخ بعدم إفساد علاقاته مع تركيا، وحذرت من السياسة الإنكليزية التي تسعى لفرض الهيمنة على ساحل الخليج بأسره<sup>(١)</sup>.

وفي سبتمبر/أيلول ١٩٠١، وصل الطراد «فارياج» وذلك ضمن جولة في عدد من موانئ الخليج. وكان فارياج، الذي بُني في العام نفسه، يعتبر من أحدث السفن ومن أقوى الطرادات في العالم. فقد بلغت حمولته ٦٥٠٠ طن، وكان مسلحاً بـ٣٤ مدفعاً سريع الطلقات وستة أجهزة لإطلاق الطوربيد، وبلغ عدد أفراد طاقمه ٥٧٠ شخصاً مما جعله رمزاً للتقدم التكنولوجي والقوة البحرية الروسية. وأشار اوسنيكو، الذي رافق الطراد في جولته، إلى أن ظهوره أبهز أهالي الخليج بسبب حجمه الضخم، وقوة إضاءة مصابيح، وروعة أداء الفرقة الموسيقية المرافقة له، والتي لم

(١) المرجع نفسه، ص ٢١٩-٢٢٣.

يظهر مثيل لها في المنطقة من قبل. وكان أكثر ما أعجب به سكان الخليج هو سماح السلطات الروسية لهم بالصعود إلى سطح الطراد، وتفقدته من الداخل، وحسن استقبال البحارة الروس لهم<sup>(١)</sup>.

وحسب الوثائق الروسية، فقد كان الهدف من إرسال هذا الطراد «أن نبين للسلطات الأجنبية والمحلية، من ظهور العلم الروسي في هذه المياه، أننا نعتبر هذه المياه سهلة المنال تماماً على ملاحه جميع الأمم، خلافاً لمطامع الحكومة البريطانية في تحويل الخليج العربي إلى بحر مغلق داخل في دائرة مصالحها فقط»<sup>(٢)</sup>. وتضمن أمر رئيس الأركان البحرية لقائد الطراد ضرورة التحلي بالحذر والحصافة، وأوصاه بضرورة كسب صداقة السكان المحليين، وأن يشرح لهم أن روسيا ليس لها أهداف عدوانية أو أنها تسعى للاستيلاء على الأرض.

وصل الطراد الى الكويت في الثامن من ديسمبر/ كانون الأول ١٩٠١. وحسب تقرير قائد الطراد، فقد صعد إليه الشيخ جابر للترحيب بطاقمه، ومعه هدية من عشرة خراف، وأخبرهم بأن الشيخ مباركاً خارج الكويت مع قواته لمواجهة هجوم عبد العزيز بن رشيد الذي كان قد قدم بقواته إلى الجهرة، ورابط على حدود الكويت بتحريض من الدولة العثمانية.

وفي اليوم التالي، سافر أوسنيكو ومرافقوه على ظهور الجياد للقاء الشيخ مبارك في الجهرة «حيث استقبلهم الشيخ بنفسه بحفاوة وترحاب بالغين، وأراهم قواته في المعسكر، وأقام بمناسبة مجيء الضيوف رقصات وألعاباً فروسية عسكرية. علاوة على ذلك، طلب منا أن ننقل على لسانه أنه سيكون مبسوطاً جداً إذا صارت السفن الروسية تزور ممتلكاته بتكرار

(١) المرجع نفسه، ص ص ٢٧٦-٢٧٧.

(٢) سفن روسية في الخليج العربي ١٨٩٩-١٩٠٣. مواد من أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي: مرجع سابق، ص ٧٧.

متزايد قدر الإمكان. وأنه يفضل، إذا حلت أوقات عصيبة بالكويت، طلب المساعدة من الروس وليس من أي بلد آخر»<sup>(١)</sup>. وعندما سأله عن موضوع مد خط سكة حديد إلى الكويت، قال الشيخ إنه لم تجر أي أعمال تنفيذية بشأن هذا المشروع، وإنه ضد ذلك.

ولاحظ كاتب التقرير وجود خنادق محفورة يحتوي فيها الجنود، وأنها شبيهة بالخنادق التي تحفرها قوات المشاة الروسية. ولعل هذه الملاحظة تشير إلى إعجاب الضباط الروس بالفن العسكري المستخدم الذي يشابه ما تقوم به الجيوش الأوروبية، خصوصاً أنه «لم يكن هناك مستشارون أوروبيون على ما يبدو». كما لاحظ التقرير عدم وجود مظاهر واضحة للنفوذ الإنكليزي، في ما عدا قيام أحد أهالي الكويت، وهو إيراني، بإنشاء فرن للخبز بمساعدة الإنكليز، وذلك للبيع لركاب السفن البريطانية التي تزور الكويت، ووجود وكيل تجاري لشركة الملاحة الهندية البريطانية عينته الشركة في يوليو/ تموز ١٩٠١، وذلك للإشراف على استقبال سفنها التي كانت تقوم برحلات منتظمة إلى الكويت مرة كل أسبوعين. وحسب التقرير، فإن القنصل عرف أن وكيل هذه الشركة نصب سارية في فناء منزله لمقابلة العاملين مع السفن التابعة لها، ولكن تلك السارية مزقت بفعل مجهول، وألقى الشيخ باللوم على البدو الرحل. وعلق القنصل الروسي على ذلك، بأن الأرجح أن تمزيق السارية جاء بأمر من الشيخ نفسه الذي لم يرغب في أن تتم مثل هذه اللقاءات بعيداً عنه. والدليل على ذلك، أنه أمر بإعادة نصب السارية في فناء قصره حتى تجرى أي محادثات تحت إشرافه<sup>(٢)</sup>.

وفي تقرير أوسنيكو عن حديثه مع حاكم الكويت، أشار إلى أن مباركاً «طلب منا بأسلوب وكلمات مؤثرة للغاية أن ننقل إلى الحكومة الروسية

(١) المرجع السابق: ص ٩١.

(٢) المرجع نفسه: ص ص ٩٢-٩٣.

امتنانه العميق على منحه هذا الشرف العظيم المتمثل في إرسال السفينة العسكرية إلى الكويت، ورغبته في أن يرى الروس في الكويت في زيارات أكثر بقدر الإمكان... وعند الوداع ذكرني الشيخ مبارك مرة أخرى برغبته التي أعرب عنها أكثر من مرة في أحاديثه معي، في أن يرى السفن التجارية محملة بالبضائع والسلع الروسية في الكويت». وأشار أوسنيكو إلى حسن استقبال الشيخ وأسرته للبحارة الروس، وحسن مشاعر الأهالي تجاههم. وكان تقديره أن مشاعر الشيخ صادقة، وأنه يتطلع فعلاً إلى تعزيز العلاقات الاقتصادية والسياسية مع روسيا<sup>(١)</sup>.

أما الوثائق البريطانية، فإنها تقدم صورة مخالفة لذلك. كان البريطانيون حريصين على معرفة ماذا يدور بين الشيخ وزائريه من الأجانب، وكان الشيخ حريصاً هو الآخر على عدم الكشف عن أوراقه وأفكاره. فبمجرد مغادرة فارياج التقى القبطان سيمونز، قائد البحرية البريطانية في الخليج، بمبارك لمعرفة ما حدث خلال زيارة السفينة الروسية. ولم يكن ذلك كافياً، فقد زار المقيم السياسي في الخليج كمال الكويت في ٣١ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٠١ للتعرف الى مزيد من التفاصيل.

وأخبره مبارك بأن القنصل الروسي عرض عليه استعداد حكومته لعقد اتفاق أكثر ملاءمة من الاتفاق المعقود بينه وبين الحكومة البريطانية، وأنه رفض العرض بسبب موقف روسيا المؤيد للحكومة البلجيكية في فارس ومساعدتها لها لبسط سيطرتها على الجمارك الفارسية، وبالذات في المحمرة. ولما ذكر أوسنيكو أن ما تفعله الحكومة البلجيكية في المحمرة لا يختلف عما تقوم به في سائر المدن الفارسية، أجابه الشيخ مبارك بأن الشيخ خزعل حاكم المحمرة ليس كأبي حاكم (وهو ما سبق تفصيله

(١) غيورغي بونداريفسكي: مرجع سابق، ص ٢٧٩.

في الفصل الرابع). وأن أوسنيكو قد أخبره خلال زيارته بأن الحكومة الروسية تعتبره حاكماً مستقلاً، وأنه إذا احتاج إلى مساعدة، فأن عليه أن يكتب إليه في بوشهر. وأنه رد عليهم بتفضيله استمرار الحماية البريطانية. وأضاف إن أوسنيكو اقترح عليه إرسال خطاب شكر إلى القيصر، ولكنه لم يوافق على الفكرة<sup>(١)</sup>.

لا بد من التوقف هنا أمام هذا الاختلاف البين بين ما ورد في الوثائق الروسية والبريطانية من معلومات. ذلك أن جميع التقارير التي كتبها المشاركون الروس في اللقاء مع الشيخ، من عسكريين ودبلوماسيين، لم تتضمن على الإطلاق الوقائع التي أشارت إليها الوثائق البريطانية التي كان مصدرها الشيخ أيضاً، ويمكن تفسير ذلك الاختلاف برغبة الشيخ في استغلال الخلافات القائمة بين بريطانيا وروسيا والدولة العثمانية لمصلحة بلاده واستقلال حكمه.

وفي النصف الأول من عام ١٩٠٢، قام العالم الروسي بوجويافلينسكي المتخصص في علم الحيوان وعضو جمعية موسكو لخبراء الطبيعة بزيارة لمنطقة الخليج شملت المحمرة والكويت والبحرين ومسقط. وكان أوسنيكو قد أرسل خطاباً إلى مبارك في ٢٣ مارس / آذار يبلغه فيه بزيارة هذا العالم الروسي، وأنه يجري دراسة للحيوانات البحرية في الخليج، وطلب من الشيخ مساعدة الزائر على القيام بعمله البحثي، واستئجار بيت له خلال فترة إقامته في الكويت، والتي يُتوقع أن تكون لمدة ٤-٥ أيام.

وصل بوجويافلينسكي إلى الكويت في ١٨ أبريل / نيسان ١٩٠٢ لإجراء بحوثه. وكالعادة، استقبله الشيخ جابر «بأعلى درجات الحفاوة»،

(١) د. بدر الدين الخصوصي : مرجع سابق، ص ص ١١٩-١٢٢. وغيورغي بونداريفسكي: مرجع سابق، ص ص ٢٨٧-٢٨٨.

وأسكنه في قصر الضيافة، وأبلغ والده الذي كان في الصحراء عن قدومه. وحرص الشيخ مبارك على الالتقاء به، كما حرص على الحضور مرة أخرى بعد أربعة أيام لتوديعه.

وحسب التقرير الذي رفعه بوجويافلينسكي إلى أوسنيكو في ١٤ يونيو/ حزيران، فإن الشيخ مبارك ذكر له «إنني أعتبر الروس إخواناً لي وأغبت كثيراً عندما يزوروني، وأنا على استعداد دائم لأن أقدم لهم كل ما أستطيع. بلغوا القنصل العام الروسي في بوشهر السيد أوسنيكو الذي اعتبره أخاً لي سلامي ورغبتني في التراسل معه». وفي اللقاء الثاني مع الشيخ مبارك، شكر الباحث الروسي الشيخ على اهتمامه به، وسأله كيف يمكن أن يرد الجميل على حسن ضيافته، فأجابه الشيخ «شيء واحد فقط افعله لي إن استطعت: بلغ جلالة الإمبراطور في بطرسبورغ أنني صديق للروس وأعتبرهم إخواناً لي»<sup>(١)</sup>. وجدير بالذكر أن الشيخ سارع في اليوم التالي لوصول بوجويافلينسكي بارسال معلومات موجزة عن الزائر الروسي وصورة من خطاب توصية أوسنيكو عليه إلى الوكيل السياسي البريطاني.

وعلى الرغم من عدم نجاح الروس في كسب تأييد الشيخ لمشروع سكة حديد بغداد، فإن ذلك لم يمنعهم من الاستمرار في الاتصال به. فزار القناصل الروس في بوشهر والبصرة وبغداد الكويت وقابلوا شيخها بشكل دوري، مما دعا السلطات البريطانية إلى متابعة هذه التحركات للتعرف إلى أهدافها ومضمونها. فتابعت السفن البريطانية تحركات البحرية الروسية في مياه الخليج أولاً بأول، وأشارت تقارير قباطنة السفن الروسية التي زارت الكويت إلى أنه عند وصولها وجدت

(١) سفن روسية في الخليج العربي ١٨٩٩-١٩٠٣. مواد من ارشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي: مرجع سابق، ص ١٠٩.

سفينة بريطانية راسية في الميناء، أو أن البحرية البريطانية كانت على علم بتحركاتهم. كما تابع البريطانيون زيارة الباحث بوجويافلينسكي ونشاطه. وفي أحد التقارير التي رفعت للورد كيرزون حاكم الهند، ورد أن بوجويافلينسكي شوهد وهو يصوّر بواسطة التصوير الفوتوغرافي في الكويت.

واستمرت زيارات السفن الحربية الروسية للكويت، فوصل الطراد البحري «اسكولد» في ٢٨ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٠٢ يستقله أداموف القنصل الروسي في البصرة. واستقبله مندوب عن الشيخ لتقديم التحية، وأخبرهم أن الشيخ كان قد أزمع على السفر إلى الجهرة، ولكنه عدل عن ذلك بعد علمه بوصول الطراد. ثم وصل الشيخ جابر ونجلاه أحمد للترحيب ببحارة الطراد، وقاموا بالإطلاع على أسلحة الطراد ومدافعه. وبمناسبة الزيارة، أرسل الشيخ مبارك هدية تتكون من ثلاثة عجول وعشرة خراف، وقدم الروس من جانبهم للشيخ ونجلاه مسدساً وبنديقية صيد.

ومن الغريب ما ورد في تقرير راتسلاو القنصل البريطاني في البصرة - نقلاً عن مصادره السرية في الكويت - حول أن مباركاً رفض دعوة قبطان اسكولد لل صعود عليها وتفقدتها. فقد كان ذلك غير صحيح، إذ تشير الوثائق الروسية إلى أن الضباط الروس لم يواجهوا أصلاً الدعوة إلى مبارك لزيارة السفينة لمعرفتهم أنه يتحاشى ذلك.

استقبل الشيخ مبارك طاقم الطراد الذين سجلوا في تقريرهم الحفاوة والترحاب اللذين أحاطهم الشيخ بهما، حيث عبر عن سروره برؤية الطراد الروسي في ميناء الكويت، «وأنه سيقدم في المستقبل أيضاً أوسع أسباب الضيافة لجميع سفننا، الحربية والتجارية على السواء». وأعرب عن أسفه لعدم تردد السفن التجارية الروسية بشكل منتظم على الكويت أسوة بما تقوم به مع عدد من موانئ الخليج الأخرى. ولاحظ التقرير

أن الشيخ يعلم جيداً «أي قيمة تتحلى بها مدينة الكويت بوصفها أفضل وأقرب ميناء بالنسبة الى خط سكك حديد بغداد الجاري تصميمه، ولن يتوانى عن استغلال هذا الوضع لدى الحل النهائي للمسألة»<sup>(١)</sup>.

ويضيف أداموف أن مباركاً أظهر اهتماماً كبيراً بموضوع مد خط سكة حديد بغداد، وسأل عن آخر الأخبار المنشورة عن هذا الموضوع في الصحف الأوروبية. فأجابه أداموف بأن الصحف نشرت أخباراً بشأن اعتزام الحكومة البريطانية التنازل لألمانيا عن ميناء كاظمة حتى يمكن استخدامه كمحطة نهائية للخط الحديدي. ووفقاً للتقرير، استشاط مبارك غضباً، وقال إنه هو وحده الذي يتخذ القرار في شؤون الكويت، وأكد اهتمامه بتطوير العلاقات مع روسيا من كل النواحي. وعبر البريطانيون عن دهشتهم ملأن الشيخ مباركاً لم يُشر على الإطلاق الى هذه الزيارة عندما التقى، بعد عدة أيام، قائد المدمرة الإنكليزية «أسايي» التي وصلت إلى الكويت لمعرفة أخبار زيارة الطراد الروسي ولقاء طاقمه مع الشيخ<sup>(٢)</sup>.

كان هذا الصمت مقصوداً لإثارة الغموض حول ما دار بين مبارك وضيوفه الروس. واستخدم الشيخ هذه المناسبة كورقة تأثير على البريطانيين، فأرسل إلى مساعد المقيم السياسي في يناير/كانون الثاني ١٩٠٣ رسالة يشكو فيها من تباطؤ السلطات البريطانية في تقديم الدعم العسكري اللازم للكويت في مواجهتها مع ابن الرشيد والعثمانيين.

وبالرغم من أن مناقشات الشيخ مع الروس خلال زيارة الطراد لم تتضمن بحث أي موضوعات سياسية محددة، فقد سرب مبارك وأعوانه شائعة بأن المفاوضات ناقشت اقتراحات مهمة. وبلغ الأمر مسامع

(١) المرجع السابق، ص ١٣٣.

(٢) غيورغي بونداريفسكي: مرجع سابق، ص ٣٦٧.

الإنكليز الذين سعوا للتأكد من صحة هذه المعلومات، وذلك من خلال عملائهم في الكويت، وباءت تلك الجهود بالفشل ولم يصل البريطانيون وعملاؤهم إلى أي شيء، وذلك بسبب التزام الشيخ وابنه جابر الصمت. لذلك، سارع كمال بالسفر إلى الكويت في ١٨ يناير / كانون الثاني ١٩٠٣ للتحقق من الأمر بنفسه.

وفي ٥ مارس / آذار ١٩٠٣، زار الطراد الروسي «بويارين» الكويت (تصحبه السفينة الفرنسية انفرييه)، وهو الأمر الذي عكس التنسيق الروسي - الفرنسي في المنطقة خلال هذه الفترة. وصعد إلى الطراد الشيخ صباح بن مبارك يرافقه الشيخ أحمد بن جابر للترحيب بهم باسم الشيخ، وللاتفاق على موعد زيارة القنصل والضباط له. واستقبلهم مبارك في قصره في المدينة، وعندما أثير موضوع خط سكة حديد بغداد، أوضح الشيخ بجلاء معارضته وصول الخط إلى الكويت. وعندما سأله عن موقفه إزاء الخطة البريطانية لشق طريق من بورسعيد إلى الكويت «أجاب بطريقة ديبلوماسية أنه لو جرى بناء هذا الطريق من جانب بريطانيا وروسيا وفرنسا لما كان، على الأرجح، عارض ذلك». ولاحظ أحد أعضاء الوفد الذي كان قد التقى الشيخ من قبل أنه لم يتغير كثيراً خلال السنوات الثلاث الأخيرة «فهو يثير في النفوس الانطباع عن شخص يعرف قيمة نفسه ومكانته معرفة جيدة»<sup>(١)</sup>.

وبالطبع، لم يرتح البريطانيون لهذه الاتصالات. وزاد من قلقهم إقدام الروس على الاتصال بكل من الأمير عبد العزيز الرشيد، والأمير عبد العزيز بن سعود بعد سيطرته على الرياض<sup>(٢)</sup>. وكان ذلك جزءاً من «لعبة الأمم» التي عاشتها الكويت - ومنطقة الخليج كلها - في نهاية

(١) المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٢) د. بدر الدين الخصوي: مرجع سابق، ص ص ١١٩-١٢٢.

القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، التي شهدت مختلف أشكال التحالفات والصراعات والمنافسات بين الدول الأوروبية الكبرى الساعية لتوطيد نفوذها، وبين الدولة العثمانية التي كانت لها الولاية الاسمية على هذه المناطق. وسعى الشيخ مبارك إلى إدارة علاقات بلاده مع كل هذه الأطراف بما يحمي استقلال الكويت وصون حدودها.



## خاتمة

لقد جمع مبارك الكبير بين شجاعة المحارب وحصافة السياسي... بين صفات رجل الحرب من صلابة الإرادة وعزم التصميم والقدرة على الحسم، وسمات رجل الدولة من ذكاء ومرونة وتبصر وأناة. واستخدم الشيخ كل قدراته من أجل بلورة الكيان السياسي المستقل للكويت، ودعم قدراته الاقتصادية والتجارية.

إن هذه الصفحات تبين بجلاء أن الشيخ مباركاً أدار علاقات الكويت الدولية من موقع المحافظة على استقلاله. ورغم الاتفاق الذي وقعه مع الحكومة البريطانية، فإنه لم يقع في براثن سياساتها، وإنما حرص على الإبقاء على صلته بالدولة العثمانية، وكذلك بالقوى الأوروبية الأخرى. لقد اقترب من البريطانيين بحكم أن بريطانيا كانت هي القوة السياسية والعسكرية المهيمنة في منطقة الخليج، وابتعد عنهم عندما تعارضت مصالح بلاده، واستقلاله كحاكم للكويت، مع رغباتهم.

وتفصح المراسلات الدبلوماسية البريطانية الخاصة بالكويت عن عديد من الحالات التي لم يستجب فيها الشيخ للمطالب البريطانية، أو حيث أخفى عن البريطانيين أخبار اتصالاته وتحركاته، أو سعى لتسريب أخبار خاطئة للتأثير في السياسة البريطانية.

ومن أمثلة رفض مبارك للطلبات البريطانية، مقاومته للضغوط

المفروضة عليه طوال عامي ١٨٩٩-١٩٠٠ للحصول على امتياز تسيير خط ملاحى مباشر بين الكويت والهند، واضطراره لتغيير موقفه بعد معركة الصريف عام ١٩٠١<sup>(١)</sup>. وكذلك معارضته للمطلب البريطاني في سبتمبر/ أيلول ١٩٠١ بأن يرفع على قصره علماً أحمر اللون بدلاً من العلم العثماني. ومن أمثلة ذلك أيضاً رفضه لطلب الوكيل السياسي نوكس بوضع سارية للعلم البريطاني على مبنى الوكالة، وتحت الإلحاح استجاب له عام ١٩٠٧<sup>(٢)</sup>.

وكذلك رفضه في مارس/ آذار ١٩٠٨ طلب إنشاء هيئة بريطانية للحجر الصحي في الكويت<sup>(٣)</sup>، ورفضه في العام نفسه، طلب نوكس إعفاء ركاب الباخرة التابعة لشركة الملاحة التجارية البريطانية من إجراءات الحجر الصحي. وعندما هدده نوكس بأن الشركة يمكن أن توقف رحلاتها المنتظمة إلى الكويت، رد الشيخ بأنه لم يطلب خطأً ملاحياً إلى بلاده. وفي عام ١٩١١، قام الشيخ بإزالة المحجر الذي أنشأه الوكيل السياسي شكسبير<sup>(٤)</sup>.

ومن أمثلة إخفاء المعلومات ما حدث في أعقاب معركة الصريف عام ١٩٠١، عندما حرص الشيخ على عدم إخبار مساعد المقيم السياسي كمبال الذي زار الكويت في ٣١ مارس/ آذار بأي تفاصيل عما حدث في المعركة، بل أعطاه انطباعاً بأن قواته هزمت ابن الرشيد<sup>(٥)</sup>. وكذلك

(١) ج ج سلدانها (ترجمة وإعداد فتوح الخترش): التاريخ السياسي للكويت في عهد مبارك. دراسة وثائقية مقارنة بالمؤرخين المحليين (الكويت: ذات السلاسل، ط ٢، ١٩٩٠)، ص ص ١٠٥-١٠٦.

(٢) سلطان بن محمد القاسمي: بيان الكويت. سيرة حياة الشيخ مبارك الصباح، مرجع سابق، ص ١٦٤، و ص ٣١٢.

(٣) From Political Agent Knox, Kuwait to Political Resident Cox, Bushire, April 22, (٣) 1908.

(٤) سلطان بن محمد القاسمي: مرجع سابق، ص ٣١٩.

(٥) ج ج سلدانها: مرجع سابق، ص ١١٨.

ما حدث عام ١٩٠١ خلال الأزمة التي وقعت بين الشيخ والسلطات العثمانية، فحسب ما سجله لوريمر «اتصل الشيخ بممثل روسيا في بغداد، في أمر ظل مجهولاً»<sup>(١)</sup>. وتكرر ذلك عام ١٩٠٢ عندما أخفى عن البريطانيين مضمون اللقاء الذي تم بينه وبين ضيوفه الروس الذين قدموا على متن الطراد أسكولد، رغم سؤالهم عن ذلك.

وفي السياق نفسه، أرسل مبارك معلومات غير حقيقية للبريطانيين لإخفاء إرساله قواته لدعم ابن سعود ضد خطر تهديد ابن الرشيد لمدينة الرياض. كان الشيخ مدركاً أن إرساله لقواته لا يتفق مع توجهات السياسة البريطانية، ونصائح الديبلوماسيين البريطانيين له أكثر من مرة، بل وتحذيرهم إياه، من مغبة الانخراط في حروب شبه الجزيرة العربية. لذلك، سارع مبارك بالكتابة إلى المقيم السياسي في ١٤ أبريل/ نيسان ١٩٠٣ يوضح فيها أن الأمر هو مواجهة بين ابن سعود وابن الرشيد، وأنه ليس له يد أو شأن فيها. واختتم رسالته بعبارة «إن هذه الأنباء حقيقية»<sup>(٢)</sup>.

وخلال الفترة ١٨٩٩-١٩٠٤، التي كان فيها علي بن غلوم رضا الوكيل الإخباري لبريطانيا في الخليج، سعى الشيخ مبارك للتأثير على مضمون تقاريره، واستخدمه لإيصال المعلومات التي يريد إبلاغها للسلطات البريطانية، وبما يتفق مع مصالح بلاده، «وكانت الرسائل التي يبعث بها علي غلوم تكشف عن ذلك، وقد تكرر فيها، ولدرجة المبالغة، مدح الشيخ مبارك لبريطانيا وانحيازه إليها، ونبذة للدولة العثمانية. ويكشف أسلوب تلك الرسائل أيضاً عن أن الشيخ مبارك الصباح قد احتوى

(١) ج لوريمر: دليل الخليج، ج ١، مرجع سابق، ص ٥٧٥.

(٢) خالد حمود السعدون: العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩-١٣٤١ هـ ١٩٠٢-١٩٢٢ م، مرجع سابق، ص ٩٢-٩٣.

الحاج علي بن غلوم وحوّله الى مجرد كاتب عنده»<sup>(١)</sup>.  
ومن الأمثلة المثيرة للانتباه أن تقارير بن غلوم عن زيارة القنصل الروسي مع السفينة «جلياك» إلى الكويت لم تتناول ذكر السفينة بوصفها، ولا ما دار من موضوعات في لقاء الشيخ مع القنصل الروسي، مما يعني أن الشيخ مبارك أخفى عنه المعلومات المرتبطة بهذا الموضوع<sup>(٢)</sup>.  
بضاف إلى ذلك ما حدث عام ١٩٠٧ عندما تعمد مبارك عدم إخبار الوكيل السياسي نوكس بقيادته حملة عسكرية لمساعدة الشيخ خزعل أمير المحمرة في قمع تمرد إحدى القبائل. وكان ذلك أمراً حساساً لأن إيران اعتبرت المحمرة جزءاً من أراضيها، وكانت تسودها المشاعر المعادية للبريطانيين بشكل خاص. لذلك، لم يتورع الوكيل نوكس عن توصية رؤسائه بضرورة توجيه تحذير قوي إلى الشيخ أو سحب الوكيل السياسي من موقعه<sup>(٣)</sup>.

ومن الأمثلة الدالة على إخفاء الشيخ بعض اتصالاته عن البريطانيين تقرير الوكيل السياسي شكسبير في ١٥ يونيو/حزيران ١٩١٠، الذي ورد فيه أنه وصلته معلومات بأن عبد العزيز بن سالم البدر وكيل الشيخ في البصرة يجري اتصالات لتحسين العلاقة بين الكويت والدولة العثمانية، وأن الشيخ لم يحط الوكيل السياسي بمثل هذه الاتصالات<sup>(٤)</sup>.  
كان من الطبيعي ألا يستجيب الشيخ مبارك لطلبات البريطانيين وتحذيراتهم، وأن يجد الذريعة المناسبة في كل مرة لتفسير ما تقوم به قواته.

(١) د. عبد الله يوسف الغنيم (تحرير وتقديم): أخبار الكويت... مرجع سابق، ص ١٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٦.

(٣) غيورغي بونداريفسكي (ترجمة ماهر سلامة): الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، مرجع سابق، ص ٤٣٩.

(٤) Captain W H Shakespear, Political Agent, Kuwait to Political Resident, Bushire, 15 June 1910. in Records of Kuwait 1899 – 1961, Vol 1, Op.cit, pp 329-330.

واستمر الوكيل السياسي في الكويت في تنبيه الشيخ إلى خطورة ذلك. ومن هذه التحذيرات ما ورد في التقرير الذي كتبه شكسبير إلى المقيم السياسي في بوشهر في ١٢ يوليو/تموز ١٩١٠ بشأن حديثه مع الشيخ بخصوص الحملة التي شنتها قواته في منطقة الزبير، والتي أدت إلى استياء السلطات العثمانية<sup>(١)</sup>.

ومن أمثلة تسريب أخبار وشائعات خاطئة، ما تمت الإشارة إليه بعد زيارة الطراد الروسي اسكولد، وسريان إشاعة في الكويت بأن محادثات الروس مع الشيخ تضمنت مقترحات سياسية مهمة، على خلاف ما حصل في الواقع. وكذلك، ما ذكره الشيخ لنوكس في ديسمبر/كانون الأول ١٩٠٨ بأن السلطان العثماني حريص على تحسين علاقاته مع شيخ الكويت، وأنه عرض عليه أن يتقلد منصبه والي القطيف والأحساء، وأنه رفض العرض. ومع أن البريطانيين لم يكونوا في وضع يسمح لهم بتأكيد أو نفي تلك الواقعة، فقد حرصوا على إبلاغها إلى وزارة الخارجية في لندن<sup>(٢)</sup>.

ولم يتردد الشيخ مبارك قط في التعبير عن شعوره بعدم الرضا تجاه بريطانيا، وهو ما سجله الدبلوماسيون البريطانيون المرة تلو الأخرى. وعلى سبيل المثال، ففي لقاء المقيم السياسي كمبال معه في يناير/كانون الثاني ١٩٠٣، والذي يذكر كمبال في تقريره إنها كانت مقابلة طويلة وتفصيلية، ورد أن رسائل الشيخ إليه أفصحت عن «أنه يحس بنوع من تقصير الحكومة البريطانية تجاهه»، وأن كمبال سعى لتبديد هذه الفكرة لديه.

(١) Captain W H Shakespear, Political Agent, Kuwait to Political Resident, Bushire., (١) 12 July 1910. in Records of Kuwait 1899-1961, Vol 1, **Op.cit**, pp. 332-333.

(٢) From Political Resident Cox, Bushire to Minto, Foreign Office, London, December (٢) 9, 1908.

ومرة ثانية، في خطاب الشيخ إلى القائم بأعمال المقيم السياسي نوكس في ٧ أغسطس/ آب ١٩٠٤ والخاص بتعيين الكابتن نوكس وكيلاً سياسياً في الكويت، انتهز الشيخ الفرصة للإشارة إلى المشكلات التي تعرض لها بسبب علاقته ببريطانيا، وأنه - حسب قوله - «حتى الآن لم أجد من حكومتكم الإنصاف اللازم مما سببته لي الحكومة التركية من خسائر حلت بي من غير أسباب سوى الصداقة التي تربطني بكم». وبعد ترحيبه بتعيين نوكس، فقد حرص على تسجيل: «وأتمنى أن أرى السلام والأمن يتحقق على يديه، وأن يشمل ذلك مصالحتي. وإذا لم يتحقق لي ذلك فلا جدوى لإقامته في إقليمي»<sup>(١)</sup>.

وكان في تلك الإشارة الواضحة قبل وصول أول وكيل سياسي إلى الكويت تأكيد من جانب الشيخ لمعنى «المصالح المتبادلة». لقد أدرك الشيخ أن بريطانيا لها مصالح استراتيجية وسياسية واقتصادية كبيرة في الكويت، فحرص على استثمار ذلك، وتوظيف هذه العلاقة من أجل صون حدود الكويت والمحافظة على استقلالها.

وفي يناير/ كانون الثاني ١٩٠٥، أخبر الشيخ الوكيل السياسي نوكس بأنه اضطر إلى تحسين علاقاته مع الدولة العثمانية لأن «الحكومة الإنكليزية تقع على مسافة كبيرة من الإمارة لا تؤهلها لمراعاة مصالحها». وأضاف متسائلاً وساخراً «نحن لا نعلم في ما تكمن حقيقة أهداف سياستها». كما أعرب مبارك عن اندهائه من تلكو بريطانيا في اتخاذ التدابير الكافية لمنع القوات العثمانية من حشد قوات جديدة في الجزيرة العربية. وعندما شرح نوكس لمبارك أن اللورد كيرزون حاكم الهند اقترح ذلك على وزارة الخارجية البريطانية، ولكنها لم تأخذ برأيه، علق مبارك ساخراً بأن اللورد

(١) سلطان بن محمد القاسمي: مرجع سابق، ص ٢٥٨ و ص ص ٢٨١-٢٨٢، و ص ٢٩٣.

نائب الملك كان ينبغي له تقديم استقالته من منصبه<sup>(١)</sup>. كان الشيخ حريصاً على استقلال بلاده، وعلى عدم تدخل بريطانيا في شؤونه الداخلية، وهو ما لاحظته السلطات العثمانية وسعت للاستفادة منه. فسجل برتوي باشا كبير موظفي الجيش التركي السادس الذي التقى الشيخ مبارك في يونيو/ حزيران ١٩٠٧ في تقريره أنه «بلا شك، فإن الشيخ مبارك يتضايق من تدخل بريطانيا في شؤونه الداخلية، وبالتالي فإن الظرف مناسب للأترك لعمل شيء»<sup>(٢)</sup>.

وأشار تقرير الوكيل السياسي نوكس إلى المقيم السياسي كوكس في يوليو/ تموز ١٩٠٨ إلى توتر العلاقة بينه وبين الشيخ بقوله «لا أستطيع أن أتجاهل حقيقة وجود مئات الأساليب المختلفة لدى مبارك، والتي يسعى من خلالها إلى اقناعي بأنني لا أستطيع أن أتجاوزه في هذه المدينة»<sup>(٣)</sup>.

إن إشارة نوكس الديبلوماسية كان لها ما وراءها. ويبدو أن نوكس تدخل في بعض الأمور الداخلية مما أثار غضب الشيخ. ففي تقرير مؤرخ في ٣٠ أكتوبر/ تشرين الثاني ١٩٠٤، أرسل وكيل والي البصرة برقية مشفرة إلى الباب العالي ورد فيها أن نوكس «يحاول إجبار السوق على قبول العملة الهندية ومنعه من القيام ببعض النشاطات الإضافية وإغلاق الدكاكين، وغير ذلك من التدخلات، وأن مبارك الصباح غاضب ونام جداً من هذه التصرفات والتدخلات»<sup>(٤)</sup>.

لذلك، فإن الصورة التي رسمتها الكتابات التي اعتمدت فقط على الوثائق الإنكليزية عن الشيخ مبارك هي صورة غير صحيحة،

(١) غيورغي بونداريفسكي: مرجع سابق، ص ٤٢٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٣١٢.

(٣) From Political Agent Knox, Kuwait to Political Resident Cox, Bushire, July 8, 1908.

(٤) سلطان بن محمد القاسمي: مرجع سابق، ص ٢٨٧.

وبالذات عند مقارنتها بالأحاديث والمراسلات التي جرت بينه وبين الروس والفرنسيين، فالعلاقة التي نشأت بين الشيخ وجوجيه، وكتابات جوجيه عن حرص الشيخ على استقلاله وتخوفه من النفوذ الإنكليزي تقدم صورة مناقضة لما ورد في الوثائق الإنكليزية بهذا الشأن. فقد حرص الشيخ مبارك على أن تكون له مصادر معلوماته الخاصة من خلال وكلائه، ومن خلال إقامة علاقة وثيقة مع مدير مكتب التلغراف في الفاو الذي كان يحيطه علماً بمضمون أهم البرقيات التي تُرسل من المكتب وتصله. وعن طريق بعض المندوبين السريين له، الذين كان يُرسلهم برسائل إلى المقيم السياسي في بوشهر ووردت أسماءهم في الوثائق البريطانية، مثل عبد اللطيف الهارون وعبد الله بن إبراهيم السمكة، وكذلك اهتمامه بمقابلة الأجانب الذين يزورون الكويت من دبلوماسيين وتجار ورحالة والاستماع إلى وجهات نظرهم عما يدور في المنطقة والعالم. لذلك كان جوجيه دقيقاً عند وصفه الشيخ بأنه رجل سياسي سعى لإقامة التوازن بين البريطانيين والعثمانيين<sup>(١)</sup>، وتقييمه له بأنه «لا يدفع للبريطانيين أكثر مما هو ضروري للخدمات التي يؤدونها، كما أن رغبته في المحافظة على الاستقلال كانت وراء استعداده الدائم للوقوف أمام المؤامرات الغادرة التي كانت تحيط به»<sup>(٢)</sup>.

لقد تحرك الشيخ مبارك على جبهات مختلفة، وناور مع أطراف متعددة. فيذكر لوريمر أنه في أكتوبر/تشرين الأول ١٨٩٩ تقدم الشيخ - عن طريق الشيخ خزعل - إلى شاه إيران بطلب شموله بالحماية الفارسية. وهدف من هذه الفكرة التي لم يسع لإخفائها إلى اختبار مدى اهتمام الحكومة

(١) B. j. Slot, Mubarak Al -Sabah. Founder of Modern Kuwait 1896-1915 ,Op.cit., (١) pp.280-281.

(٢) عبد الله يوسف الغنيم (تحرير وتقديم): أخبار الكويت...، مرجع سابق، ص ٣٥.

البريطانية بالكويت. فكتب شيخ الكويت لصديقه محمد رحيم صفر، الذي كان يقوم بمهمات الوكيل السياسي البريطاني في البحرين وقتذاك، بأنه «ليست له ثقة كبيرة بفاعلية مساندة بريطانيا له ولما كان يدرك معاداة الأتراك له، أيضاً، فقد طلب عن طريق شيخ المحمرة أن يدخل تحت حماية الشاه»<sup>(١)</sup>. وعندما وصلت هذه الأخبار إلى القنصل البريطاني في البصرة، لم يصدقها في البداية، وعندما تحقق من صحتها، أرسل تقريراً في ٢ أكتوبر/ تشرين الأول ١٨٩٩ إلى أوكنور السفير البريطاني في إسطنبول ذكر فيه أن الوكيل السياسي البريطاني في البحرين أكد لقائد السفينة الحربية «لابونج» صحة هذه الأخبار، وأنه تلقى رسالة من الشيخ مبارك بهذا الشأن، وأفاده بمضمونها<sup>(٢)</sup>.

ومن الحوادث الدالة أيضاً ما حصل عام ١٩٠٧ عندما وضع الشيخ شعار الدولة العثمانية على قصره، واحتج الوكيل السياسي على ذلك، فوضع الشيخ شعار الدولة الفارسية أيضاً على القصر. وأخبر الشيخ الوكيل بأن وضع الشعار لم يكن تعبيراً عن موقف سياسي، ولكنه «عملية زينة (ديكور) بسيط للمبنى حتى يبدو مناسباً لشعارات كل من الدولتين الإسلاميتين الكبيرتين»<sup>(٣)</sup>.

ويعبر عن مجمل ما تقدم الباحث الروسي غيورغي بونداريفسكي بقوله إن مبارك حاول «منذ اليوم الأول لتسلمه زمام السلطة أن يمارس اللعبة بصورة مزدوجة، وأحياناً على ثلاثة اتجاهات في وقت واحد. وأثار هذا حيرة الدبلوماسيين وجواسيس الدول الأجنبية والسلطات التركية

(١) ج ج لوريمر: دليل الخليج، ج ٣، مرجع سابق، ص ١٥٣٦. وج ج سلدانها: مرجع سابق، ص ٩٣.

(٢) Consul Wratisslaw, Basra to Sir N O'Conor, British Ambassador, Constantinople, 2 October 1899 in Records of Kuwait, Vol 6, Op.cit, p. 673.

(٣) سلطان بن محمد القاسمي: مرجع سابق، ص ٣١٢.

وتخبطهم. ولذا يمكن القول إن دبلوماسية مبارك المتعددة الأوجه لم تقيّم تقييماً كاملاً حتى يومنا هذا»<sup>(١)</sup>.

وأرجو أن يكون هذا الكتاب قد قدم جديداً في مجال فهم هذه الدبلوماسية ذات الوجوه، وتحليل تلك المرحلة المهمة من تاريخ الكويت التي شهدت بدايات دخولها مضمار الحياة الحديثة، وتقديم الخدمات التعليمية والصحية، ووضع الأسس لرفع مستوى الأنشطة الاقتصادية والتجارية. وذلك كله انطلاقاً من رؤية الشيخ مبارك واستراتيجيته من أجل تأسيس الدولة، ورسم حدودها، وحماية استقلالها.

---

(١) غيورغي بونداريفسكي: مرجع سابق، ص ١٠٣.

## قصيدة

في رثاء الشيخ مبارك

للشاعر حمد عبد اللطيف المغلوث\*

عندما توفي الشيخ مبارك يوم ٢٧ نوفمبر ١٩١٥ خرجت الكويت كلها  
ترثيه. وكان منهم الشاعر الكبير حمد عبد اللطيف المغلوث الذي كتب  
هذه القصيدة:

خطب دهانا يا ملا يوم الاثنين أمسى به الخاطر حزين ومكسور  
خلّى السعائر في قلوب المحبين يشعل لهبها شبه نار بتنور  
تبكي وتفرك في لظى الوجد بيدين وتطوّح الونات والكل معذور  
تبكي على اللي مننا حانه البين والي فجعنا في سراج لنا نور  
مبارك المشهور زين المجلين ولد صباح الي له المجد منشور  
يوم انتقل في يوم واحد وعشرين عنا اغتنى وأضحى بنا الوجد مسجور  
سنة أربعة فوق عام ألف وثلاثين نرصد وفاة الشيخ في شهر عاشور

---

\* نقلاً عن ديوان الشاعر حمد عبد اللطيف المغلوث. جمعه عبد الله عبد العزيز الدويش (الكويت:  
ذات السلاسل، ١٩٨٢)، ص ص ١٢-١٤

شيخ ترجاه الملوك السلاطين كل يبات بصحبة الشيخ مسرور  
 فرز الوغي كنز اليتاما المساكين ذخر الصديق وللعرب صار هو سور  
 فضله ومعروفه على الي بعيدين والي قريب بنعمته منه مسرور  
 ياما نموا في نعمته من ضعيفين واليوم يشرون العقارات وقصور  
 يعطي عطايا غاليات الثامين أيضاً وله فضل على الناس مشهور  
 درع تتقا به شيوخ البلادين الي عليهم من هل الثار محذور  
 كهف الأرامل ملتجا للملجين سهل الجناب وحسن الأطباع والطور  
 أحلى وألذ من العسل للمصافين ويجانب العدوان وحشٍ ومسطور  
 حبر وفي حكمه تضيع البراهين مفراص ماص وللمعاصد ومعثور  
 سم على كبد العداة المضدين الي على الفرصة هميين وحضور  
 مرحوم بالطام وجه المغلين ومن طاوله طالت لياليه مثور  
 أسس لنا ساسٍ يسر المحبين صحبة رفيع الشان شيخ ومشكور  
 الحاكم الي رد سقم المعادين بوكاسب الي بالكرم دوم مذكور\*  
 باشر وبشر بالنصر مدرك الزين حيثه لنا سهر كما السيف مشهور  
 شيخ عسى ربي يدومه لنا سنين وجعل عدوه دايم الدوم مدقور  
 أمر قضى ما للمحبين تمكين كود الصبر والصبر راعيه ماجور  
 هذا ولاحنا من الموت جزعين هذا طريق للمخاليق مأثور

\* أبو كاسب: هو الشيخ خزعل بن جابر بن مرداو حاكم عربستان، وكان الصديق الصدوق للشيخ مبارك.

مير المصيبة يا ملا كبر حميرين  
 نغيصة ما تنوزن بالموازين  
 نرجي من الي ترتجيه المصلين  
 يجبر عزانا عقب فرقاہ ويعين  
 ويجعل مقرّه في جوار النبيين  
 وتسلم لنا الحين أيضاً ونعمين  
 ما مات خلفه من شيوخ عزيزين  
 نعمين بشيوخ كرام مسمين  
 سهلين للصاحب وللضد كامين  
 ربع على كسب النواميس حرصين  
 لطامة العايل الي بين الشين  
 شبه الفهود وفي المواجيب ذرين  
 كل الصباح أبطال قوم وضفرين  
 منهم نصب للحكم هو قرة العين  
 شيخ حليم وفيه حرص على الدين  
 كل القبائل له مطيعين في حين  
 حيدروكم يا راكبين الغوالين  
 أيضاً وسالم في جسا الوقت والدين  
 نجم على رؤوس العداة الشياطين  
 تعني الخواس وتودع الجيب مطرور  
 وحزن يجدد كل ما هل عاشور  
 الواحد الي بالشكر دوم مشكور  
 من فارقه بالصبر والعز وسرور  
 في جنة الفردوس تحظى به الحور  
 يللي لنا خلفه شغاميم وصقور  
 شيخ خليفة شيخ نور على نور  
 صوارم يخفون الأضداد ونسور  
 وحريهم ما يمرح الليل مقهور  
 حيث المراحل كايده كود بالزور  
 نوادر عند المهات وجبور  
 والكل منهم فايح الكبد ممرور  
 ترثه ملوك ولاحد بان بقصور  
 جابر حليف المجد مثبت الشور  
 يدني هل التقوى وينفي هل الجور  
 وكل يوطي النفس حيدور حيدور  
 أهل الجنوب وكل من يركب الكور  
 كفو كريم وللمهات مذخور  
 وسيف شطير يودع المتن مهدور

ما حاد عن سلك الشيوخ القديمين      أيضاً وله عرض عفيف ومستور  
قرم الى شاف المعادين فرزين      يحظى الجواد ويدهم الجمع بنحور  
مثل أمس يوم أن العدا في البساتين      يركض ويضهرهم من أنهار وسجور.

## مصادر الدراسة

يمكن القول إن الوثائق الأولية والمراسلات الدبلوماسية للدول التي لعبت دوراً في الكويت ومنطقة الخليج خلال الفترة محل البحث قد تم الكشف عنها، وإنه قد تم تجميعها في أكثر من مرجع، كما تم استخدامها بشكل مكثف من جانب عدد من الباحثين الذين قدموا دراسات جادة عن فترة حكم الشيخ مبارك. وفي ما يلي عرض لأهم هذه المصادر:

### أولاً: الوثائق البريطانية

تم نشر الوثائق البريطانية الخاصة بمرحلة الدراسة في عدد من المراجع، وذلك على النحو التالي:

١ - **Records of Kuwait 1899-1961** selected and edited by A de L. Rush ( London: Archive Editions, 1989).

ويتكون من ٨ أجزاء. وقد تم استخدام:

- المجلد الأول: الشؤون الداخلية ١٨٩٩-١٩٢١.
- المجلد الرابع: الشؤون الاقتصادية ١٨٩٩-١٩٦١.
- المجلد الخامس: شؤون النفط ١٨٩٩-١٩٦١.
- المجلدان السادس والسابع: الشؤون الخارجية ١٨٩٩-١٩٦١.

**Records of The Persian Gulf Pearl Fisheries 1857-1962. -٢**

edited by Anita L.P. Burdett (London: Archive Editions, 1995).

ويتكون من أربعة مجلدات تتناول التقارير البريطانية بشأن صيد اللؤلؤ. ويشمل المجلد الأول ما يتعلق بالكويت.

**The Affairs of Kuwait 1896-1905. edited by Robin Bidwell -٣**

(London: Frank Cass and Company Ltd, 1971).

ويتكون من ٤ مجلدات تتجاوز الألفي صفحة، ويشمل عدداً كبيراً من الوثائق البريطانية وبالذات وثائق وزارة الخارجية.

**British Documents on Foreign Affairs. Reports and -٤**

**Papers from the Foreign Office Confidential Print.** edited by Kenneth Bourne and D. Cameron Watt.

ويتكون الكتاب من ٤٨ مجلداً والوثائق التي تتصل بالموضوع تقع في المجلدين رقم ١٧ و ١٨ اللذين يشملان الوثائق الخاصة بالإمبراطورية العثمانية، والجزيرة العربية والخليج، والمصالح الاستراتيجية البريطانية.

**Arabian Boundaries: Primary Documents 1853-1957. -٥**

edited by Richard Schofield and Gerald Blake (London: Archive Editions, 1988).

ويتكون الكتاب من ٢٢ مجلداً. يشمل المجلدان رقم ٧ و ٨ موضوع الحدود الكويتية العراقية، والمجلد رقم ٩ موضوع الحدود الكويتية - السعودية.

**The Persian Gulf Administration Reports 1873-1957 -٦**

(London: Archive Editions, 1986).

ويتكون من ١١ مجلداً وتشمل التقارير المذكرات المتعلقة بالشؤون المحلية.

**Political Diaries of the Persian Gulf 1904-1958 (London: -٧**

Archive Editions, 1990).

ويتكون من ٢٠ مجلداً تتضمن تقارير الاستخبارات الدورية المرسلة من المسؤولين السياسيين البريطانيين.

**Arabian Gulf Oil Concessions 1911-1953** (London: Archive Editions, 1989).

ويتكون من ١٢ مجلداً تشمل الوثائق الخاصة بامتيازات التنقيب عن النفط الخاصة بدول البحرين والكويت (٣ مجلدات) وعمان وقطر.

**Persian Gulf Trade Reports 1905-1940** (London: Archive Editions, 1987).

ويتكون من ٨ مجلدات تشمل التقارير الخاصة بالتجارة والعلاقات التجارية.

**Ruling Families of Arabia** edited by A de L. Rush (London: Archive Editions, 1991).

تتكون من ١٢ مجلداً عن دول الخليج ومنها مجلد عن الكويت.

### ثانياً: الوثائق العثمانية

تمثل هذه الوثائق مصدراً مهماً لتاريخ الكويت، فهي تتضمن مراسلات الشيخ مبارك إلى كل من والي البصرة، والسلطان العثماني. كما تشمل المراسلات المتبادلة من والي البصرة إلى رئيس الوزراء العثماني ومنه إلى البلاط السلطاني والردود عليها.

١- وثائق الأرشيف العثماني مترجمة إلى اللغة العربية ومحفوظة لدى مركز البحوث والدراسات الكويتية.

٢- سلطان بن محمد القاسمي: بيان الكويت. سيرة حياة الشيخ مبارك الصباح (الشارقة: د.ن، ٢٠٠٤).

واعتمد الكتاب على مجموعة كبيرة من الوثائق العثمانية كما يشمل ملحقاً بالوثائق ص ص ٣٢٥-٤٥٢.

### ثالثاً: الوثائق العربية

للأسف، لا يوجد أرشيف منظم لدى أسرة آل صباح عن هذه المرحلة. ونُشر جزء من مراسلات الشيخ مبارك مع الوكيل السياسي البريطاني في الكويت والمعتمد السياسي البريطاني في بوشهر في عدد من المراجع.

١ - Kuwait Political Agency: **Arabic Documents 1899-1949** (London: Archive Editions, 1994).

- ٢- ويتكون من ١٣ مجلداً ويغطي المجلدان ١ و ٢ فترة الشيخ مبارك.
- ٢- حسين خلف الشيخ خزعل: تاريخ الكويت السياسي (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٦٢) ٦ أجزاء.
- ٣- سيف مرزوق الشمالان: من تاريخ الكويت (الكويت: ذات السلاسل، ط ٢، ١٩٨٦).
- ٤- د. عبد الله يوسف الغنيم (تحرير وتقديم): أخبار الكويت. رسائل علي بن غلوم رضا. الوكيل الإخباري لبريطانيا في الكويت (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ٢٠٠٧).
- ٥- عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، د. ت).
- ٦- محمد بن إبراهيم الشيباني (محرر): رسالة فيها حوادث ووفيات الأعيان من تدوينات خان بهادر. عبد الله القناعي (الكويت: مركز المخطوطات والوثائق، ٢٠٠٦).

## رابعاً: الوثائق الروسية

وتشمل التقارير التي كتبها قادة السفن الروسية عن زيارتهم للكويت، وخطابات الشيخ مبارك للدبلوماسيين الروس، وكذا المراسلات الدبلوماسية بين القنصلين الروسيين في البصرة وبوشهر والسفير الروسي في الاستانة ومنه إلى وزارة الخارجية الروسية، وتوجيهات الوزارة لهم.

١- سفن روسية في الخليج العربي ١٨٩٩-١٩٠٣. مواد من أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي. ترجمة سليم توما (موسكو: دار التقدم، ١٩٩٠).

٢- غيورغي بونديريفسكي (ترجمة ماهر سلامة): الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٤).

ويستخدم الكتاب مجموعة كبيرة من الوثائق الروسية التي تشمل مراسلات الدبلوماسيين الروس لم يسبق نشرها من قبل.

## خامساً: الوثائق الألمانية والفرنسية

١- Slot B. j., Mubarak Al –Sabah. Founder of Modern Kuwait 1896-1915 (London: Arabian Publishing Ltd, 2005).

ويستخدم المؤلف مراسلات الدبلوماسيين الفرنسيين والألمان، ويكشف عن جانب من توجهات الشيخ مبارك لم تسجله الوثائق البريطانية.

## سادساً: كتابات الرحالة والزوار والعاملين في الكويت

١- اليانور كالفري (ترجمة عبد الله الحاتم): كنت أول طبيبة في الكويت

- (الكويت: مؤسسة دار الكتب، ط ١، ١٩٦٨).
- ٢- ج ج لوريمر: دليل الخليج. القسم التاريخي (الدوحة: مطابع علي بن علي) طبعة جديدة معدلة ومنقحة أعدها قسم الترجمة في مكتب صاحب السمو أمير دولة قطر.
- ٣- خالد البسام (ترجمة وإعداد): القوافل. رحلات الإرسالية الأميركية في مدن الخليج والجزيرة العربية ١٩٠١-١٩٢٦ (المنامة: المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٩٣).
- ٤- ..... (إعداد وترجمة): صدمة الاحتكاك. حكايات الإرسالية الأميركية في الخليج والجزيرة العربية ١٨٩٢-١٩٢٥ (بيروت: دار الساقى، ١٩٩٨).
- ٥- زبيدة علي أشكناني (إعداد وترجمة): من نافذة «الأميركاني». تقارير العاملين في مستشفى الإرسالية الأميركية عن الكويت قبل النفط (الكويت: دار قرطاس للنشر، ١٩٩٥).
- ٦- ستانلي ماليري: مذكرات س ستانلي ماليري ترجمها كل من د. محمد غانم الرميحي وباسم سرحان تحت عنوان الكويت قبل النفط (الكويت: دار حوار للطباعة والنشر، ١٩٧٥).
- ٧- عبد المسيح إنطاكي بك: الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة (القاهرة: مطبعة العرب، ١٣٢٥هـ).
- ٨- .....: الآيات الصباح في تاريخ مولانا صاحب السمو أمير الكويت الشيخ مبارك باشا بن الصباح (القاهرة: مطبعة العرب، ١٣٢٦هـ).
- ٩- فيوليت ديكسون (أم سعود) تقديم سيف مرزوق الشملان آل سيف : أربعون عاما في الكويت (الكويت: دار قرطاس للنشر، ١٩٩٤).

١٠ - محمد بن إبراهيم الشيباني (إعداد): الكويت كما رآها السياسي الدنماركي باركلي رونكير عام ١٣٣٠ هـ - ١٩١٢ م (الكويت: مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ٢٠٠٤).

١١ - يوسف أيبش (جمع وتحقيق): رحلات الإمام محمد رشيد رضا (بيروت: بدر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠).

١٢ - Freeth, Zahra, Kuwait was My Home (London; George Allen & Unwin, 1956).

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية تحت اسم زهرة ديكسون فريت: الكويت كانت منزلي (بيروت: دار الكاتب العربي، د.ت).

١٣ - Dickson, H.R.P, **The Arab of The Desert. A glimpse into Badwin Life in Kuwait and Saudi Arabia** (London: George Allen & Unwin, 1949).

١٤ - **Kuwait and Her Neighbours** (London: ..... George Allen & Unwin, 1956).

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية تحت اسم: هـ. ر.ب. ديكسون (ترجمة فتوح عبد المحسن الخترش): الكويت وجاراتها (الكويت: ذات السلاسل، ١٩٩٥).

١٥ - Dickson, Violet, **Forty Years in Kuwait** (London, George Allen & Unwin, 1978).

١٦ - Raunkiaer Barclay, **Through Wahhabiland on Camelback** (New York: Frederick A Praeger, 1969).

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية تحت اسم باركلي رونكير (نقله من الإنكليزية إلى العربية منصور محمد الخريجي): عبر الجزيرة العربية على ظهر جمل (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٩).

## سابعاً: الجرائد والمجلات العربية

- اهتم كثير من الجرائد والمجلات العربية بأخبار الكويت. من أهمها:
- ١- فتى العرب: أنشئت هذه الجريدة عام ١٩١٢ لصاحبها عبد الغني العريسي وفؤاد حنتس في بيروت. وكان مديرها المسؤول المحامي إبراهيم مجاهد الجزائري.
  - ٢- اللواء: جريدة يومية سياسية أدبية تجارية صدرت في القاهرة لصاحبها مصطفى كامل باشا.
  - ٣- العالم الأسبوعي: جريدة أسبوعية صدرت في القاهرة لصاحبها مصطفى كامل باشا.
  - ٤- المنار: مجلة أسبوعية صدرت في القاهرة. ورأس تحريرها الشيخ رشيد رضا.
  - ٥- المؤيد: جريدة يومية صدرت في القاهرة ورأس تحريرها الشيخ علي يوسف.
  - ٦- الأهرام: جريدة يومية سياسية تجارية أدبية مؤسسها وصاحب امتيازها سليم تقلا.
  - ٧- مجلة العمران: صدرت في القاهرة لصاحبها عبد المسيح إنطاكي بك.

## قائمة المراجع

### أولاً: كتب باللغة العربية

- ١- إبراهيم الشكلي: البداوة في الكويت. دراسة ميدانية (الكويت: مؤسسة دار الكتب، ط ١، ١٩٨٧).
- ٢- أبو خلدون ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية: ١٩٥٧).
- ٣- أحمد الرشيد (محرر): الكويت من الإمارة إلى الدولة (القاهرة: جامعة القاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية بجامعة القاهرة، نوفمبر ١٩٩٣).
- ٤- أحمد العناني (تقديم): قطر في دليل الخليج (الدوحة: جامعة قطر، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، قسم الوثائق والأبحاث في مكتب الأمير، ط ١، ١٩٨١).
- ٥- أحمد عبد العزيز المزيني: الكويت وتاريخها البحري أو رحلة الشراع (الكويت: ذات السلاسل، ط ١، ١٩٨٦).
- ٦- أحمد مصطفى أبو حاكمة: تاريخ الكويت الحديث ١٧٥٠-١٩٦٥ (الكويت: ذات السلاسل، ط ١، ١٩٨٤).
- ٧- الكويت وجوداً وحدوداً (القاهرة: جامعة عين شمس، مركز

- بحوث الشرق الأوسط، (١٩٩١).
- ٨- الزعيم محمود بهجت سنان: الكويت. زهرة الخليج العربي (بيروت: دار الكشاف، ١٩٥٦).
- ٩- أمين الريحاني: ملوك العرب: أو رحلة في البلاد العربية (بيروت: ط ٣، ١٩٥١).
- ١٠- .....: تاريخ نجد الحديث وملحقاته (بيروت: دار ریحان للطباعة والنشر ١٩٥٧).
- ١١- أيوب حسين: مع ذكرياتنا الكويتية (الكويت: ذات السلاسل، ١٩٨٤).
- ١٢- بدر الدين عباس الخصوصي: دراسات في تاريخ الكويت الاجتماعي والاقتصادي في العصر الحديث (الكويت: ذات السلاسل، ط ٢، ١٩٨٣).
- ١٣- .....: دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر (الكويت: ذات السلاسل، ط ١، ج ٢، ١٩٨٨).
- ١٤- بنلوب توزون (إعداد): سجلات المعتمد البريطاني والوكالات التابعة له في الخليج العربي (الكويت: منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ط ١، ١٩٩٣).
- ١٥- ترسيم الحدود الكويتية العراقية. الحق التاريخي والإرادة الدولية. إعداد لجنة من المختصين (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٢).
- ١٦- حمد محمد السعيدان: تاريخ العلم الكويتي (الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٥).
- ١٧- ج ج سلدانها (ترجمة وإعداد فتوح الخترش): التاريخ السياسي للكويت في عهد مبارك. دراسة وثائقية مقارنة بالمؤرخين المحليين

- (الكويت: ذات السلاسل، ط ٢، ١٩٩٠).
- ١٨- جمال زكريا قاسم: الخليج العربي. دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠-١٩١٤ (القاهرة: مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٦٦).
- ١٩- جون. س. ولينكسون (ترجمة مجدي عبد الكريم): حدود الجزيرة العربية. قصة الدور البريطاني في رسم الحدود عبر الصحراء (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط ١، ١٩٩٣).
- ٢٠- حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر. ط ٥، ١٩٦٧). صدرت طبعته الأولى عام ١٩٢٤.
- ٢١- حسن قايد الصبيحي: الكويت ١٧٥٦-١٩٩٢. إبحار في السياسة والتاريخ (الكويت: العاصمة للخدمات الإعلامية والإعلانية، ط ١، ١٩٩٣).
- ٢٢- خالد البسام: رجال في جزائر اللؤلؤ (المنامة: المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٩١).
- ٢٣- ..... (ترجمة وإعداد): القوافل. رحلات الإرسالية الأميركية في مدن الخليج والجزيرة العربية ١٩٠١-١٩٢٦ (البحرين: مؤسسة الأيام للطباعة والنشر، ١٩٩٣).
- ٢٤- ..... مرفأ الذكريات. رحلات إلى الكويت القديمة (الكويت: دار القرطاس، ١٩٩٥).
- ٢٥- ..... (إعداد وترجمة): صدمة الاحتكاك. حكايات الإرسالية الأميركية في الخليج والجزيرة العربية ١٨٩٢-١٩٢٥ (بيروت: دار الساقى، ١٩٩٨).
- ٢٦- خالد حمود السعدون: العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩-١٣٤١ هـ ١٩٠٢-١٩٢٢ م (الكويت: ذات السلاسل، ط ٢، ١٩٩٠).
- ٢٧- خالد سعود الزيد: أدباء الكويت في قرنين. الجزء الأول (الكويت:

- د.ن، ط ٣، ١٩٧٦).
- ٢٨- خالد فهد الجار الله: تاريخ الخدمات الصحية في الكويت من النشأة حتى الاستقلال (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٦).
- ٢٩- خليل محمد عودة أبو ملال: علماء الكويت دعاة الإصلاح (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨٧).
- ٣٠- سلطان محمد القاسمي: بيان الكويت.. سيرة حياة الشيخ مبارك الصباح (الشارقة: د.ن، ٢٠٠٤).
- ٣١- سيد نوفل: الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة (القاهرة: معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٠).
- ٣٢-.....: الخليج العربي أو الحدود الشرقية للوطن العربي (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٦٩).
- ٣٣- سيف مرزوق الشمالان: تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي (الكويت: ذات السلاسل، ط ٢، ١٩٨٦) ٢ جزء.
- ٣٤- شفاء المهدي المطيري: علم الكويت.. منذ النشأة حتى الاستقلال ١٧٤٦-١٩٦١. تقديم وتعليق محمد بن إبراهيم الشيباني (الكويت: منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ١٩٩٦).
- ٣٥- صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٥).
- ٣٦-.....: معالم التغيير في دول الخليج العربي (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٢).
- ٣٧-.....: الاستعمار في الخليج الفارسي «الألف كتاب - ١٢١» (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت).
- ٣٨- عادل محمد العبد المغني: لمحات من تاريخ طوابع البريد في الكويت

- (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٤).
- ٣٩- عبد الله الصالح العثيمين: العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت (الرياض: د. ن، ط ٢، ١٩٩٠).
- ٤٠- عبد الله يوسف الغنيم: الكويت... قراءة في الخرائط التاريخية (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٢).
- ٤١- عبد العزيز حسين: محاضرات عن المجتمع العربي في الكويت (القاهرة: معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٠).
- ٤٢- عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: السلام البريطاني في الخليج العربي ١٨٩٩-١٩٤٧. دراسة وثائقية (الرياض: دار المريخ، ط ١، ١٩٨١).
- ٤٣- ..... علاقة ساحل عمان ببريطانيا.. دراسة وثائقية (الرياض: دار الملك عبد العزيز، ١٩٨٢).
- ٤٤- عبد العزيز محمد المنصور: التطور السياسي لقطر في الفترة ما بين ١٨٦٨-١٩١٦ (الكويت: ذات السلاسل، ط ٢، ١٩٨٠).
- ٤٥- ..... الكويت وعلاقتها بعربستان والبصرة ١٨٩٦-١٩١٥. (الكويت: ذات السلاسل، ط ٢، ١٩٨٠).
- ٤٦- عبد الله النوري: خالدون في تاريخ الكويت (الكويت: د.ن، ١٩٨٨).
- ٤٧- عبد الله آل نوري: قصة التعليم في الكويت في نصف قرن من سنة ١٣٠٠-١٣٦٠ هـ (الكويت: ذات السلاسل، د.ت).
- ٤٨- عبد الله زكريا الأنصاري: فهد العسكـر. حياته وشعره (الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ط ٥، ١٩٦٧).
- ٤٩- عبد الله خالد الحاتم: من هنا بدأت الكويت (الكويت: مطابع دار القبس، ط ٢، ١٩٨٠).

- ٥٠- عبد الله سالم عبد الله محمد المزين: تاريخ وأمجاد (الكويت: دن، دت).
- ٥١- عبد الله عبد العزيز الدويش: ديوان حمود الناصر البدر (الكويت: منشورات ذات السلاسل، ط ٢، ١٩٨١).
- ٥٢- عبد الله يوسف الغنيم: الكويت .. قراءة في الخرائط التاريخية (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٢).
- ٥٣- علي حسن الحمداني: الحرف اليدوية بين التاريخ والقانون في المجتمع الكويتي القديم من الفترة ١٨٩٦-١٩٥٠ (لندن: دار زيد للنشر، ١٩٩٤).
- ٥٤- علي نعمة الحلو: الأهواز (عربستان) إمارة كعب العربية في المحمرة. الجزء الثالث (بغداد: دار البصري، ط ١، ١٩٦٩).
- ٥٥- عيسى القطامي: دليل المحترار في علم البحار (الكويت: دن، ط ٢، ١٩٦٤).
- ٥٦- فتوح عبد المحسن الخترش: تاريخ العلاقات السياسية البريطانية الكويتية ١٨٩٠-١٩٢١ (الكويت: ذات السلاسل، ط ٢، ١٩٨٤).
- ٥٧- فؤاد سعيد العابد: سياسة بريطانيا في الخليج العربي ١٨٥٣-١٩١٤ (الكويت: ذات السلاسل، ط ١، ١٩٨٤) ٢ جزء.
- ٥٨- قدرى قلعجي: أضواء على تاريخ الكويت (بيروت: دار الكاتب العربي، ١٩٦٢).
- ٥٩- لفتنان كولينيل سير أرنولد ت. ويلسون (ترجمة محمد أمين عبد الله): تاريخ الخليج (مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨١).
- ٦٠- مبارك الخاطر: من أعلام الخليج العربي.. نابغة البحرين عبد الله الزايد حياته وأعماله، ١٨٩٤-١٩٤٥ (بيروت: دن، ط ٢، ١٩٧٢).
- ٦١- محمد الحداد وآخرون: تراث البادية.. مقدمة لدراسة البادية في الكويت (الكويت: دن، ١٩٨٧).

- ٦٢- محمد حسن عبد الله: الشعر والشعراء في الكويت (الكويت: منشورات ذات السلاسل، ١٩٨٧).
- ٦٣- محمد رشيد الفيصل: الجغرافيا التاريخية للكويت (الكويت: منشورات ذات السلاسل، ط ٢، ١٩٨٥).
- ٦٤- محمد عبد الهادي جمال: تاريخ الخدمات البريدية في الكويت (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٤).
- ٦٥- محمود حسن الصراف: تطور قطر السياسي والاجتماعي في عهد الشيخ جاسم بن محمد آل ثاني (الدوحة: جامعة قطر، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، ١٩٨٠).
- ٦٦- محمود حلمي مصطفى وآخرون: تطور قطر السياسي والاجتماعي في عهد الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني (الدوحة: دن، ١٩٨٠).
- ٦٧- محمود علي الداود: أحاديث عن الخليج العربي (بغداد: شركة التجارة والطباعة، ١٩٦٠).
- ٦٨- محمود علي الداود: محاضرات عن الخليج العربي والعلاقات الدولية ١٨٩٠-١٩١٤ (القاهرة: معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٠-١٩٦١).
- ٦٩- مجموعة من المؤلفين: الشيخ خزعل أمير المحمرة (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٩).
- ٧٠- مصطفى عبد القادر النجار: التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية ١٨٩٧-١٩٢٥ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١).
- ٧١- .....: التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي.. دراسة وثائقية في التاريخ الدولي (البصرة: جامعة البصرة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٧٥).
- ٧٢- منيرة عبد الله العرينان: علاقات نجد بالقوى المحيطة ١٣١٩-١٣٣٢ هـ - ١٩٠٢-١٩١٤ م (الكويت: ذات السلاسل، ط ١، ١٩٩٠).

- ٧٣- منيرة عبد القادر الجاسم: تطور الخرائط الكويتية (الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ١٩٩٣).
- ٧٤- موزي بنت منصور بن عبد العزيز: الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت ١٩٢٣-١٩٢٤ (بيروت: دار الساقى، ط ٢، ١٩٩٢).
- ٧٥- ميمونة الخليفة الصباح: الكويت في ظل الحماية البريطانية (الكويت: د.ن، ط ١، ١٩٨٨).
- ٧٦- .....: الكويت حضارة وتاريخ - المجلد الأول (الكويت: د.ن، ١٩٨٩).
- ٧٧- مي محمد الخليفة: مع شيخ الأدباء في البحرين: إبراهيم بن محمد الخليفة ١٨٥٠-١٩٣٣ (المنامة: د.ن، ١٩٩٣).
- ٧٨- نجاة عبد القادر الجاسم: التطور السياسي والاقتصادي للكويت بين الحربين ١٩١٢-١٩٣٩ (الكويت: د.ن، ١٩٩٧).
- ٧٩- .....: الشيخ يوسف بن عيسى القناعي.. دوره في الحياة الاجتماعية والسياسية في الكويت (الكويت: شركة كاظمة، د.ت).
- ٨٠- نورية محمد ناصر الصالح: علاقات الكويت السياسية بشرق الجزيرة العربية والعراق العثماني ١٨٦٦-١٩٠٢ (الكويت: دار السلاسل، ط ١، ١٩٧٧).
- ٨١- وليام فيودور ستمرك (ترجمة د. عبد الجبار ناجي): حكم الشيخ خزعل بن جابر واحتلال إمارة عربستان (البصرة: جامعة البصرة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٣).
- ٨٢- وليد حمدي الأعظمي: الكويت في الوثائق الإنكليزية ١٧٥٢-١٩٦٠ (لندن: رياض الريس للكتب والنشر. ط ١، ١٩٩١).
- ٨٣- يعقوب يوسف الحججي: صناعة السفن الشراعية في الكويت (الدوحة: مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، ١٩٨٨).

- ٨٤- .....: الشيخ عبد العزيز الرشيد.. سيرة حياته (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٣).
- ٨٥- .....(إعداد): الكويت القديمة صور وذكريات (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٧).
- ٨٦- .....: النشاطات البحرية القديمة في الكويت (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ٢٠٠٧).
- ٨٧- يعقوب يوسف الكندري: الديوانية الكويتية (الكويت: جامعة الكويت، ٢٠٠٢).
- ٨٨- يوسف الشهاب: رجال في تاريخ الكويت - الجزء الأول (الكويت: د. ن، ط ٢، ١٩٩٣).
- ٨٩- يوسف بن عيسى القناعي: صفحات من تاريخ الكويت (القاهرة: دار سعد مصر، ١٩٤٦).
- ٩٠- يوسف عبد المعطي (إعداد): الكويت بعيون الآخرين.. ملامح من حياة مجتمع الكويت وخصائصه قبل النفط (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ٢٠٠٣)

### ثانياً: كتب باللغة الإنكليزية

- 1- Al Ghanim Salwa, **The Reign of Mubarak El-Sabah. Shaikh of Kuwait 1896-1915** (London: I.B.Tauris Publishers, 1998).
- 2- Anscombe Frederick F. : **The Ottoman Gulf . The Creation of Kuwait ,Saudi Arabi and Qatar** (New York: Colombia University Press, 1997).
- 3- Armstrong, H.C., **Lord of Arabia** (London: Arther Beker Ltd, 1934).
- 4- Busch, Brian Cooper: **Britain and The Persian Gulf 1894-**

- 1914 (Los Angles: University of California Press, 1967).
- 5- Chisholm, Archibald H. T., **The First Kuwait Oil Concession Agreement. A Record of The Negotiations, 1911-1934** (London: Frank Cass, 1975).
- 6- Curzon, Goerge N., **Persia and The Persian Question** (London, 1892), 2 Vols.
- 7- Donaldson, Neil, **The Postal Agencies in Eastern Arabia and The Gulf** (London; Harry Hayes, 1975).
- 8- Earl of Ronaldshy, **The Life of Lord Curson** (London, Ernest Penn Ltd, 1958) 2 Vols.
- 9- Graves, Philip, **The Life of Sir Persy Cox** (London; Hutchinson &Company Ltd, 1941).
- 10- Heller, Joseph, **British Policy Towards The Ottoman Empire 1908-1914** (London: Frank Cass, 1983)
- 11- Lutsky, **Modern History of the Arab Countries** (Moscow, 1969)
- 12- Mead, Merle, Edward, Turkey: **The Great Powers and The Baghdad Railway. A Study in Imperialism** (New York, 1923).
- 13- Prent Peter, **Far Arabia. Explorers of The Myth** (London: Quartet Books, 1979).
- 14- Rezvan Efim, **Russian Ships in The Gulf 1899- 1903** (London: Ithaca Press, 1993).
- 15- Rush, Alan, **Al -Sabah: History & Genealogy of Kuwait's Ruling Family 1752-1987** (London: Ithaca Press, 1987)
- 16- Winstone, H.V.F., **Captian Shakespear. A Portrait** (London: Jonathan Cape, 1976).

### ثالثاً: دوريات

- ١- بدر الدين الخصوصي: «النشاط الروسي في الخليج العربي ١٨٨٧-١٩٠٧»، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، السنة الخامسة ، العدد ١٨ (أبريل/نيسان ١٩٧٩).

- ٢- بنلوب توزون: «المصادر الأرشيفية للدراسات العربية ودراسات الخليج في سجلات وزارة الهند»، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، السنة الرابعة، العدد ١٤ (أبريل/ نيسان ١٩٧٨).
- ٣- جاكلين إسماعيل: «سياسة بريطانيا في الخليج والكويت في القرن التاسع عشر»، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، السنة الرابعة، العدد ١٦ (أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٧٨).
- ٤- جمال زكريا قاسم: «بريطانيا والخليج العربي في الحرب العالمية الأولى» في مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، السنة الأولى، العدد ٣ (يوليو/ تموز ١٩٧٥).
- ٥- مصطفى عبد القادر النجار: «العلاقات الدولية لروسيا والاتحاد السوفياتي بالخليج العربي»، الخليج العربي، السنة الثانية، العدد ٢ (١٩٧٥).
- ٦- ميمونة خليفة الصباح: مشكلة الحدود الكويتية بين الدولتين العثمانية والبريطانية (١٨٩٩-١٩١٣)، الرسالة الثانية والثمانون من حوليات كلية الآداب - جامعة الكويت (الحولية الثالثة عشرة - ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).
- ٧- نجاة عبد القادر القناعي: «أهمية الوثائق العثمانية في دراسة تاريخ الخليج العربي وشبه جزيرة العرب»، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، السنة الثامنة، العدد ٣٠، أبريل ١٩٨٢.

#### رابعاً: جرائد ومجلات

- ١- إبراهيم حلمي: ماضي الجزيرة ومستقبلها، فتى العرب (بيروت: ٢٦ أبريل/ نيسان ١٩١٤).

- ٢- حال أمراء العرب وزعمائهم مع الترك، المنار، المجلد ٢٠، الجزء ١، ١١ شوال ١٣٣٥ - ٣٠ يوليو ١٩١٧.
- ٣- تركيا في بلاد العرب، العالم الإسلامي، الجمعة ٢٣ ربيع الثاني ١٣٢٤.
- ٤- تنازع دول أوروبا على بلاد المسلمين، العالم الإسلامي، ٤ محرم ١٣٢٣ - ١٠ مارس ١٩٠٥.
- ٥- فتنة الكويت، المنار، الجزء ٢٠، الجمعة ١٦ رمضان ١٣١٩ - ٢٧ ديسمبر ١٩٠١.
- ٦- في بلاد العرب، العالم الإسلامي، ١١ محرم ١٣٢٣ - ١٧ مارس ١٩٠٥.
- ٧- الدسائس في بلاد العرب، العالم الإسلامي، الجمعة ١٨ محرم ١٣٢٣.
- ٨- الدولة العلية في نجد وخوف الفتنة، المنار، المجلد ٨، الجزء ٥، السبت غرة ربيع الأول ١٣٢٣ - ٦ مايو/ أيار ١٩٠٥.
- ٩- نفوذ بريطانيا في العراق، فتى العرب (بيروت: ٢٤ كانون الثاني ١٩١٤)
- ١٠- الكويت، الهلال، الجزء ٤، السنة ١٠، ١٥ نوفمبر ١٩٠١ - ٣ شعبان ١٣١٩.
- ١١- الكويت وأمرؤها، الزهراء، المجلد ٤، الجزء ٣، جمادى الأولى ١٣٤٦.
- ١٢- الكويت، المشرق، السنة ٧، العدد ١٠، ١٥ أيار ١٩٠٤.
- ١٣- الكويت، العالم الإسلامي، الجمعة ٢١ محرم ١٣٢٣.
- ١٤- الكويت وشيوخها، المشرق، السنة ١٨، العدد ٨، آب ١٩٢٠.
- ١٥- المنافسة بين ألمانيا وانكلترا (على العالم الإسلامي)، العالم الإسلامي، ٦ ربيع الثاني ١٣٢٣ - ٩ يونيو ١٩٠٥.

- ١٦- الوثائق التاريخية في المسألة العربية، المنار، المجلد ٢٢، الجزء ٧، ٢٩ ذي القعدة - ٤ أغسطس ١٩٢١.
- ١٧- سكة حديد بغداد، العالم الإسلامي، الجمعة ٢٤ ربيع الأول ١٣٢٣.
- ١٨- سكة حديد بغداد، العالم الإسلامي، ١٦ ربيع الثاني ١٣٢٤ - ٨ يونيو ١٩٠٦.
- ١٩- سكة حديد بغداد، مجلة الهلال، الجزء الثامن، السنة التاسعة عشرة، أول مايو/ ايار ١٩١١ - ٢ جمادى الأولى ١٣٢٩.
- ٢٠- سكك حديد (تركيا - آسيا الحربية)، العالم الإسلامي، الجمعة ٩ ربيع الثاني ١٣٢٤.
- ٢١- مدرسة علمية في الكويت، مجلة المنار، المجلد الخامس عشر، الجزء الثاني، مصر - ٣٠ ربيع الأول ٣٣٠ هـ ق - ١٠ الشتاء الثالث ١٢٩١ هـ ش، ١٩ مارس ١٩١٢.
- ٢٢- مسألة الكويت، اللواء، ٢٦ شعبان ١٣٢٠ - ٢٧ نوفمبر ١٩٠٢.

### خامساً: رسائل جامعية غير منشورة

- ١- أشرف محمد عبد الرحمن السيد مؤنس: تاريخ العراق السياسي من نهاية حكم مدحت باشا إلى قيام حكم الاتحاديين ١٨٧٢-١٩٠٨ (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة عين شمس، ١٩٩٣)
- ٢- توفيق علي برو: العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨-١٩١٤ (رسالة ماجستير في التاريخ العربي الحديث مقدمة إلى معهد الدراسات العربية العالية - جامعة الدول العربية، ١٩٦٠).

- ٣- عبد القوي فهمي محمد: مشيخات الساحل العثماني ١٨٩٢-  
١٩٥٢ (رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة  
عين شمس، ١٩٨٨).
- ٤- محمد فؤاد سعيد: سياسة بريطانيا في الخليج العربي ١٨٥٣-  
١٩١٤ (رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة  
عين شمس، ١٩٧٩)
- ٥- نجاه عبد القادر الجاسم: العثمانيون وشمال شبه جزيرة العرب  
١٨٤٠-١٩٠٩ (رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث مقدمة إلى كلية البنات،  
جامعة عين شمس، ١٩٧٦).



الكويت: دار سعاد الصباح للنشر / مركز الدولية التجاري /  
خلف مجلس الأمة

هاتف: 2453019 (965) / فاكس: 2457954 (965)

ص.ب: 27280 - الصفاة 13133 - الكويت

E-mail: [souadalsabah@Yahoo.com](mailto:souadalsabah@Yahoo.com)

Web page: [www.souadalsabah.com](http://www.souadalsabah.com)